

دور الخطاب الديني

في تغيير البنية الفكرية بين الإصلاح والإفساد

خطاب العقيلة زينب عليها السلام
في مجتمع الكوفة أنموذجاً
دراسة في ضوء القرآن والسنة
وعلم النفس الاجتماعي

دراسة وتحليل
السيد نبيل الحسني الكربلائي

بسم الله الرحمن الرحیم

دور الخطاب الدینی فی تغییر البنیه الفکریه بین الاصلاح والافساد

کاتب:

نبیل قدوری الحسنی

نشرت فی الطباعة:

العتبه الحسینیه المقدسه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

دور الخطاب الدینی فی تغییر البنیه الفکریه بین الاصلاح والافساد

اشاره

رقم الإیداع فی دار الکتب والوثائق ببغداد لسنه ۲۰۱۴: ۵۰۰

الرقم الدولی: ۹۷۸۹۹۳۳۴۸۹۹۳۹

الحسنی ، نبیل، ۱۹۶۵ م.

دور الخطاب الدینی فی تغییر البنیه الفکریه بین الإصلاح والإفساد: خطاب زینب علیها السلام فی مجتمع الکوفه أنموذجاً / دراسه وتحلیل وتحقیق السید نبیل الحسنی. – الطبعه الأولی . - کربلاء: العتبه الحسینیه المقدسه. قسم الشؤون الفکریه والثقافیه، ۱۴۳۵ق. = ۲۰۱۴م.

ص۲۳۸. (قسم الشؤون الفکریه والثقافیه فی العتبه الحسینیه المقدسه؛ ۱۴۰).

المصادر: ص ۲۰۹– ۲۲۶؛ وکذلک فی الحاشیه.

۱. الإسلام – الإصلاح الفکری – نقد . ۲. الخطاب الدینی – دراسه وتحلیل. ۳ . الفکر الدینی – تجدید نظر . ۴ . زینب بنت علی بن أبی طالب (س)، ۶ – ۶۲ه. – الخطب – دفع مطاعن. ۵ . علم النفس الاجتماعی – العالم الإسلامی – الدراسات المیدانیه . ۶ . الإسلام – حرکات الإحیاء والإصلاح والتجدید – شبهات . ۷. زینب بنت علی بن أبی طالب (س)، ۶-۶۲ه. – روابط – علم النفس الاجتماعی . ألف. السلسله. ب . العنوان

BP ۲۲۹ .H۳۷۶۷ D۹۷ ۲۰۱۴

تمت الفهرسه فی مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه قبل النشر

ص: ۱

اشاره

دور الخطاب الدینی فی تغییر البنیه الفکریه بین الإصلاح والإفساد

خطاب زینب علیها السلام فی مجتمع الکوفه أنموذجاً

دراسه فی ضوء القرآن و السنه علم النفس الاجتماعی

دراسهُ وتحلیلُ وتحقیقُ

السید نبیل الحسنی

إصدار

شعبه الدراسات والبحوث الاسلامیه

فی قسم الشؤون الفکریه والثقافیه

فی العتبه الحسینیه المقدسه

ص: ۴

جميع الحقوق محفوظه

للعتبه الحسينيه المقدسه

الطبعه الأولى

۱۴۳۵ه - ۲۰۱۴م

العراق: كربلاء المقدسه - العتبه الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه - هاتف: ۳۲۶۴۹۹

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

الإهداء

إلى عقيله الطالبيين

وحفيده سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

إلى شبيهه خديجه الكبرى وبنت فاطمه العظمى عليهما السلام.

إلى شبه النبأ العظيم ولسان إمام المتقين عليه السلام.

إلى ريحانه رياحين حبيب رب العالمين عليهما السلام.

إلى قره عين الحسن ونور عين الحسين عليهما السلام.

إلى عمتى السيده زينب عليها السلام

أهدى هذا العمل.

خادمكم وولدكم نبيل

مقدمه الکتاب

الحمد لله علی ما أنعم، وله الشکر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، جم عن الإحصاء عددها ونأی من الجزاء أمدها وتفاوت عن الإدراک أبدها)(۱).

والصلاه والسلام علی خیر الأنام أبی القاسم محمد وعلی آله الهداه إلی الإسلام؛ وبعد:

إن النظر إلی الدعوات والأبحاث التی أخذت بعهدتها تناول الخطاب الدینی فی وقتنا المعاصر مع کثرتها تدفع بالإنسان إلی التأمل والتفکر فی هذا العرض الذی بدأ یعلو وسائل نقل المعلومه إلی الناس جمیعاً سواء کانت مقروءه أو مسموعه أو مرئیه.

ویمکن لنا من خلال هذه القراءه والتأمل أن نخلص إلی مجموعه عناوین رکزت علیها هذه الدعوات والأبحاث، فکانت کالآتی:

۱- هذا ما ابتدأت به بضعه النبی المختار صلی الله علیه وآله وسلم الصدیقه الطاهره فاطمه الزهراء علیها السلام فی خطبتها بالمسجد النبوی الشریف.

١ تجديد الخطاب الدينى.

٢ سمات الخطاب الدينى.

٣ نقد الخطاب الدينى.

٤ آليات الخطاب الدينى.

فهذه العناوين وإن كانت متقاربه فى الغايه وهى معالجه المجتمع المسلمين لما أصابه من تدهور وتفرق وتناحر فضلاً عن الاختلاف فى المفاهيم القيميه.

إلاّ أنها لم تستطع من وضع يدها على الجرح وذلك لعدم تمكنها من تقديم رؤيه مجرده عن القيم النشئويه والعقديه التى ينهل منها الكاتب؛ بل إن الانقياد لهذه القيم كان هو المحرك لهذا الخطاب.

ومن ثم لم يزل الخطاب الدينى هو هو، بل لا يمكن أن يخرج هذا الخطاب عن عنوانه (الدينى) وهو مقيد بتلك النشأه والعقيده.

وعليه:

لابد من الرجوع أولاً إلى عناصر أساسيه كانت بمجموعها مكونات لهذا الخطاب وهى كالآتى:

١ ما هو الدين كى ينسب إليه الخطاب فتكون سمته دينيّاً؛ وبمعنى آخر: مرجعيات هذا الخطاب ومناهله.

٢ ما هى آليات فهم النص الدينى، ومن وضعها؟

٣ من هم أهل الدين، وما هى سماتهم، ومن حدد هذه السمات؟ وهل اتفق المسلمون عليهم؟

۴ أعمال العقل أم حاكميه الجهل؟

۵ قداسه النص أم نص القداسه؟

فهـذه العناصر والمكونات للخطاب الدينى لا شك كان لها الدور الفعال والمؤثر فى تغيير البنيه الفكريه للمجتمع الإسـلامى منذ القرن الأول للهجره النبويه وإلى يومها هذا.

إلاّـ أننا ومن خلال لوازم المنهـج البحثى وجـدنا أن التوقف عنـد هـذه المكونات ودراسـتها يحقق لنا رؤيه واضـحه عن الخطاب الـدينى كما يظهر لنا حقيقه دوره فى تغيير البنيه الفكريه للمجتمع الإسـلامى الـذى كان كتابه القرآن ونبيه محمـد صـلى الله عليه وآله وسلم.

ومن ثم فـإن التوقف عنـد خطـاب العقيله زينب بنت على بن أبى طـالب عليها السـلام الـذى أعقب التحول الكبير فى تغيير البنيه الفكريه للمجتمع المسـلم بفعل أدوات الخطاب الدينى فأقدم على قطع رأس ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، وذبح طفله الرضيع وهو فى حجر أبيه، وسلب بنات على بن أبى طالب وفاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبيهن من بلد إلى بلـد من بلاـد المسـلمين!! وهم ينظرون إليهن كـأنهم من أهـل مله أخرى؛ فضـلًا عن تقطيع رؤوس أبنـاء على بن أبى طـالب عليهما السـلام وبعض الصحابه، ومن سار بهديهم، وهم أهل خير القرون كما يدعون كل ذلك ينص على تحول كبير وتغيير فى البنيه الفكريه للمسلمين بفعل الخطاب (الدينى) الذى لم تزل الأمه الإسلاميه ترزخ تحت تداعياته حتى

أصبح الناظر لا يعرف من الدين إلا تلك الصور الدمويه التى تمنهجت لدى فرق كثيره، وفئات عديده فاصطبغ بها خطابها الدينى وتأثرت به حواضنها الاجتماعيه فتقولبت بها بنيتها الفكريه فكانت خلفاً لذلك السلف مما يتطلب معالجات كالتى اعتمدتها عقيله بنى هاشم فى خطابها الدينى فى تلك المجتمعات الإسلاميه التى دخلتها وهى مسبيه على الرغم من أن النبى الذى يشهدون له بالنبوه هو جدها صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

اتخذنا من خطابها عليها السلام أنموذجاً يعالج البنيه الفكريه للمجتمع المسلم لاسيما ونحن نشهد اليوم نسخاً لتلك القيم والمبادئ والنتائج التى أفرزها الخطاب الدينى المفضى إلى تقطيع الرؤوس وذبح الأطفال وسبى النساء.

فأين القرآن وبيانه، وأين السنه وهديها، وأين الصحابه وإيمانهم، والتابعين وسلوكهم؟ أفكان أهل خير القرون فاقدين لسمات الخطاب الدينى الذى ينادى به الخلف، أم أن دعوات التجديد يراد بها تحقيق ما عجز عنه بعض السلف؟

إنها أسئله كثيره نحاول الإجابه عليها فى هذا البحث.

{وَمَا تَوْفِيقِى إِلاّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}.

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

السيد نبيل بن السيد قدورى بن السيد حسن بن السيد علوان بن السيد جاسم بن السيد حسين الحسنى الكربلائى.

المبحث الأول: مصطلح الخطاب الدینی، ما هو؟

اشاره

يأخذنا لفظ الخطاب ولفظه الرديف (الـدينى) إلى بعض المناهـل اللغـويه وغيرهـا كى نضع أيـدينا على دلالـله اللفـظ ومن ثم الوصول إلى بغيتنا فى معرفه المعنى الذى تركب منه مصطلح (الخطاب الدينى).

ولذا: وجدنا أن التوقف عند هذين اللفظين من ضرورات البحث.

المسأله الأولى: لفظ (الخطاب) كما قدمه اللغويون والمفسرون

أولاً: الخطاب لغه

يذهب الفراهيدى (المتوفى ١٧٥ه) إلى اختصار الدلاله ويوجز فى البيان فيقول فى معنى (الخطاب)، (مراجعه الكلام)(١).

وهى عند الجوهرى (المتوفى ٣٩٣ه): (وخاطبه بالكلام مخاطبه وخطاباً)(٢)، ويفهم منه ما أراده الفراهيـدى، أى: مراجعه الكلام بين المتكلم والسامع.

١- كتاب العين للخليل الفراهيدى: ج٤، ص٢٢٤.

٢- الصحاح للجوهرى: ج١، ص١٢١.

فى حين يظهر أحمد بن فارس (المتوفى ٣٩٥ه) معنى أوضح لهذا اللفظ، فقال:

(خطب): الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطاباً، والخطبه من ذلك(١).

وقريب منه قال الزمخشرى (المتوفى ٥٣٨ه):

خطب: خاطبه أحسن الخطاب وهو ا لمواجهه بالكلام، وخطب الخطيب خطبه حسنه، وخطب الخاطب خطبه جميله، وكثر خطابها(٢).

وقد حاول ابن منظور (المتوفى ٧١١ه) الجمع فيما قاله أهل اللغه من قبله فقال:

(والخطاب والمخاطبه: مراجعه الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبه وخطاباً، وهما يتخاطبان؛ والخطبه مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابه، واسم الكلام: الخطبه؛ قال أبو منصور: إن الخطبه مصدر الخطيب، لا يجوز إلّا على وجه واحد، وهو أن الخطبه اسم للكلام، الذى يتكلم به الخطيب فوضع موضع المصدر)(٣).

ويمكن الخروج بمعنى واحد لهذه الأقوال وهو: الكلام الذى يخرج من فم المتكلم إلى السامع غالباً إذ قد يتوجه المتكلم بالكلام إلى العجماوات،

١- معجم مقاييس اللغه: ج٢، ص١٩٨.

٢- أساس البلاغه للزمخشرى: ص٢٣٩.

٣- لسان العرب لابن منظور: ج١، ص٣۶٠.

ومن ثم لم يقـدم أهل اللغه دلاله تفيـد تمام المعنى فى ذهن القارئ، إذ لا دلاله لقولهم: مراجعه الكلام بدون قرينه توضح معنى المراجعه وعليه: ينصـرف الـذهن إلى أنهـا محصوره بمـا يتكلم به المتكلم وهو على المنبر أو مكان مرتفع أو فى جمع من الناس قلوا أو كثروا.

وهـذا المعنى لا يوصل القارئ إلى المعنى الحقيقى للفظ (الخطاب) ولـذا لابد من الرجوع إلى كتاب الله تعالى وما ورد فيه لهذه اللفظه التى يتكشف معناها من خلال سياق النص القرآنى الكريم. وهو ما نحاول الوصول إليه فى ثانياً.

ثانياً: الخطاب فى القرآن الكريم

اشاره

ورد فى القرآن الكريم بعض الاسـتعمالات لماده (خطب) فكانت على خمسه موارد، منها اثنان بلفظ: (الخطاب) وثلاثه منها هى: (خاطبهم) و(تخاطبنى) وقد جاءت مرتين، وهى بحسب الذكر الحكيم كانت كالآتى:

ألف:

قال تعالى: {...فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِی فِی الْخِطَابِ}(۱).

قال الشيخ الطوسى: (أى غلبنى فى محاوره الكلام)(۲).

وعند الصنعانى هى: (قهرنى فى الخصومه)(۳).

۱- سوره ص، الآیه: ۲۳.

۲- التبيان: ج۱، ص۴۶۸.

۳- تفسير الصنعاني: ج۳، ص۱۶۳.

وعند النحاس: (قهرنی لأنه أعز منی)(۱).

وهـذه الأـقوال الثلاـثه قریبه من المعنی اللغوی القائـل بـأن الخطاب: مراجعه الکلام بین الاثنین، فی حین یسـتفاد من سـیاق الآیه ودلالتها بأن الخطاب بیان الحجه والإقناع أو الغلبه فی الکلام.

باء:

قال تعالی: {وَشَدَدْنَا مُلْکَهُ وَآتَیْنَاهُ الْحِکْمَهَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}(۲).

والآیه المبارکه اختلف فی تفسیرها المفسرون وتعددت الأقوال فی معنی ((فَصْلَ الْخِطَابِ))، علی النحو الآتی:

۱ قال مقاتل بن سلیمان: (وأعطیناه فصل القضاء، البینه علی المدعی والیمین علی من أنکر)(۳).

۲ قال سفیان الثوری: (فصل الخطاب): (فصل القضاء)(۴).

۳ وقد جمع ابن جریر الطبری مجموعه من الأقوال، فقال:

(واختلف أهـل التأویل فی معنی ذلک: فقال بعضـهم: عنی به أنه القضاء والفهم به، قال ابن عباس: أعطیناه الفهم، وعن مجاهـد: إصابه القضاء وفهمه، وعن السدی: علم القضاء وعن ابن زید: الخصومات التی یتخاصم

۱- معانی القرآن للنحاس: ج۲، ص۲۱۹.

۲- سوره ص، الآیه: ۲۰.

۳- تفسیر مقاتل بن سلیمان: ج۳، ص۱۱۵.

۴- تفسیر الثوری: ص۲۵۷.

النـاس إليه فصـل ذلک الخطاب الکلام والفهم، وإصابه القضاء والبينات، وقال آخرون: بل معنى ذلک وفصل الخطاب، بتکليف المدعى البينه واليمين على المدعى عليه وعن الشعبى: أنه قال: قول الرجل: أما بعد.

ويذهب الطبرى بعد عرضه لهذه الأقوال إلى القول:

(وأولى هـذه الأـقوال فى ذلـک بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه آتى داود صـلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع، والخطاب هو المخاطبه).

ثم يعـترض على هـذه التأويلاـت وذلـک لعـدم ورود خـبر فيهـا عن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ويخلص إلى القول فى ذلک، (فالصواب أن يعمّ الخبر کما عمّه الله فيقال: أوتى داود فصل الخطاب فى القضاء والمحاوره والخطب)(۱).

فى حين: نجـد أن المعنى الألصق لما جاءت به الآيه المبارکه فى بيان معنى فصل الخطاب ما بيّنه السـيد العلامه الطباطبائى فقال: (وفصل الخطاب: تفکيک الکلام الحاصل من مخاطبه واحد لغيره وتمييز حقه من باطله وينطبق على القضاء بين المتخاصمين فى خصامهم)(۲).

وهـذه الأـقوال لم توصـل المعنى إلى المسـتوى الـذى ينکشف فيه (فصـل الخطـاب) وقـد جعله الله تعالى من ضـمن سـلم المنح ومراتبه التى تفضل بها

۱- جامع البيان للطبرسى: ج۲۳، ص۱۶۷.

۲- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج۱۷، ص۱۹۰.

على الأنبیاء علیهم السلام، کما یشیر سیاق الآیه المبارکه، فکان فصل الخطاب استحقاقاً رتبیّاً کشد الملک، والحکمه؛ وهذه الرتبه، أی الحکمه یتحدث عنها القرآن فی بیان دلالی یرشد إلى حجم فضلها فیمن اختصه الله بها فیقول سبحانه:

۱ {یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشَاءُ وَمَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرًا کَثِیرًا وَمَا یَذَّکَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}(۱).

فهذا الخیر الکثیر یتحدث عنه الإمام الصادق علیه السلام فیقول فی بیان معنى الآیه:

«الحکمه ضیاء المعرفه، ومیراث التقوى، وثمره الصدق، وما أنعم الله على عبد من عباده نعمه أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحکمه للقلب، قال تعالى:

{یُؤْتِی الْحِکْمَهَ مَنْ یَشَاءُ وَمَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرًا کَثِیرًا}»(۲).

۲ {وَلَقَدْ آتَیْنَا لُقْمَانَ الْحِکْمَهَ أَنِ اشْکُرْ لِلَّهِ}(۳).

فکان إیتاؤه الحکمه ملازمه للشکر لله.

وقد جاء فی معنى الآیه عن الإمام موسى بن جعفر علیه السلام:

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۶۹.

۲- مصباح الشریعه المنسوب للإمام الصادق علیه السلام: ص۱۹۸؛ البحار للمجلسی: ج۱، ص۲۱۶.

۳- سوره لقمان، الآیه: ۱۲.

«الفهم والعقل»(۱).

وعليه:

لم يستطع المفسرون تقديم بيان يكشف معنى ((فَصْلَ الْخِطَابِ)) وسمته التى نالها داود النبى عليه السلام، فضلاً عن ذلك فقد أشارت الروايات الشريفه إلى أنها من بين السمات التى خص الله بها رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وعترته أهل بيته عليهم السلام، لاسيما أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليهما السلام؛ فمما كان منها على سبيل الاستشهاد:

۱ عن أبى الطفيل، قال: (قام أمير المؤمنين على عليه السلام على المنبر فقال:

«إنّ الله بعث محمداً بالنبوه واصطفاه بالرساله، فإياك والناس وإياک، وعندنا أهل البيت مفاتيح العلم، وأبواب الحكمه، وضياء الأمر، وفصل الخطاب، ومن يحبنا أهل البيت ينفعه إيمانه، ويتقبل منه عمله، ومن لا يحبنا أهل البيت لا ينفعه إيمانه ولا يتقبل منه عمله، وإن أدأب الليل والنهار لم يزل»)(۲).

۲ وقال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«أنا قسيم الله بين الجنه والنار، لا يدخلها داخل إلّا على حد قسمى، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن بعدى، والمؤدى عمن كان

۱- تحف العقول للحرانى: ص۳۸۶.

۲- المحاسن للبرقى: ج۱، ص۲۰۰؛ شرح الأخبار للقاضى المغربى: ج۳، ص۹.

قبلی، لا یتقـدمنی أحـد إلا أحمد صـلی الله علیه وآله وسـلم وإنی وإیاه لعلی سبیل واحد إلا أنه هو المدعو باسـمه ولقد أعطیت الست: علم المنایـا، والبلایـا، والوصایـا، وفصـل الخطـاب، وإنی لصـاحب الکرات، ودوله الـدول، وإنی لصاحب العصا والمیسم، والدابه التی تکلم الناس»(۱).

۳ ومما رواه الصدوق عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال لفاطمه علیها السلام حینما حضرته الوفاه ورآها تبکی فأخذ یحدثها عن مناقب آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم کی یذهب عنها الهم والحزن.

والروایه عن سلمان الفارسی علیه الرحمه والرضوان، قال:

(کنت جالساً بین یـدی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فی مرضه التی قبض فیها، فـدخلت فاطمه علیها السـلام فلما رأت ما بأبیها من الضعف بکت حتی جرت دموعها علی خدیها، فقال لها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«ما یبکیک یا فاطمه؟».

قالت:

«یا رسول الله أخشی علی نفسی وولدی الضیعه بعدک».

فاغرورقت عینا رسول الله بالبکاء، ثم قال:

«یـا فـاطمه أمـا علمت أنـا أهـل بیت اختـار الله عز وجـل لنـا الآـخره علی الـدنیا وأنه حتم الفناء علی جمیع خلقه، وأن الله تبارک وتعالی أطلع

۱- الکافی للکلینی: ج۱، ص۱۹۸.

إلى الأرض إطلاعه فاختارنى من خلقه فجعلنى نبيا ثم أطلع إلى الأرض إطلاعه ثانيه فاختار منها زوجك وأوحى إلى أن أزوجك إياه وأتخذه وليا ووزيرا وأن أجعله خليفتى فى أمتى فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بى من أهلى، ثم أطلع إلى الأرض إطلاعه ثالثه فاختارك وولديك، فأنت سيده نساء أهل الجنه، وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنه وأبناء بعلك أوصيائى إلى يوم القيامه، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدى أخى على، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعه من ولد الحسين فى درجتى، وليس فى الجنه درجه أقرب إلى الله من درجتى ودرجه أبى إبراهيم، أما تعلمين يا بنيه أن من كرامه الله إياك أن زوجك خير أمتى، وخير أهل بيتى، أقدمهم سلما، وأعظمهم حلما، وأكثرهم علما».

فاستبشرت فاطمه عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

«يا بنيه إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتى، وعلمه بكتاب الله عز وجل وسنتى وليس أحدٌ من أمتى يعلم جميع علمى غير على عليه السلام وإن الله عز وجل علمنى علما لا يعلمه غيرى وعلم ملائكته ورسله علما فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه وأمرنى الله أن أعلمه إياه

ففعلت فليس أحـد من أمتى يعلم جميع علمى وفهمى وحكمتى غيره، وإنـك يـا بنيه زوجته، وابناه سـبطاى حسن وحسـين وهما سبطـا أمتى، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله جل وعز آتاه الحكمه وفصل الخطاب، ويا بنيه إنا أهل بيت أعطانا الله عز وجل ست خصال لم يعطها أحـدا من الأولين كان قبلكم، ولـم يعطها أحـدا من الآخرين غيرنا، نبينا سـيد الأنبياء والمرسـلين، وهو أبوك، ووصينا سيد الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا سيد الشهداء وهو حمزه بن عبد المطلب عم أبيك».

قالت عليها السلام:

«يا رسول الله هو سيد الشهداء الذين قتلوا معه؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لاـ بل سـيد شـهداء الأولين والآخرين ما خلا الأنبياء والأوصـياء، وجعفر بن أبى طالب ذو الجناحين الطيار فى الجنه مع الملائكه وإبناك حسن وحسـين سـبطا أمتى وسـيدا شـباب أهل الجنه، ومنا والـذى نفسـى بيده مهدى هذه الأمه الذى يملأ الأرض قسـطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما»(۱).

والحـديث الشـريف له تكمله إلا أننا ذكرنا هذا المقدار ففيه الكفايه لبيان ما اختص الله به محمد وأهل بيته صـلوات الله وسـلامه عليهم فكان مما آتاهم

۱- كمال الدين وتمام النعمه للصدوق: ص۲۶۳.

فصل الخطاب.

ومن ثم لا يعد المعنى الذى أشار إليه المفسرون فى بيان ((فَصْلَ الْخِطَابِ)) هو: (أما بعد، أو البينه على المدعى واليمين على من أنكر، أو علم القضاء، أو غير ذلك من مراتب فضال الأنبياء ومختصاتهم التى فضلهم الله بها على الناس) لاسيما ونحن نشهد اليوم كثره المحاكم والقضاه فى مختلف البلاد والتشريعات.

إذن:

يلزم أن يكون فصل الخطاب من السمات التى انحصر وجودها فى النخبه المصطفاه من قبل الله تعالى مما يلزم أيضاً أن يكون له معنى آخر أرقى بكثير مما نطق به المفسرون لهذه الآيه لاسيما وأنها قدمت الملك، والحكمه لفصل الخطاب فكان من مقتضيات شخصيه داود النبى عليه السلام.

بمعنى:

إن فصل الخطاب هو ملكه راسخه فى النفس مختصه بالكلام مع الناس وإقناعهم والتأثير فيهم ومعرفه كوامن منطقهم فإن حاججوا خصموا وإن خاطبوا أبلغوا، وإن استمعوا فهموا، وإن حاوروا أعلموا؛ ولولا ذلك لما كلفوا بالرساله والنذاره والبشاره وغيرها من وظائف الرساله الإلهيه إلى الخلق.

كما دلت الروايات الوارده عن عتره النبى صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المعنى.

أما بقيه النصوص القرآنيه التى حملت ماده (خطب) فكانت كما فى الفقره جيم.

جيم:

قال تعالى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا}(۱).

وقد ذهب الزمخشرى إلى معنى الآيه بقوله: (حادثوهم بما فيه سفه وسوء جهاله)(۲).

وقال الشيخ الطبرسى: ((وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ)) بما يكرهونه أو يثقل عليهم ((قالوا)) فى جوابه ((سلاما))(۳).

دال:

قال تعالى: {...وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا...}(۴).

قال الشيخ الطوسى فى بيان معنى ((وَلا تُخَاطِبْنِى)): (نهى لنوح عليه السلام أن يراجع الله تعالى ويخاطبه ويسأله فى أمرهم بأن يمهلهم ، ويؤخر إهلاكهم لأنه حكم بإهلاكهم وأخبر بأنه سيغرقهم، فلا يكون الأمر بخلاف ما أخبر به)(۵).

۱- سوره الفرقان، الآيه: ۶۳.

۲- الكشاف للزمخشرى: ج۳، ص۲۸۳، ط دار الكتب العلميه.

۳- مجمع البيان للطبرسى: ج۷، ص ۳۱۰.

۴- سوره هود، الآيه: ۳۷.

۵- التبيان للشيخ الطوسى: ج۵، ص ۴۸۲.

ویفید هذا القول للشیخ الطوسی بأن المعنی المراد ب((ولا تخاطبنی)) مراجعه الله تعالی فی الکلام؛ وهو لا یخرج عن المعنی الذی ذهب إلیه اللغویون.

ولذا: نجد أن الطبری وغیره من المفسرین، لم یخرج عن هذا المعنی فقال: أی، ولا ـ تراجعنی، قال: تقدم أن لا ـ یشفع لهم عنده(۱).

هاء:

قال تعالی: {...الرَّحْمَنِ لا یَمْلِکُونَ مِنْهُ خِطَابًا}(۲).

وفی معناها یقول الزمخشری: (والملائکه لا یملکون التکلم بین یدیه، فما ظنک بمن عداهم من أهل السماوات والأرض)(۳).

أی: لا ـ یخرج قول المفسرین عن المعنی الذی أراده اللغویون، ومن ثم یبقی المعنی منحصراً فی مراجعه الکلام وهو غایه ما ذهب إلیه أهل اللغه والتفسیر فی بیان معنی (الخطاب).

ثالثاً: ما هی الخطابه؟

عُرّفت الخطابه: بأنها فن نثری غایتها التأثیر فی نفس السامع وهی مصدر خطب یخطب، أی صار خطیباً، وهی علی هذا صفه راسخه فی نفس

۱- تفسیر الطبری: ج۱۲، ص۴۵؛ تفسیر السمرقندی: ج۲، ص۱۴۹.
۲- سوره النبأ، الآیه: ۳۷.
۳- تفسیر الکشاف للزمخشری: ج۴، ص۲۱۰.

المتكلم يقتدر بها على التصرف فى فنون القول، لمحاوله التأثير فى نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم(١).

ولذا:

فإن كل الأمم فى حاجه إلى الخطابه، وكانت العرب من أحوج الأمم إليها ولذلك ارتقت فى الخطابه مرتقى فاقت فيه على غيرها من سائر الأمم إذ لا يخفى ما كانت عليه العرب أيام جاهليتهم من الأنفه والتفاخر بالأحساب والأنساب والمحافظه على شرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم حتى حدث ما حدث بينهم من الوقائع العظيمه.

ولا شك أن كل قوم لهم مثل ذلك هم أحوج الناس إلى ما يستنهض هممهم ويوقظ أعينهم ويقيم قاعدهم ويشجع جبانهم ويشد جنانهم ويثير أشجانهم ويستوقد نبارهم صيانه لعزهم أن يستهان ولشوكتهم أن تستلان وتشفياً بأخذ الثأر وتحرزاً من عار الغلبيه وذل الذمار وكل ذلك من مقاصد الخطب فكانوا أحوج الناس إليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم وتأبيد مفاخرهم؛ ولقد كان لكل قبيله من قبائلهم خطيب كما كان لكل قبيله شاعر)(٢).

وهذا الموروث المعرفى والاجتماعى قد ترك أثراً فى رسم معالم معنى (الخطاب) لدى الإنسان العربى فضلًا عن المسلم وذلك لتبنى النبى المصطفى

١- الخطابه أصولها وتاريخها، تأليف: أحمد أبو زهره: ص١٥٠، ط دار الفكر العربى لسنه ١٩٣٤، القاهره.
٢- نفح الطيب فى الخطابه والخطيب لمعروف الرصافى: ص٥ ,٦، ط مطبعه الأوقاف الإسلاميه بدار الخلافه العليه لسنه ١٩١٧م، الطبعه الأولى.

صلی الله علیه وآله وسلم وأهل بیته صلوات الله علیهم وأصحابه هذا النمط فی الحدیث مع الناس فی مختلف المناسبات الدینیه والاجتماعیه وما یتعلق بالسلم والحرب وغیرها من شؤون الأمه.

وکیف إذا أخذنا بعین الاعتبار ما شرعه الإسلام من أعمال خاصه لیوم الجمعه فکان سنامها خطبه الجمعه وما تتضمنه من عرض لقضایا الإسلام والمسلمین فعمل ذلک علی ترسیخ مفهوم واحد فی أذهان المسلمین حول (الخطاب) وهو ما ینطق به النبی صلی الله علیه وآله وسلم أو الإمام أو الواعظ فی جمع من المسلمین وسمی هذا الکلام بالخطاب.

ثم اتصف بعد ذلک هذا الخطاب بصفه الکلام ومراده الذی قصده الخطیب فکان خطاباً سیاسیاً حینما یتناول الخطیب شؤون الدوله وسلوکها فإما مؤید لها أو معارض.

أو یکون الخطاب دینیاً، ولمعرفه کونه دینیاً فلابد من معرفه ما هو الدین؟

وهو ما سنتناوله فی المسأله القادمه.

المسأله الثانیه: ما هو الدین کی یتصف به الخطاب فیکون دینیاً؟

اشاره

إن علاقه الإنسان بالدین نشأت منذ أن وجد الإنسان من خلال المنظور القرآنیه الذی تحدث عن هذه العلاقه فی عله خلق آدم علیه السلام، فکانت علاقه الخلیقه بالخلیقه علاقه تلازمیه.

أما من المنظور الأنثروبولوجى فإن الإنسان منذ أن فتح عينيه فى هذه الحياه وعايش الظواهر الحياتيه من جوع وعطش ومرض وخوف وصراع وموت، فضلاً عن تداخل الموجودات الأخرى فى حياته كالنباتات والحيوانات والنجوم والمياه والنار والرياح والبراكين والأمطار وغيرها، فإنه بحاجه إلى شىء يعتقد فيه النفع ويدفع عنه الضر فكانت حاجته إلى المعتقد حاجه فطريه اختلطت فيها حواسه وعقله وقلبه؛ ولذا: نشأ عنده الاحتياج للماورائيات واللامرئيات.

من هنا:

ذهب الفيلسوف (هيجل) إلى: (أنّ الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين، وأن الحيوانات تفتقر إلى دين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق)(١).

والسبب فى ذلك يعود إلى: (أن التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان، والحس الدينى إنما يكمن فى أعماق كل قلب بشرى، بوهر فى صميم ماهيه الإنسان مثله فى ذلك مثل العقل سواء بسواء)(٢).

ويبقى السؤال يبحث عن إجابه أوضح، ما هو الدين؟

١- مجله المعرفه، المعتقدات الدينيه لدى الشعوب: ص٧، نقلاً عن: موسوعه العلوم النفسيه لهيجل: ص٤٧ ٤٨، ترجمه د. إمام عبد الفتاح، ط دار التنوير.

٢- المصدر السابق، نقلاً عن: الزمان والأزل، مقال فى فلسفه الدين: ص٤٠، ترجمه الدكتور زكريا إبراهيم.

أولاً: تعريف الدين

إنّ تعدد المعتقدات وتنوع الديانات واختلاف المذاهب كل ذلك جعل للدين مجموعه من التعريفات، فكانت كالآتى:

١ يعد الدين بمثابه أداه روحانيه لبناء القيم البشريه وأحداث تعديلات داخليه إيجابيه فى النفس البشريه بحيث تسعى إلى الخير والحق والإحساس والمسؤوليه اتجاه كل من النفس والأسره والمجتمع بعامه، والابتعاد عن الخطيئه.

وعُرِّف أيضاً: بأنه اعتقاد الناس بوجود ذات أو ذوات فوق البشر والطبيعه، لها قدرات على تدبير شؤون البشر والكون، الأمر الذى يدعو إلى وجوب علاقه بين البشر وتلك القوى المدبره.

كما عُرّف الدين: بأنه نظام من أنظمه الإيمان والعباده، فهو عباره عن مجموعه من المعتقدات المقدسه المؤكده مع إيراد بعض التكاليف الواجب مراعاتها وبعض الممارسات الاجتماعيه.

ويرى آخرون أن الدين استرضاء لقوه عليا ليطلب منها العون حيث قدرتها فى التحكم بالحياه، فالدين إذاً أمران؛ أولهما الاعتقاد بوجود قوى عليا متحكمه، وثانيهما إجراء ممارسات لإرضاء هذه القوى العليا(١).

فى حين كان لتعريف الدين عند علماء المسلمين معنى آخر، فمنها:

١- جغرافيه المعتقدات الدينيه لمحسن عبد الصاحب المظفر: ص٦١.

۱ قال الشيخ الطوسی رحمه الله (توفی سنه ۴۶۰ه) فی بیان معنی قوله تعالی:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}(۱).

(معنی الدين ههنا الطاعه، فمعناه إن الطاعه لله عزّ وجل هی الإسلام)(۲).

۲ وعرّف الدين السيد العلامه الطباطبائی (توفی سنه ۱۴۱۲ه) فقال:

(الذی يدعی إليه الناس بمنطق الدين الإلهی: هو الشرائع والسنن القائمه بمصالح العباد فی حياتهم الدنيويه والأخرويه، لا أنه يضع مجموعه من معارف وشرائع ثم يدّعی أن المصالح الإنسانيه تطابقه وهو يطابقها، فافهم ذلک، وإياک أن تتوهم أن الدين الإلهی مجموعه أمور من معارف وشرائع جافه تقليديه لا ـ روح لها إلا روح المجازفه بالاستبداد، ولا لسان لها إلا لسان التأمر الجاف والتحكم الجافی، وقد قضی شارعها بوجوب اتباعها والانقياد لها تجاه ما هيأ لهم بعد الموت من نعيم مخلد للمطيعين منهم، والعذاب المؤبد للعاصين، ولا ـ ربط لها يربطها بالنواميس التكوينيه المماسه للإنسان الحاكمه فی حياته القائمه بشؤونها القيمه بإصلاحها فتعود الأعمال الدينيه أغلالا غلت بها أيدی الناس فی دنياهم، وأما الآخره فقد ضمنت إصلاحها إراده مولويه

۱– سوره آل عمران، الآيه: ۱۹.

۲– التبيان للشيخ الطوسی: ج۲، ص۴۱۸.

إلهيه فحسب، وليس للمنتحل بالدين فى دنياه من سعاده الحياه إلا ما استلذها بالعاده كمن اعتاد بالأفيون والسم حتى عاد يلتذ بما يتألم به المزاج الطبيعى السالم، ويتألم بما يلتذ به غيره.

فهـذا من الجهل بالمعارف الدينيه، والفريه على ساحه شارعه الطاهره يدفعه الكلام الإلهى، فكم من آيه تتبرأ من ذلك بتصـريح أو تلويح أو بإشاره أو كنايه وغير ذلك.

وبالجمله الكتاب الإلهى يتضـمن مصالح العباد، وفيه ما يصـلح المجتمع الإنسانى بإجرائه فيه، بل الكتاب الإلهى هو الكتاب الذى يشـتمل على ذلك، والدين الإلهى هو مجموع القوانين المصلحه، ومجموع القوانين المصلحه هو الدين فلا يدعو الدين الناس إلا إلى إصـلاح أعمالهم وسائر شؤون مجتمعهم ويسـمى ذلك إسـلاما لله، لان من جرى على مجرى الإنسان الطبيعى الذى خطه له التكوين فقد أسـلم للتكوين ووافقه بأعماله فيما يقتضـيه وموافقته والسـير على المسـير الذى مهده وخطه إسـلام لله سبحانه فى ما يريده منه)(١).

٣ قال الباقلانى (المتوفى سنه ٤٠٣ه) فى معنى الدين:

(فإن قال قائل: فما معنى الدين عندكم؟ قيل له معنى الدين يتصرف على وجوه، منها:

ألف: الدين بمعنى الجزاء؛ ومنه قوله تعالى:

١- تفسير الميزان للسيد الطباطبائى: ج٨، ص٣٠٠.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}(١).

باء: ومنها، قول الشاعر:

واعلم وأيقن أن ملكك زائل

واعلم بأن كما تدين تدان

جيم: وقد يكون بمعنى الحكم كقوله:

{مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ}(٢).

دال: وقد يكون الدين بمعنى الدينونه بالمذاهب والملل، ومنها قوله: فلان يدين بالإسلام أو اليهوديه؛ أى إنه يتدين بذلك على معنى أنه يعتقد وينطوى عليه ويتقرب به.

هاء: والدين أيضاً بمعنى الانقياد والاستسلام لله عزّ وجل، من ذلك قوله:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}(٣).

يريد دين الحق لا على أن اليهوديه لا تسمى دينا فى اللغه وغيرها فى الأديان)(٤).

۴ قال الشهرستانى (المتوفى سنه ۵۴۸ه) فى الملل والنحل فى بيان معنى الدين:

١- سوره الفاتحه، الآيه: ۴.

٢- سوره يوسف، الآيه: ٧۶.

٣- سوره آل عمران، الآيه: ١٩.

۴- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلانى: ص٣٨٧.

(معنى الدين أنه الطاعه والانقياد، وقد قال الله تعالى:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}.

وقد يرد معنى الجزاء، يقال كما تدين تدان، أی كما تفعل تجازی وقد يرد معنی الحساب يوم المعاد والتناد، قال تعالى:

{ذَلِکَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}(١).

فالمتدين هو المسلم المطيع المعز بالجزاء والحساب يوم التناد والمعاد، قال الله تعالى:

{وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}(٢).

ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بنی جنسه فی إقامه معاشه والاستعداد لمعاده، وذلک الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله ويحصل بالتعاون ما ليس له فصوره الاجتماع هذه على الهيئه هی المله، والطريق الخاص الذی يوصل إلى هذه الهيئه هو المنهاج والشرعه)(٣).

ثانيا: الاتجاهات المعاصره لبيان معنى الدين وفهمه

اشاره

هناک اتجاهات ثلاثه معاصره ظهرت فی الساحه الفكريه بين المدارس الشرقيه والغربيه لتنقل فهمها عن الدين وبيان معناه، وذلک حسب الآتی:

١- سوره التوبه، الآيه: ٣٦.

٢- سوره المائده، الآيه: ٣.

٣- الملل والنحل للشهرستانی: ج١، ص٣٨.

ألف: فكره الدين بمنظار رأسمالی برجوازی

يندرج هذا الاتجاه فی ضمن معطيات ثقافيه مستمده من تجرد أصحابها من الاعتقاد بوجود الله عزّ وجل، ومن ثم أخذت تبحث عن البديل فی فهم ما يختلج فی عقل الإنسان وانقياد فطرته إلى اللجوء إلى القوه المدبره لهذا الكون، ولذا؛ حينما انحصر هذا الفهم فی الماده ظل الفهم يدور فی فلكها فنتج عنه تصورات فاسده عن الدين الذی ينقاد له العقل؛ بمعنی: أن لهذا الكون مدبراً واحداً وهو الله تعالی.

أما أول من طرح هذا المجال (فهو توماس غوبس ۱۵۸۸، ۱۶۷۹م) فكوّن فكره عن جوهر الدين مفادها: أنه يقوم على اختلافات تطلقها الدوله، أما التلفيقات الصادره عن غير الدوله فهی مجرد خرافات.

وإن أفكاراً مماثله أطلقها (بينيد يكت) (۱۶۲۲ ۱۶۷۷) تقول: إن جذور الدين كامنه فی عدم ثقه الإنسان بقواه وفی تقلبه الدائم بين الأمل والخوف.

وقدم (جون تولاند) فی أوائل القرن الثامن عشر (عرضاً مفاده، أن أكثر الأشكال تقدماً للدين الوثنی هو الإيمان بالروح ووجودها بعد الموت، وبهذا كشف عن نشوء عباده (عالم الموتی لدی المصريين القدماء).

ويری (بول أندی غولباخ) بأن الدين يرتبط بالخداع، وأن جذوره تتصل بالمآسی والخوف لدی البشر المعذبين، ويری أن البدء كان الخوف لدی البشر المعذبين الأولين، فاعتقدوا أن الكوارث الطبيعيه بالذات ما هی إلا أشياء

مادیه، ثم أصبحوا یخضعون لموجودات غیر مرئیه، وكأنها تقاد وتوجه من هذه الأشیاء، وأخیراً مع تطور تصوراتهم، وتوصلوا إلی فكره وحده السبب الأول (العقل الأسمی، الإله).

وظهر فی نهایه القرن الثامن عشر فی فرنسا المفكران (فولینه) و(دیو بیوی) اللذان توصلا إلی أصل الدین وتطوّره، ودعیت نظریتهما فیما بعد بالطبیعیه أو السماویه، حیث تطور الوعی السماوی (المیثولوجی) عند الإنسان عن العالم.

ثم تطورت المدرسه المیثولوجیه فی بدایه القرن التاسع عشر، حیث تم التوصل إلی أن القدماء كانوا فی معتقداتهم یؤلهون الظواهر السماویه(۱).

باء: التفسیر الأنثروبولجی للدین

حاول فی هذا المنحی (لودفیكل فیورباخ) تفسیر جوهر الدین وجعله مبنیاً علی الأساس البشری الأنثروبولوجی وذلك سنه ۱۸۴۵م، وإن ماده الدین ما هی إلاّ ماده المصالح البشریه ومتطلباتها وأن الآلهه تجسید لرغبات الإنسان.

وبنی (ادوارد تایلور) نظریته الثقافیه البدائیه والتی سماها ب(النظریه الروحیه) (الأنیمیه) حیث یشكل الإیمان ب(الموجودات الروحیه) الحد الأدنی للدین أی الأنفس والأرواح وما یماثلها، لقد تولد هذا الإیمان بسبب الاهتمام

۱- جغرافیه المعتقدات: ص۶۲.

الخاص الـذى أولاه الإنسان البدائى لتلك الظواهر المعينه التى كان يعانيها مع أقرانه: الحلم، الغيبوبه، الهلوسه، الأمراض، وآخرها الموت، ولقصوره فى تكوين فهم صـحيح يفسـر أمثال هذه الظواهر، اسـتقر رأيه على تصوير النفس فيه، مرافقاً صـغيراً يسـتقر فى جسـد الإنسان قادراً على مغادرته لفتره أرواح الأموات ومصائرها وعن انتقال الأنفس إلى أجساد جديـده أو عن عالم خاص بعد الموت وما شابه، وتتحول الأنفس تـدريجيا إلى أرواح ومن ثم إلى آلهه، تنتهى إلى إله واحـد وهكـذا حدث الارتقاء التدريجى من (الأنيمه البدائيه).

وقـد جرت اعتراضـات كـثيره على النظريه الأـنيميه من المـدافعين عن الـدين، الـذين رأوا فى الأـنيميه نقيضـاً للمبـادئ الإـنجيليه الكنيسـيه وظهرت نظريه (التوحيـد البـدائى) كبـديل ونقيض للنظريه الأـنيميه، وقـد أوردت أفكـاراً عن الإـلهيه السـماويه واعتقاد الشعوب القديمه البدائيه فى إله خالق واحد(١).

جيم: النظريه الاجتماعيه فى تفسير الدين

ولد هذا الاتجاه فى أواخر القرن التاسع عشر وهو يؤلف مدرسه فرنسيه اجتماعيه جاء بها (إميل ديور كهايم) (١٨٥٨ ١٩١٧م)؛ إذ أعلن ديوركهايم عن أن الـدين ظاهره اجتماعيه (أشـكال الحياه الـدينيه الأولى، النظام الطموطمى فى أستراليا)، وانتقـد المذهبين الطبيعى (Naturism) والروح (Animism) فى أصـل الـدين، واعتقـد أن المعتقـدات الـدينيه، لم تتولـد لاـ بمراقبه الإنسان للطبيعه الخارجيه ولا بمراقبته للطبيعه الخاصه به، فهذه المعتقدات

١– جغرافيه المعتقدات: ص ٦٢ ٦٣.

أمكن تواجدها فى المجتمع فحسب (التصورات ضمن المجموعات) والتى لا ـ تقتبس بالتجربه بل بالوعى الإنسانى للوسط الاجتماعى.

إن أشكال المجتمع المختلفه ومراحله توجد أشكالاً من الدين مختلفه، وبذلك وجدت نظريته نجاحاً برغم ما انتابها من أخطاء، أبرزها تأكيده على خلود الدين بدوام بقاء المجتمع.

وظهرت إثرها نظريات اجتماعيه أخرى حول الدين منها ما أطلقه الباحثان (د. ديووى وو.جيمس) من وجهه نظر نفعيه (أن الأمر الهام فى الدين ليس ما إذا يستجيب لحقيقه ما قائمه بشكل إيجابى، بل لمجرد ما إذا كانت مفيده للناس أم لا)، وقد وجد الناس الدين نافعاً، فهو إذا حقيقه وفائدته تتجلى بتنظيم المجتمعات وتقديم العون، وإخراج الناس من الفوضى الاجتماعيه(۱).

وهذه التعريفات وإن كانت تقدم تصوراً عن معنى الدين فى الثقافات المختلفه إلاّ أن البحث يرمى إلى أن معنى الدين الذى اتّصف به الخطاب هو الإسلام لاسيما ونحن قد اتخذنا خطاب العقيله زينب بنت على بن أبى طالب عليهما السلام أنموذجاً لهذا البحث لنظهر من خلاله الأدوات التى أمكنت العقيله زينب عليها السلام فى تغييرها للبينه الفكريه فى المجتمعات الإسلاميه التى مرت بها وخطبت الناس فيها لاسيما فى الكوفه وهى عينه البحث والدراسه.

۱- جغرافيه المعتقدات: ص۶۴.

فكان خطابها للجنـد فى كربلاء وإن بـدا مختصـراً على بعض الجمل لكنه أوقع فى النفس من ضـرب السـيوف فضـلاً عن تبعات تلك الألفاظ التى نطقتها ابنه على عليه السلام على مر التاريخ حينما تتجدد تلك الحواضن الفكريه والنفسيه لإنتاج دفعه جديده من تلك العقول التى أقدمت على ذبح ابن بنت نبى الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا:

فلابـد من التفريق بين الإسـلام بثوابته ونصوصه المقدسه وحدوده البينه وبين فهم هذه الثوابت والنصوص وإقحامها فى أنها دينيه لغرض إكسابها صفه الطاعه والانقياد وأقله التأثر بها، ولذا:

لابد من الوقوف عند مرجعيات الخطاب الدينى ومناهله، وهذا ما سنتناوله فى المبحث القادم.

المبحث الثانی: مرجعیه الخطاب الدینی ومناهله

اشاره

قد يبدو العنوان فی بداهته فيكون الجواب لدی القارئ حاضراً فی معرفه مرجعيه الخطاب بصفته (الدينی)، أی لابد أن يستند الخطاب إلی الدين ولابد أن يكون المتلقون متدينين وإن اختلفت لديهم المستويات المعرفيه للدين وتطبيقاته فی الحياه.

وعليه:

يصبح من البداهه بمكان أن يكون القرآن الكريم والسنه النبويه والسلف هم المناهل الأساس لهذا الخطاب الدينی، ومن ثم تصبح الحاكميه للنص، والنص فقط.

والنص حسب تلك المعطيات ينقسم إلی ثلاثه مناهل، وهی:

المسأله الأولی: دور القرآن فی مرجعيه الخطاب الدينی

يعتمد الخطاب الدينی بالدرجه الأساس علی القرآن الكريم فی شحذ الخطاب بنصوصه الشريفه بلحاظ إنه كتاب الله تعالی ومرجع التشريع

الإسلامی الأول فضلاً عن حاکمیته التی یفرضها الإیمان بالله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم بهذا الکتاب الذی نزل به الوحی علیه السلام علی قلب المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم.

ومن ثم اکتساب هذا الخطاب تلک الحاکمیه التی یفرضها الإیمان بالقرآن الکریم وتسییر المجتمع المسلم لهذه الحاکمیه التی انتهل منها الخطاب سلطته علی المجتمع.

ولکن: ثمه مشکله کبیره فی اکتساب الخطاب الدینی قوه الإصلاح المجتمعی حینما یستل منه الخطاب هذه الخصوصیه عند إرجاعه إلی القرآن الکریم لینتهل منه الخطیب أو المتکلم خطابه الدینی، وذلک أن القرآن الکریم فیه المحکم والمتشابه والظاهر والباطن ومن ثم کیف سیصل المتکلم إلی مراد الآیه لیستل منها حاکمیه علی المتلقی؟ والقرآن فیه المحکم والمتشابه والناسخ والمنسوخ؛ وعلیه: فنحن بحاجه إلی أهل القرآن والتأویل لیصح بذلک الأساس الأول فی مرجعیه الخطاب الدینی والذی من خلاله یتحقق الإصلاح.

وفی ذلک یقول أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه الصلاه والسلام:

«یا معاشر الناس سلونی قبل أن تفقدونی، سلونی فإن عندی علم الأولین والآخرین، أما والله لو ثنی لی الوساده لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم، وبین أهل الإنجیل بإنجیلهم، وبین أهل الزبور بزبورهم، وبین أهل الفرقان بفرقانهم، حتی ینهی کل کتاب من هذه الکتب».

ویقول:

«یا رب، إن علیاً قضـی بقضائک، والله إنی لأعلم بالقرآن وتأویله من کل مدع علمه، ولولا آیه فی کتاب الله تعالی لأخبرتکم بما یکون إلی یوم القیامه».

ثم قال:

«سلونی قبل أن تفقدونی، فو الذی فلق الحبه وبرأ النسمه لو سألتمونی عن آیه، آیه لأخبرتکم بوقت نزولها، وفیم نزلت، وأنبأتکم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحکمها من متشابهها، ومکیها من مدنیها، والله ما من فئه تضل أو تهدی إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلی یوم القیامه»(۱).

ولفقدان هذا الاختصاص المعرفی فی القرآن فی بواطنه وظواهره یبقی الخطاب الدینی منذ عهد النبی الأکرم صـلی الله علیه وآله وسلم مقیداً فی عملیه الإصلاح بذلک التخصص القرآنی الذی حدده أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیهما السلام.

إذن:

لم یزل القرآن هو المرجع الأول والمنهـل الأسـاس فی بنـاء مکونـات الخطـاب الـدینی، ویبقی الإصـلاح والإفساد مرهوناً بتلک المعرفه بکتاب الله تعالی، وهو ما جعل هذا الخطاب یتفاوت فی التأثیر فی المجتمعات التی یلقی فیها فضلاً عن الأفراد.

۱- الإرشاد للشیخ المفید: ج ۱، ص۳۵؛ بحار الأنوار للمجلسی: ج ۴۰، ص۱۴۴.

المسأله الثانیه: دور السنه النبویه فی مرجعیه الخطاب الدینی

لا تختلف السنه النبویه عن القرآن الکریم فی کونها الأساس الثانی لمرجعیه الخطاب الدینی وثانی منهل معرفی له، إلاّ أن هناک فرقاً بین القرآن والسنه النبویه فی کونهما المنهلین اللذین یستلهم منهما الخطاب الدینی مادته الخطابیه أو بالأعم مادته المعرفیه.

وهو أن القرآن قد حفظه الله تعالی من التحریف بینما الحدیث الشریف تعرض للدس والتحریف مما حدا بکثیر من العلماء إلی تأسیس علم الرجال والجرح والتعدیل لغرض النظر فی سند الحدیث النبوی الشریف، وذلک لکثره ما تعرض له هذا المنهل المعرفی من الدس والتلفیق والکذب علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ولولا ذاک لما احتاج علماء المسلمین إلی الجرح والتعدیل.

وهذا أولاً.

وثانیاً: حتی مع وجود الجرح والتعدیل وعلم الرجال لم یسلم الحدیث الشریف من التعرض للتحریف والتزییف، وذلک لما مرت به الأمه منذ عهد النبوه من التربص بالنبی صلی الله علیه وآله وسلم وتقلیب الأمور له حتی باتت هذه الحقیقه ظاهره لکل مسلم لاسیما وإن الوحی قد نطق بها واضحه جلیه لمن کان له قلب یفقه به الأمور.

قال تعالی فی بیان خطر المنافقین.

۱ {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَهَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ حَتَّی جاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ

أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ}(۱).

۲ {إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَهٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَهٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ}(۲).

وغيرها من الآيات التى تخبر عن حال تلك الزمره ودورها التخريبى فى المجتمع المسلم؛ والسؤال الذى يفرضه البحث: إذا كان هؤلاء المنافقون هذا فعلهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع الإسلام فكيف حالهم وفعلهم بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن زال عنهم الحذر فيما كانوا يبيتون من المكر والخديعه والضرر بالإسلام والمسلمين.

قال تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ}(۳).

ولعل الرجوع إلى كتب التاريخ والسيره والأدب وغيرها لمراجعه تلك الحقبه الزمنيه وما دار فيها من أحداث ليغنى القارئ والباحث عن إيراد تفاصيل أكثر، ولذا: نكتفى بشاهد عيان على ما حدث وهو من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ألا وهى بضعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ تصف حال المسلمين بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول عليها الصلاه والسلام:

۱- سوره التوبه، الآيه: ۴۸.

۲- سوره التوبه، الآيه: ۵۰.

۳- سوره التوبه، الآيه: ۶۴.

«فلما اختار الله لنبیه صلی الله علیه وآله وسلم دار أنبیائه وأتم علیه ما وعده، ظهرت حسیکه النفاق، وسمل جلباب الدین، ونطق کاظم الغاوین، ونبغ حامل الأقلین، وهدر نیق المبطلین، فخطر فی عرصاتکم، وأطلع الشیطان رأسه صارخاً بکم، فدعاکم وألفاکم لدعوته مستجیبین، وللغره فیه ملاحظین، ثم استهضکم فوجدکم خفافاً وأحمشکم فألفاکم غضاباً، فوسمتم غیر أبلکم، وأوردتم غیر قربکم، هذا والعهد قریب والکلم رحیب والجرح لما یندمل زعمتم خوف الفتنه.

{أَلا فِی الْفِتْنَهِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکَافِرِینَ}(۱)»(۲).

فهذا یدل علی الحاله التی أصبحت علیها الأمه بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم مما دعا بکثیر من أولئک الرموز إلی التحزب والتکتل فانبری منهم من تصدی إلی تسخیر کل الطاقات من أجل إثبات السلطه وتهیئه السبل لمکوث أصحابها فضلاً عن توظیف الإمکانات لخدمه المصالح والمنافع الشخصیه والفئویه والقبلیه، مما انعکس علی روایه الحدیث الشریف فصیغت بصیاغات متقنعه وألفاظ ذات دلالات مسخره لثبوت الملک والسلطنه کما ورد فی صحیح مسلم.

(قال حذیفه بن الیمان: قلت یا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم

۱- سوره التوبه، الآیه: ۴۹.

۲- الدرر النجفیه للمحقق البحرانی: ج۳، ص۳۶۰؛ شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱۶، ص۲۵۱؛ السقیفه وفدک للجوهری: ص۱۴۳.

إنا كنا بِشَرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال:

«نعم».

قلت: هل وراء ذلک الشر خير؟ قال:

«نعم».

قلت: فهل وراء ذلک الخير شر؟ قال:

«نعم».

قلت: كيف؟ قال:

«يكون بعدی أئمه لا يهتدون بهدای، ولا يستنون بسنتی، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فی جثمان أنس!».

قال، قلت: كيف أصنع، يا رسول الله، إن أدركت ذلک؟! قال:

«تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرک وأخذ مالک فاسمع، وأطع»(۱).

والسؤال الذی يفرضه البحث:

۱ إذا كان هؤلاء الأئمه لا يهتدون بهدی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم! ولا يستنون بسنته! وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فی جثمان أنس!!

۱- صحيح مسلم، باب الأمر بلزوم الجماعه عند ظهور الفتن: ج۶، ص ۲۰؛ السنن الكبری للبيهقی: ج۸، ص۱۵۷.

فعلی مـاذا یطیعهم المسـلم وهـذا حـالهم؟!! وأین هـذا من قوله تعـالی الـذی یـأمر النبی الأـکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم بقتال المنافقین والکفار وجهادهم، فقال سبحانه:

{یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ جَاهِدِ الْکُفَّارَ وَالْمُنَافِقِینَ وَاغْلُظْ عَلَیْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِیرُ}(۱).

۲ لا شک أن هؤلاء الأئمه إما یکونون مع السـلطان وإما ضـده، فإن کانوا ضـده قاتلهم وإن کانوا معه بـذل لهم الأموال وهیّأ لهم مصـالحهم وحینهـا مـا هی وظیفه المسـلم حینما یریـد أن یأمر بالمعروف وینهی عن المنکر کوظیفه دینیه وتکلیف شـرعی، أتراه یترک الأـمر بـالمعروف والنهی عن المنکر ویطیع الأـمیر الـذی احتضن هؤلاـء الأـئمه أم یجاهـد أئمه الکفر مهمـا یعرضه لعقوبه الأمیر، کیف سیصنع المسلم؟

۳ هؤلاء الأئمه الذین لا یهتدون بهدی النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم ولا یسـتنون بسـنته ما هی علاقتهم بالأمراء ولماذا یقدمهم النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فی حدیثه علی الأمراء، ومن ثم کیف یتعامل الأمیر مع أولئک الأئمه أتراه یدافع عن سـنه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أم لا؟

۴ والأمر الخطیر کیف یکون حال الأمه الإسـلامیه إذا وظف الأمیر هؤلاء الأئمه الـذین لا یهتدون بهدی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم ولا یستنون بسنته لأغراضه الشخصیه؟! وکیف سیتحقق الإصلاح أم الإفساد فی

۱- سوره التوبه، الآیه: ۷۳.

الخطاب الدینی، بل کیف سیوظّف هذا الحدیث فی خدمه الأمراء والساسه فیکون الخطاب الدینی لا دینیّا إلا بما یخدم الأمراء.

إذن:

یدل هذا الحدیث وغیره علی أن الأساس الثانی لمرجعیه الخطاب الدینی ومنهله المعرفی قد ملأه أولئک المنافقون وأرباب السیاسه والمصالح بالنقائض فأصبح الخلل فی الأسس الذی قام علیها الخطاب الدینی، مما یستلزم تنقیه هذه الأسس تنقیه علمیه شرعیه یکون المرجع فیها الثقلین کتاب الله وعتره رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، کی یأمن المسلم من الضلال وهو ما أوصی به النبی صلی الله علیه وآله وسلم به المسلمین.

قال صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنی تارک فیکم الثقلین أحدهما أکبر من الآخر کتاب الله حبل ممدود من السماء إلی الأرض وعترتی أهل بیتی وإنّهما لن یفترقا حتی یردا علیّ الحوض»(۱).

المسأله الثالثه: دور السلف فی مرجعیه الخطاب الدینی

اشاره

من هم السلف؟

أولاً: السلف لغه

جاءت مفرده السلف فی اللغه علی النحو الآتی؛ قال ابن فارس: السین

۱- مسند أحمد: ج۳، ص۱۴؛ سنن الترمذی: ج۵، ص۳۲۹، برقم ۳۸۷۶.

واللام والفاء أصل يدل على تقديم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا)(١).

وقال ابن منظور: السلف، أى الجماعه المتقدمون(٢).

وقيل: السلف من تقدمك من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك فى السبق والفصل(٣).

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها

قيل فى الفتاوى: السلف هم صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأئمه الهدى من أهل القرون الثلاثه الأولى، الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخير فى قوله:

«خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء أقوام تسبق شهاده أحدهم يمينه ويمينه شهادته».

والسلفيون: جمع سلفى نسبه إلى السلف، وقد تقدم معناه، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسنه والدعوه إليهما والعمل بهما، فكانوا بذلك أهل السنه والجماعه)(٤).

وهذا التعريف يرشد القارئ إلى أن هذه المرجعيه هى أوسع من

١- مقاييس اللغه لابن فارس: ماده سلف.

٢- لسان العرب لابن منظور، ماده سلف.

٣- المصدر السابق.

٤- فتاوى اللجنه الدائمه للبحوث العلميه والإفتاء جمع الدويش: ج٢، ص١٦٥.

المرجعيات السابقه أى القرآن والسنه، وذلك لاشتمالها على جميع الناس فى فتره زمنيه مقدارها ثلاثمائه عام؛ ومن ثم فالخطاب الدينى المعاصر هو أصعب بكثير مما كان عليه أهل القرون الثلاثه أنفسهم وذلك أن أهل القرن الأول وبحسب مقاصد الحديث كانوا يرجعون على القرآن والسنه وأهل القرن الثانى أصعب من القرن الأول بنسبه ما وذلك لرجوعهم إلى الناس فى القرن الأول فضلاً عن القرآن والسنه ناهيك عن احتفاظ الناس بتلك المفاهيم والقيم التى جاء بها الإسلام ولعدم دخول ثقافات وقيم وافده مما يعنى أن الأزمنه المتعاقبه يصبح فيها الخطاب أكثر عسراً لاسيما وقد شهد الحديث الشريف ظاهره تفشى الكذب، فضلاً عن الأيمان الكاذبه والشهاده المزوره لأهل القرن الرابع فكيف بعد مرور أربعه عشر قرناً؟!

وعليه:

فثمه أسئله كثيره يفرضها هذا المصطلح وتعريفه وما استند إليه علماء أهل الجماعه فيما رواه البخارى وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«خير الناس قرنى...»(١).

وهذه الأسئله يفرضها البحث وهى كالآتى:

١ إن الاعتماد على جميع هؤلاء الناس فى ثلاثمائه عام، أى لأجيال

١- صحيح البخارى، كتاب الشهادات: ج٣، ص١٥١؛ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود: ج١، ص٣٧٨.

متعدده فی مرجعیه الخطاب الدینی والانطلاق منهم فی عملیه الإصلاح والإفساد یعد من أکبر المخالفات للقرآن والسنه وذلک:

ألف: قد تحدث القرآن عن الناس فی القرن الأول لاسیما أولئک الذین شهدوا النبی صلی الله علیه وآله وسلم وسمعوه فی مکه والمدینه ومنهم الصالحون والمجاهدون ومنهم من عرفهم القرآن للنبی المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم بالنفاق فکانوا هم:

{الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّی یُؤْفَکُونَ}(۱).

وإن هؤلاء المنافقین الذین ذکرهم القرآن فی سور عده وآیات کثیره وأفرد لهم سورتین تتحدثان عن أحوالهم فکانت سوره التوبه أو البراءه هی أول براءه من الله ورسوله منهم، فضلاً عن تخصیص الوحی لسوره سمیت باسم المنافقون؛ ومن ثم فهؤلاء کانوا من الناس، ومن أهل القرن الأول فکیف یکونون هؤلاء خیر الناس فیما لو تم الإطلاق للفظ الخیریه فکان متلازماً مع لفظ الناس.

باء: إن النبی صلی الله علیه وآله وسلم هو أول من عانی منهم وقد نص القرآن علی مکرهم الذی تزول منه الجبال وفسادهم فی المجتمع فقال عزّ وجل:

{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَهَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَکَ الْأُمُورَ حَتَّی جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ کَارِهُونَ}(۲).

۱- سوره المنافقون، الآیه: ۴.

۲- سوره التوبه، الآیه: ۴۸.

وعليه: فأى خيره لهؤلاء؛ بل إن تردى الخطاب الدينى وانحرافه عن غايته التى جاء بها الإسلام وهو الإصلاح فكان الإفساد ثمره هذا الخطاب أينما حل حينما يرتكز على عدم التفريق بين أهل الصلاح والجهاد من صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين المنافقين منهم.

۲ قد شهدت مصادر المسلمين من السيره والتاريخ والحديث والتفسير والرجال والتراجم والأدب وغيرها على حوادث عديده جرت خلال هذه القرون الثلاثه بل إن القارئ للتاريخ الإسلامى ليجد أن أعظم الحوادث التى وقعت فى الإسلام كانت بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفى النصف الأول من القرن الأول للهجره فسفكت دماء الصحابه وانتهكت حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه بيت الله الحرام وقتل أهل بدر وحنين وقتل الخلفاء.

فأبو بكر مات مسموماً، وعمر بن الخطاب قتل طعناً وبقرت بطنه، وعثمان بن عفان قتل فى داره وأمام نسائه بيد أهل هذا القرن وفيهم صحابه النبى صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأما ما لاقاه أهل البيت النبوى من القتل والانتهاك والسلب ما لم يحدث فى أمه من الأمم فأول المظلومين من آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ولذا: فهو أول من يجثو للخصومه يوم القيامه كما أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأخرجه البخارى فى الصحيح[1].

۱- صحيح البخارى، باب غزوه بدر: ج۵، ص۶.

۳ وثمه سؤال آخر: کیف سیکون شکل الخطاب الدینی فیما لو کان المرجع فیه والمنهل الذی ینهل منه أحد أولئک السلف الذین اشترکوا فی قتل عثمان بن عفان، وکیف یکون الخطاب فیما لو کان المرجع فیه أصحاب معاویه الذین قتلوا عمار بن یاسر؛ وکیف یصنع أصحاب الخطاب الدینی فیما صح عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، إنه قال لعمار بن یاسر علیه الرحمه والرضوان وهو یخبره بما تؤول إلیه عاقبه أمره وخاتمه حیاته، فیقول صلی الله علیه وآله وسلم:

«یا عمار تقتلک الفئه الباغیه»(۱).

فهلاـ کان أصحاب الخطاب الدینی قد نظروا إلی هذا الحدیث النبوی حینما کان أهل الفئه الباغیه هم مرجعهم فی صیاغه خطابهم الدینی، أتری یتحقق الإصلاح فی المجتمع مع وجود البغاء أم أن الإفساد والفساد ثمار الفئه الباغیه؟

۴ کیف نصنع بتلک الاختلافات التی وقعت فیما بینهم، أی الصحابه وقد حمل بعضهم السیف فی وجه البعض الآخر، وکیف نبنی قیم ومفاهیم الخطاب الدینی فی المجتمع؛ بل کیف سیکون مفهوم التدین حینما نجد التأریخ یتحدث عن تعدی بعضهم للحدود الشرعیه کالقتل کما حدث لعثمان بن عفان، وسید الأنصار سعد بن عباده(۲) ضمن مسلسل الاغتیالات، وقتل

۱– مسند أحمد: ج۲، ص۱۶۱، عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ صحیح مسلم، باب: لا تقوم الساعه: ج۸، ص۱۸۶.

۲– المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج۳، ص۲۵۳؛ مجمع الزوائد للهیثمی: ج۱، ص۱۰۶؛ المصنف لعبد الرزاق الصنعانی: ج۳، ص۵۹۷.

طلحه بن عبید الله بسهم رماه مروان بن الحکم فی معرکه الجمل(۱)، فضلاً عن الوقوع فی الزنا کالمغیره بن شعبه(۲)، فأین هذه الأفعال من مفهوم الخیریه وأی نسبه لها من الدین کی یکونوا أهل الدین مثلاً؟!

وعلیه:

فقد توقف بعض حفاظ المسلمین وعلماء العامه والسنه والجماعه فی أن أهل القرون الثلاثه هم خیر الناس وأن هذا الحدیث لا مصداقیه له مع واقع القرآن والسنه والتاریخ وهو ما سنعرض له فی (ثالثاً).

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنه والجماعه فی حصر الخیریه فی أهل القرون الثلاثه الأولی

اشاره

إن المراد من صیاغه هذا الحدیث الذی أخرجه البخاری بعد تعارضه مع القرآن والسنه والتاریخ والعقل هو الترویج لأصحاب الرئاسه وشرعنه جلوسها فی الحکم سواء کانت هذه الرئاسه منتخبه من مجموعه من الناس کما حدث فی سقیفه بنی ساعده، أو من خلال التعیین بالنص کما حدث لعمر بن الخطاب، أو سواء بالشوری کما حدث لعثمان، أو سواء بالمال

۱- مستدرک الحاکم للنیسابوری: ج۳، ص۳۷۰؛ المعجم الکبیر للطبرانی: ج۱، ص۱۱۳؛ تاریخ مدینه دمشق: ج۲۵، ص۱۱۳.

۲- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج۱۲، ص۲۳۶؛ وفیات الأعیان لابن خلکان: ج۶، ص۳۶۵؛ فتح الباری لابن حجر: ج۵، ص۱۸۷

والسيف كما حدث لمعاويه وبنى أميه الذين حولوا الأمر ملكاً عضوضاً يتلاقفونه فيما بينهم امتثالا لوصيه جدهم سيد الأحزاب أبى سفيان بن حرب وقد قال لهم فى خلافه عثمان بن عفان الأموى: تلقفوها يا بنى أميه، تلقف الكره فما هناك جنه ولا نار) (۱).

فى حين لم يشهد الإسلام بيعه حقيقيه لم يسجل التاريخ فيها اعتراضاً لأحد من المسلمين سوى بيعه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليهما السلام فقد هبوا جميعاً لبيعته والأمر لا حاجه إلى تدليل لمن كان له أدنى اطلاع على التاريخ الإسلامى.

ومن هنا:

فإن الخيريه التى نص عليها الحديث الذى اعتمده السلفيون فى كونه أحد مراجع الخطاب الدينى وأوسع مناهله هو فى الحقيقه لا يصمد أمام القرآن والسنه والتاريخ والعقل ومن ثم فقد اعترض عليه بعض علماء أهل السنه والجماعه، فكانت اعتراضاتهم كالآتى:

۱ قال ابن حجر العسقلانى

(وهذا محمول على الغالب والأكثريه، فقد وجد فيمن بعد الصحابه من القرنين من وجدت فيه الصفات المذكوره المذمومه لكن بقله بخلاف من

۱- الفايق فى غريب الحديث للزمخشرى: ج۲، ص۸۸؛ السقيفه وفدك للجوهرى: ص۸۷؛ تاريخ الطبرى: ج۸، ص۱۸۵؛ مروج الذهب للمسعودى: ج۲، ص۳۴۳؛ المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء: ج۲، ص۵۷.

بعـد القرون الثلاـثه فـإن ذلـک کثر فیهم واشـتهر وفیه بیـان من ترد شـهادتهم وهم من اتصف بالصـفات المـذکوره وإلی ذلک الإشاره بقوله ثم یفشو الکذب)(۱).

۲ قال ابن عبد البر

(والذی یصح عندی والله أعلم فی قوله «خیر الناس قرنی» أنه خرج علی العموم، ومعناه الخصوص بالدلائل الواضـحه فی أن قرنه والله أعلـم فیه الکفـار والفجـار کمـا کـان فیه الأخیـار والأشـرار، وکـان فیه المنـافقون والفسـاق والزنـاه والسـراق، کمـا کـان فیه الصدیقون والشهداء والفضلاء والعلماء.

فالمعنی علی هذا کله عندنا أن قوله صلی الله علیه وآله وسلم «خیر الناس قرنی» أی خیر الناس فی قرنی کما قال تعالی:

{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ}(۲).

أی فی أشـهر معلومات، فیکون خیر الناس فی قرنه أهل بدر والحدیبیه، ومن شهد لهم بالجنه خیر الناس إن شاء الله، ویعضد هذا التأویل قوله صـلی الله علیه وآله وسـلم «خیر الناس من طال عمره وحسن عمله» عـد من سـبق له من الله الحسـنی وأصـحابه وبالله التوفیق)(۳).

۱- فتح الباری فی شرح صحیح البخاری: ج۷، ص۶؛ فیض القدیر للمناوی: ج۳، ص۶۳۹.

۲- سوره البقره، الآیه: ۱۹۷.

۳- الاستذکار لابن عبد البر: ج۱، ص۱۹۰؛ التمهید لابن عبد البر: ج۲، ص۲۵۰.

۳ قال المناوی والکلاباذی وغیرهما

(وأما خبر «خیر الناس قرنی» فخاص بقوم منهم والمراد فی قرنی کالعشره وأضاربهم وأما سواهم فیجوز أن یساویهم أفاضل أو أواخر هذه الأمه کالذین ینصرون المسیح، ویقاتلون الدجال فهم أنصار النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإخوانه)(۱).

۴ قال السرخسی

(ففی هذا بیان أن أهل کل عصر یقومون مقامهم فی صفه الخیریه إذا کانوا علی مثل اعتقادهم والمعانی التی بیناها لإثبات هذا الحکم بها من صفه الوساطه والشهاده والأمر بالمعروف لا یختص بزمان ولا بقوم)(۲).

۵ قال ابن تیمیه

(ومما ینبغی أن یعلم أنه وإن کان المختار الإمساک عما شجر بین الصحابه والاستغفار للطائفتین جمیعاً وموالاتهم فلیس من الواجب اعتقاد أن کل واحد من المعسکر إلا مجتهداً متأولاً کالعلماء، بل فیهم المذنب، والمسیء، وفیهم المقصر فی الاجتهاد لنوع من الهوی، لکن إذا کانت السیئه فی حسنات کثیره کانت مرجوحه مغفوره)(۳).

۱- فیض القدیر للمناوی: ج۲، ص۲۳۳.

۲- أصول السرخسی: ج۱، ص۳۱۳.

۳- مجموعه الفتاوی لابن تیمیه: ج۴، ص۴۳۴.

وأقول: ليس كل سيئه تغفرها الحسنات كإدخال الأذى على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآَخِرَهِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا}(۱).

أو قتل النفس المحترمه كعتره النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام.

وعليه:

فهذه الأقوال انطلقت فى رؤيتها للحديث من القرآن والسنه وواقع الحال الذى كان عليه أهل هذه القرون الثلاثه، ومن ثم فإن مرتكزات الخطاب الدينى منذ ظهوره فى المجتمع الإسلامى وإلى يومنا هذا إنما يتجدد هدفه وغايته ونتائجه فى الإصلاح والإفساد من خلال هذه المرجعيات والمناهل لاسيما المرجع الأخير، أى السلف إذ عدم وجود آليات محدده لبناء هذا الخطاب وفهم مفرداته المستمدّه من مرجعياته ومناهله والتساوى فى التقييم لشخصيات القرون الثلاثه صاحب الخطاب الدينى من البدريين كما يأخذ عن سيد الأحزاب وأشياعه إن ذلك لكفيل بتردى هذا الخطاب وتردى نتائجه فى المجتمع.

ولو أردنا أن نتتبع هذه النتائج والفتاوى التى صدرت عن أهل الخطاب الدينى لخرج البحث عن عنوانه ومنهجه ولكن يكفى أن نورد ما بينه نبى الأمه

۱- سوره الأحزاب، الآيه: ۵۷.

وسیدها رسول الله محمد صلی الله علیه وآله وسلم فیما تؤول إلیه الأمه الإسلامیه بفعل هذا الخطاب الدینی؛ فمنها:

۱ روی أحمد فی المسند، (عن أنس بن مالک: أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال:

«إن بنی إسرائیل تفرقت إحدی وسبعین فرقه، فهلکت سبعون فرقه وخلصت فرقه واحده، وإن أمتی ستفترق علی اثنتین وسبعین فرقه فتهلک إحدی وسبعون وتخلص فرقه».

قالوا: یا رسول الله من تلک الفرقه؟ قال:

«الجماعه الجماعه»)(۱).

ونقول:

وإن کان الحدیث الشریف یکشف عن حقیقه ما تؤول إلیه أمه المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم من التفرق والهلاک بفعل الخطاب الدینی لهذه الفرق إلاّ أن الحدیث لم یسلم من أدوات الخطاب (الدینی) کما هو واضح فی ذیل الحدیث الذی یصرح بالوضع والتلفیق، وذلک:

ألف: إن مصطلح الجماعه مصطلح غریب علی عصر النبوه بعکس مصطلح (الأمه) أو (الفرقه) ولذا لم یرد فی أدبیات الحدیث النبوی هذا اللفظ مما یکشف عن أنه دخیل علی الحدیث.

۱- مسند أحمد: ج۳، ص۱۴۶.

باء: إن مصطلح الجماعه ظهر فی الوسط الإسلامی بعد استشهاد الإمام علی علیه السلام حینما بایع الناس الإمام الحسن المجتبی علیه السلام وبعد تلک البیعه وما شهدته الأمه من اقتتال بین شیعه علی بن أبی طالب علیه السلام وشیعه معاویه، وما خلفه من تداعیات عقائدیه وسیاسیه ونفسیه أثرت بشکل أساس فی لجوء الإمام الحسن علیه السلام إلی معاهده الهدنه مع معاویه.

فظهر مصطلح الجماعه آنذاک وسمی هذا العام عام الجماعه(۱).

جیم: لو سلّمنا جدلنا أن الفرقه الناجیه هی الجماعه، أی أهل السنه والجماعه، بمعنی أدق أهل القرون الثلاثه ومن تبعهم بإحسان کالمالکیه والشافعیه والحنابله والحنفیه، فأین أصبحت بقیه هذه الفرق الإحدی والسبعون، أَفَهُمْ من أمه محمد صلی الله علیه وآله وسلم أم أنهم من أهل مله أخری وذلک أن أهل السنه والجماعه هم السواد الأعظم من المسلمین والأمر لا یحتاج إلی دلیل.

والسؤال المطروح: کیف یصبح السواد الأعظم فرقه واحده، ومن بقی من المسلمین وهم بذاک قله مقسمون إلی إحدی وسبعین فرقه موازیه من حیث الدلاله اللفظیه للحدیث مع بقیه الفرق من حیث العقیده ولا أقل الإتباع؟!!

۱- البحر الرائق لابن نجیم المصری: ج۶، ص۴۶۰؛ عمده القاری للعینی: ج۱۳، ص۲۸۲؛ تحفه الأحوذی للمبارکفوری: ج۹، ص۱۹۸.

۲ أخرج محمـد بن إسـماعيل البخـارى فى حجه الوداع عن عبـد الله بن عمر بن الخطاب، قال: (كنا نتحـدث بحجه الوداع والنبى صلى الله عليه وآله وسـلم بين أظهرنا، ولا ندرى ما حجه الوداع، فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر المسـيح الدجال فأطنب فى ذكره، وقال:

«ما بعث الله من نبى إلا أنـذر أمته، أنـذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفى عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أن ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثاً، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أعور عين اليمين كأن عينيه عنبه طافيه.

إلاّ أنّ الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمه يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا؛ ألا هل بلغت؟».

قالوا: نعم، قال:

«اللهم اشهد ثلاثاً، ويلكم أو ويحكم أنظروا لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض!!!»)(۱).

والحـديث الشـريف أخرجه حفاظ المسـلمين فى مصادر عـده ومن طرق مختلفه لأهميته وبيانه لأمر غيبى لما تؤول إليه الأمه وما يصيبها من ابتلاءات كثيره.

والحديث يطرح مجموعه من الأسئله.

۱- صحيح البخارى، باب حجه الوداع: ج۵، ص۱۲۶؛ واللفظ أخرجه أحمد بن حنبل مختصراً فى موارد عده من مسنده.

۱ لمن كان خطابه صلى الله عليه وآله وسلم؟ أليس إلى أصحابه وقد رجعوا من حجه الوداع أو فى أثناء أداء مناسكها كما روى أنه تكلم بذلك فى يوم النحر؟!

۲ إذا كان تحذيره صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه وإنذارهم من الانقلاب على أعقابهم فيرجعون كفاراً يقتل بعضهم بعضاً وقد حصل ذلك، أى قتل بعضهم بعضاً فأى خيريه كانت لأهل هذا القرن وأى صلاح استحقوا فكانوا كما يسميهم اليوم كثير من المسلمين ب(السلف الصالح)؟

۳ كيف سيكون مضمون الخطاب الدينى ومحتواه فيما لو اتبع الخطيب أو المتكلم هذا القاتل دون المقتول كما لو اختار عقيده صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى غاديه الجهنى(۱).

وأوردها خطابه الدينى دون عقيده عمار بن ياسر وهو أشهر من أن يعرف لجلاله قدره وعظيم منزلته فى الإسلام، بل كيف سيكون أثر هذا الخطاب فى الإصلاح والإفساد، وهل للإصلاح موضع فى هذا الخطاب الذى يستمد مضمونه ومفاهيمه من أبى غاديه الجهنى وهو قاتل عمار بن ياسر؟

۴ لا ـ شك أن عقيده أبى غاديه الجهنى كانت ترتكز على حب عثمان ابن عفان، وتتمذهب بمذهب أهل الشام كما نص على ذلك أبو داود

۱- نص على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحمد فى المسند: ج۴، ص۷۶؛ البخارى فى تاريخه الكبير: ج۸، ص۴۲۰؛ ابن حجر العسقلانى فى الإصابه: ج۷، ص۲۵۸، برقم (۱۰۳۷۱).

السجستانی صاحب السنن(۱).

وأن عقیده عمار بن یاسر کانت ترتکز علی حب علی بن أبی طالب علیه الصلاه والسلام، ومن ثم فمرجعیات کلا الخطابین منذ القرن الأول للهجره وإلی یومنا هـذا متضاده ومتباعده وکیف لا وقد وقع السـیف بین العقیدتین فکان الحال الذی أصـبحت الأمه علیه مصداقاً لما أخبر به النبی الأعظم صلی الله علیه وآله وسلم.

فأی من السلف یتبع المسلم؛ ولأی الخطابین یعقل ویؤمن؟!

إنها أسـئله کثیره یفرضـها البحث لاسیما ونحن الیوم نشهد نسخاً لما مرّ من هذه العقائد، بل قد اشترط السلفیون علی من أراد أن یتصف بهم أن یکون علی تلک العقیـده ولأنهم لم یفرقوا بین القاتل والمقتول وبین المؤمن والمنافق فقـد ظل القارئ لا یهتـدی الوجهه التی تأخـذ بیـده إلی الأمان والخلاص من العذاب فی الآخره وذلک أن القاتل والمقتول کلیهما (رضـی الله عنه)؟!! فأین الثواب وأین العقاب، بل علی أی شیء، ولأی حکمه وعله بعث الله الأنبیاء والمرسلین والقاتل والمقتول کلاهما رضی الله عنهما، وهو ما ملئت به کتب الحدیث والرجال؟!

وعلیه: نحتاج إلی معرفه الآلیات التی اتخذها المتکلمون فی فهم النص وبناء الخطاب الدینی، وهو ما نتناوله فی المبحث القادم.

۱- سؤالات الأجری لأبی داود السجستانی: ج۱، ص۱۵۱؛ تهذیب الکمال للمزی: ج۳۳، ص۱۴۵.

المبحث الثالث: آليات فهم النص وبناء الخطاب الديني

اشاره

حينما ينظر الباحث والقارئ إلى تعدد العلوم الإسلاميه أو العلوم الشرعيه ويرى خوض العلماء فيها وتصنيفهم كتباً عنها، فإنه لا شك سينبهر بهذا النتاج الفكرى لاسيما تلك المصنفات التى اهتمت باللغه العربيه والقرآن والحديث والرجال والسيره؛ فضلًا عن خوض غمار الفلسفه والكلام والعقائد؛ وأما الفقه والأصول فلهما الحظ الأوفر من تلك العلوم الإسلاميه والشرعيه.

والمهم فى هذا التنوع العلمى والمعرفى: وضع قواعد وآليات مختصه بهذا العلم أو ذاك، ومن ثم تجد العالم الفقيه له أدواته الخاصه التى يستند إليها فى فهم النص الدينى وكذا المفسر أو الرجالى حتى تكاد تجزم بأن هذه العلوم منعت على العامه لصعوبه غوص بحورها واستخراج مكنوناتها.

ولكن:

حينما تأتى إلى فهم كثير منهم لهذه النصوص التى كانت الماده الأساس فى بناء الخطاب الدينى منذ القرن الأول للهجره وإلى يومنا هذا وتقابلها بما قدمه هؤلاء المصنفون الذين حازوا الفضل والشرف لحملها نجدهم ينسلخون

عن جلدتهم وفكرهم ومعرفتهم فيأخذون ما يناسب عقيدتهم أولاً ومصالحهم ثانياً، وكأنك أمام شخصيه جديده لا علاقه لها بما صنفت وكتبت في العلوم الإسلاميه.

فتبقى حائراً أمام بعض التساؤلات، والفرضيات، وهي:

أولاً: كتمان الحقائق

أتراهم يكتمون ما أنزل الله وذلك أن الله عز وجل لا يريد ظلماً للعباد، وأنه عادل لا يعذب بريئاً بذنب غيره ولا يأخذه بجريره كافر أو ظالم، وقد قال سبحانه:

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(۱).

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفه

أم إنهم علموا شيئاً وغابت عنهم أشياءُ كما هو حال (الصحابي) أبي غاديه الجهني حينما تنازع مع رجل من أهل الشام كان يقاتل مع معاويه في صفين على حمل رأس الصحابي الجليل عمار بن ياسر إلى الصحابي معاويه بن أبي سفيان لغرض الحصول على الجائزه النقديه، كما يروي لنا كلثوم بن جبر قال:

۱- سوره البقره، الآيه: ۱۷۴.

(سمعت أبا غاديه الجهنى يقول: حملت على عمار بن ياسر يوم صفين فدفعته فطعنته فألقيته عن فرسه وسبقنى إليه رجل من أهل الشام فاحتز رأسه فاختصمنا إلى معاويه فى الرأس ووضعناه بين يديه كلانا يدعى قتله وكلانا يطلب الجائزه على رأسه، وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص.

فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار:

«تقتلك الفئه الباغيه(۱)، بشر قاتل عمار بالنار».

فتركته من يدى، فقلت: لم أقتله، وتركه صاحبى من يده وقال: لم أقتله؛ فلما رأى ذلك معاويه أقبل على عبد الله بن عمرو، فقال: ما يدعوك إلى هذا؟

قال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قولاً فأحببت أن أقوله)(۲).

والحادثه تكشف عن جمله من الأمور:

۱ إما أن (الصحابى) أبى غاديه الجهنى لم يكن قد سمع حديث رسول

۱- صحيح مسلم، باب لا تقوم الساعه: ج۸، ص۱۸۶؛ سنن الترمذى: ج۵، ص۳۳۳؛ فضائل الصحابه للنسائى: ص۵۱.
۲- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج۴۳، ص۴۷۴؛ بغيه الطالب فى تاريخ حلب لابن العديم: ج۱۰، ص۴۴۹۷؛ الجوهره للبرى: ص۱۰۱؛ كنز العمال للهندى: ص۵۳۷.

الله صلى الله عليه وآله وسلم فى عمار وإن قاتله فى النار فعلم شيئاً وغابت عنه أشياء.

۲ وإما أنه علم بذلك ولكنه أراد أن يبرئ نفسه من الجريمه التى ارتكبها.

۳ إن كثيراً من الصحابه كمعاويه بن أبى سفيان وعمرو بن العاص قد كتموا ما أنزل الله سبحانه وظلموا المسلمين فى قتالهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يقاتلون مع على بن أبى طالب عليه السلام.

۴ أو أن المال والجوائز التى كان يبذلها معاويه قد غيرت عقائد الناس.

وعليه:

يبقى التضليل وكتمان ما أنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والسعى وراء السلطه وبذل الأموال هى العوامل الأساسيه فى فهم النص وبناء الخطاب الدينى.

وإن كثيراً من الخلف هم أبناء أولئك السلف وأنهم ورثوا ما عليه معاويه ابن أبى سفيان وعمرو بن العاص وأبو غاديه الجهنى ليقابلوا بهذا الإرث الذين ورثوا عقيده عمار بن ياسر وأبى ذر الغفارى وعلى بن أبى طالب عليه السلام.

ومن ثم فإن آليات فهم النص وبناء الخطاب الدينى لن تخرج عن تلك الثوابت العقديه والنشئويه التى تغلغلت فى قلوب السلف ونشأ عليها الخلف.

ثالثاً: ذريعه الاجتهاد الخاطئ وصريح مخالفته للقرآن والسنه

يكاد يجزم الباحث أو القارئ للمصنفات الإسلاميه التى أخذت على عاتقها سيره السلف وما وقع بين الصحابه خلال القرن الأول وما تبعهم عليه التابعيون فى القرن الثانى والتزم به السائرون لأولئك فى القرن الثالث إلا ووجد قاعده ثابته فى رسم العقيده وأداه فاعله فى فهم النص وبناء الخطاب الدينى ألا وهى: أنهم اجتهدوا فإن أصابوا فللمصيب أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد(١).

وقد حرص السلفيون على ترسيخ ذلك فى أذهان الناس لما له من تأثير كبير فى حجيه المعرفه وتسييس الناس لعقيدتهم فانبرى لهـا متكلموهم، وفى ذلك تقول اللجنه الـدائمه للإفتاء: (مـذهب أهل السـنه والجماعه الكف عما شـجر بين أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم والترضـى عنهم جميعـاً، واعتقاد أنهم كانوا مجتهـدين فيما عملوا فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر وخطؤهُ مغفور)(٢).

فى حين أن هـذه القاعـده خاصه بمن بلغ درجه الاجتهاد فى القضاء والفقه وليس لعامه الناس سواء كانوا من أهل القرون الثلاثه أو ممن تلاهم وإلا لأصبح جميع المسلمين قضاه وفقهاء بحيث يعمل كلٌّ منهم برأيه ويشرع

١- أنظر فى هذه القاعده على سبيل الاستشهاد وليس الحصر: المحصول لفخر الدين الرازى: ج٤، ص٣٤٣.

٢- اللجنه الدائمه للإفتاء لأحمد بن عبد الرزاق الدويش: ج٣، ص٢٨٧.

فی دین الله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم ما یشاء بناءً علی قاعده حصول الأجر فی کلتا الحالتین فی الصواب والخطأ.

فضلاً عن أن حمل ما شجر بین الصحابه علی الاعتقاد بأنهم کانوا مجتهدین یثیر مجموعه من الأسئله:

١ کیف یمکن الاعتقاد بأمرٍ فیه مخالفه صریحه للقرآن والسنه المحمدیه فمنهم من کان منافقاً وقد تبرأ الله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم منهم.

وعلیه: کیف یصبح عمل المنافق فی حربه لله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم اجتهاداً والله یأمر النبی صلی الله علیه وآله وسلم بجهادهم فیقول:

{یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ جَاهِدِ الْکُفَّارَ وَالْمُنَافِقِینَ وَاغْلُظْ عَلَیْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِیرُ}(١).

٢ إن الله تعالی یقول فی محکم التنزیل:

{إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِی الدُّنْیَا وَالآَخِرَهِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِینًا}(٢).

فکیف یکون من قتل علی بن أبی طالب علیه السلام أو من قتل ریحانه النبی صلی الله علیه وآله وسلم وقتل بضعته فاطمه صلوات الله علیها وقتل أصحابه کعمار بن یاسر وأبی ذر الغفاری علیهم الرحمه والرضوان وإن القاتل

١- سوره التوبه، الآیه: ٧٣.

٢- سوره الأحزاب، الآیه: ٥٧.

مغفور له؟

٣ أيكون قاتل عمر بن الخطاب وقاتل عثمان بن عفان مأجوراً ومغفوراً له لأنه اجتهد فى القتل.

أم آن الأمر خاص بقتله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحزبهم؟!

٤ كيف بالمسلم أن يأخذ دينه فى الفروع وعقيدته فى الأصول من الصحابه وقد كفر بعضهم بعضاً فقتلوا بالتكفير، بمعنى أدق ممن يأخذ المسلم دينه وقد أمر بالرجوع إلى الصحابه وقد كفر بعضهم بعضاً كما ورد فى الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى؟

٥ ثم إن السؤال المهم الذى ينبغى الوقوف عنده طويلاً.

على ماذا اختلف الصحابه وتشاجروا وتقاتلوا؟ أعلى الدنيا أم على الدين؟

فإن كان تشاجرهم على الدنيا فهذا أولى بالإعراض عنهم وإن اختلفوا وتقاتلوا على الدين فمعنى ذلك أن منهم من كان على الحق ومنهم من كان على الباطل وهو ما دل عليه الحديث النبوى الصحيح الذى أخرجه غير واحدٍ من أئمه الحديث، عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«يرد عليّ يوم القيامه رهط من أصحابى فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابى، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»(١).

١- صحيح البخارى، كتاب الرقاق: ج٧، ص١٦٩.

وفی لفظ آخر رواه أبو هریره عنه صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال:

«بینا أنا قائم فإذا زمره حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال: هلم، فقلت: أین قال: إلی النار والله! قلت: وما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری.

ثم إذا زمره حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال: هلم، قلت: أین؟ قال: إلی النار والله! قلت: ما شأنهم؟! قال: إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری، فلا یخلص منهم مثل همل النعم»(۱).

وهو مثال یضرب القله، فأی اجتهاد هذا وأی أجر، وأی ذنب مغفور للمذنب منهم والنبی صلی الله علیه وآله وسلم یخبر بأن کثیراً منهم إلی النار؟!

فضلًا عن ذلک:

فإن أئمه المذاهب الإسلامیه قد أسسوا لمقتضی الاجتهاد ودوافعه وشروطه وإن الصحابه أو غیرهم من المسلمین لا یحق لهم الاجتهاد فیما یقابل النص ومن ثم فإن الاعتقاد بأنهم اجتهدوا فهو بدعه ومحدثه أرید منها إضلال المسلمین وبقاء نفوذ أصحابها والقائلین بها واستغلال عفویه الناس وقله اطلاعهم، وإلا فإن أصل الحدیث مقید بالحاکم الذی أوکل إلیه القضاء ولیس عامه الصحابه أو التابعین.

ومما یدل علیه:

۱- المصدر نفسه.

مجموعه من أقوال أئمه المذاهب الإسلاميه من أهل السنه والجماعه وهی کالآتی:

۱ قال إمام المذهب الشافعی، بعد أن أورد الحدیث النبوی الشریف الذی أخرجه أئمه الحدیث عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول:

«إذا حکم الحاکم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حکم فاجتهد فأخطأ فله أجر»(۱).

قال الشافعی: (ومعنی الاجتهاد من الحاکم إنما یکون بعد أن لا یکون فیما یرید من القضاء فیه کتاب ولا سنه ولا أمر مجتمع علیه؛ فأما وشیء من ذلک موجود فلا).

فإن قیل: فمن أین قلت هذا وحدیث النبی صلی الله علیه وآله وسلم ظاهره الاجتهاد؟ قیل له: أقرب ذلک قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم لمعاذ بن جبل: (کیف تقضی؟)، قال: بکتاب الله عز وجل، قال: (فإن لم یکن؟)، قال: فبسنه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، قال: (فإن لم یکن؟)، قال: أجتهد رأیی؛ قال: (الحمد لله الذی وفق رسول، رسول الله لما یحب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم).

فأخبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم أن الاجتهاد بعد أن لا یکون

۱- صحیح البخاری، کتاب الاعتصام: ج۸، ص۱۵۷؛ مسند أحمد: ج۴، ص۱۹۸، من حدیث عبد الرحمن بن حسنه.

كتاب الله ولا سنه رسوله؛ ولقول الله عز وجل:

((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ))، وما لم أعلم فيه مخالفاً من أهل العلم.

ثم ذلك موجود فى قوله: (إذا اجتهـد) لأن الاجتهاد ليس بعين قائمه وإنما هو شـىء يحدثه من قبل نفسه، فإذا كان هذا، فكتاب الله والسنه والإجماع أولى من رأى نفسه، ومن قال الاجتهاد أولى خالف الكتاب والسنه برأيه)(١).

٢ وقد أفرد له ابن حجر العسقلانى باباً فى فتح البارى، فقال تعقيباً ومبيناً للحديث:

(يشير إلى أنه لا يلزم فى رد حكمه أو فتواه إذا اجتهـد فأخطأ أن يأثم بـذلك، بل إذا بذل وسعه أجر فإن أصاب ضوعف أجره لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم)(٢).

٣ جمع ابن عبد البر أقوال أئمه المذاهب فى كتابه جامع بيان العلم فكان مما أورده بعد أن ذكر حديث رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: (قـال الشـافعى ومن قـال بقوله: يؤجر ولكنه لا يؤجر على الخطأ، لأن الخطأ فى الـدين لم يؤمر به أحـد، وإنما يؤجر لإرادته الحق الذى أخطأه.

قال المزنى: فقد أثبت الشافعى فى قوله هذا أن المجتهد المخطئ أحدث فى

١- كتاب الأم للشافعى: ج۶، ص٢١۶.

٢- فتح البارى لابن حجر العسقلانى: ج١٣، ص٢۶٧.

الدين! ما لم يؤمر به ولم يكلفه وإنما أجر فى نيته لا فى خطئه.

ثم ينتقل ابن عبد البر إلى المذهب المالكى فيروى عن ابن وهب، قال: سمعت مالكا يقول: من سعاده المرء أن يوفق للصواب والخير، ومن شقوه المرء أن لا يزال يخطئ وفى هذا دليل المخطئ عنده وإن اجتهد فليس بمرضى الحال.

وذكر ابن عبد البر قول إسماعيل القاضى فى المبسوط، فقال: وليس يجوز لمن لا يعلم الكتاب والسنه، ولا ماضى عليه أولو الأمر أن يجتهد رأيه فيكون اجتهاده مخالفاً للقرآن والسنه)(١).

وعلى هذا يكون سنام الاجتهاد وقوامه معرفه القرآن والسنه وعدم مخالفتهما، أما إذا كانت هناك مخالفات صريحه وعلنيه للقرآن الكريم والسنه فلتصق هذه الانتهاكات للحرمات بالاجتهاد فهذا بدعه وكل بدعه ضلال وصاحبها فى النار.

وعليه:

فإن هذه الآليات فى فهم النص القرآنى والنبوى تحت ذريعه الاجتهاد فإن أخطأ الصحابى فله أجر وإن أصاب فله أجران أثرت بشكل كبير فى عقيده المسلم ورسمت صوره سيئه عن كثير من الشخصيات الصالحه التى أفنت سنين عمرها فى نصره القرآن والسنه المحمديه فأبعد الصحابه النجباء المخلصون وقرب أولئك المعادون لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذين كان النفاق سمتهم وتحقيق المصالح والمغانم هدفهم مما غير أبنيه الخطاب

١- جامع البيان وفضله لابن عبد البر: ج٢، ص٧٢ ٧٣.

الـدینی منذ القرن الأول وإلی یومنا هذا، فقدس من أراد له أصـحاب المنابر والفتاوی أن یتقدس وکفّر من أراد أن یکفّر، وغض الطرف عـن کتـاب الله ورسـوله صـلی الله علیه وآله وسـلم، وهم ینـادون علی المنـابر سـنه رسـول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وصحابته!!

وقد قتلوا السـنه کما قتلها أسـلافهم؛ حینما قتلوا الصـحابه النجباء کعمار ابن یاسر وحجر بن عدی، ومحمد بن أبی بکر؛ وأبی ذر الغفاری؛ وغیرهم وقتلوا السـنه حینما أعلنوها حرباً ضـروساً علی آل محمد صـلی الله علیه وآله وسـلم فبین أضلاع مهشمه وجنین مخضّبٍ بدمائه، ومحراب غسل بدماء صاحبه، ورأس علی الرمح یدار به فی بلاد المسلمین وفیهم الصحابه والتابعون والرأس یتلو القرآن؛ فهذا کله خطأ مغفور؛ بل مأجور صاحبه؟!!

{..وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِکَ هُمُ الْکَافِرُونَ}(۱).

{...وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(۲).

{...وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِکَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}(۳).

أفی حکم الله تعـالی أن یقتـل هؤلاـء الطـاهرون وتسـفک دمـاء أولئک النجباء الصالحین، مالکم کیف تحکمون؟! وأی خطاب (دینی) هذا الذی تزعمون؟!

۱- سوره المائده، الآیه: ۴۴.

۲- سوره المائده، الآیه: ۴۵.

۳- سوره المائده، الآیه: ۴۷.

المبحث الرابع: تقديس النص أم نص القداسه ودوران الخطاب الدينى بينهما

اشاره

إن النتائـج التى خلص إليها البحث من خلال العرض السابق تقودنا إلى المواضـيع التى سـنتناولها خلال هذا المبحث، وذلك أن العنصـر الأسـاس فى بنـاء الخطـاب الـدينى هو النص القرآنى والنبوى مما أكسـبه - أى الخطاب الـدينى - صـفه القـداسه، فيلزم بالمسلم الانقياد إليه والتسليم له.

المسأله الأولى: القداسه الذاتيه والإلتصاقيه

إلا أنّ المشـكله الحقيقيه هى حينما ينتقل التقديس إلى القائل بالنص دون أن يكون له قدسـيه فيكون النص الذى ينطق به من لا أصل قرآنياً أو نبوياً لتقديسه مقدساً.

بمعنى:

يكون الخطاب مكتسباً لصفه القداسه من موردين:

١ أن يكون الخطاب محتوياً على نصوص مقـدسه، وهذا يلزم أن يكون هذا النص صادراً من القرآن أو النبى صـلى الله عليه وآله وسلم أو ممن

أکسبه النبی صلی الله علیه وآله وسلم والقرآن قدسیه فیکون کلامه ملازماً للقرآن والنبی صلی الله علیه وآله وسلم، وهذا المعنی محصور فی العتره النبویه لتضافر النصوص القرآنیه والنبویه فیهم فکانوا عدل القرآن وثقله فی الأمه.

۲ أن یکون الخطاب صادراً عن أشخاص کانت قداستهم التصاقیه ولیست ذاتیه؛ وذلک لأنهم غیر منصوص علیهم بالتقدیس بل لاصقوا الدین فأصبح خطابهم دینیاً ومن ثم مقدساً ویلزم الأخذ به کالمجتهد الذی قد یصیب أو یخطئ، وکالصحابی الذی یکون مخلصاً ومتقیاً أو منافقاً؛ وذلک أن الملاک والضابطه التی أسسها السلف فی اکتساب الصحابی أو التابعی أو المجتهد أو القاضی لیس التقوی وطاعه الله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم وإنما لأنه ملتصق بالمقدس، وهو ما دأب علیه السلف فی إطلاق صفه الصحبه علی کل من رأی النبی صلی الله علیه وآله وسلم أو سمع منه؛ واکساب الصحبه رتبه من القداسه لا یعلوها شیء، وإن کان هذا الصحابی قاتلاً کأبی غادیه الجهنی، أو زانیاً کالمغیره بن شعبه(۱) أو مستمعاً للغناء(۲)؛ وفی ذلک یقول القرطبی وغیره:

(ذهب معظم العلماء وإن من صحب النبی صلی الله علیه وآله وسلم ورآه ولو مره فی عمره أفضل ممن یأتی بعده، وإن فضیله الصحبه لا یعدلها

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱۲، ص۲۳۶؛ وفیات الأعیان لابن خلکان: ج۶، ص۳۶۵؛ فتح الباری لابن حجر، باب: شهاده القاذف والسارق: ج۵، ص۱۸۷.
۲- صحیح البخاری، کتاب المناقب، باب: قصه الحبش: ج۲، ص۲۹، وکتاب العیدین، باب: سنه العیدین لأهل الإسلام: ج۲، ص۶۰۷.

عمل)(١).

إنّ هـذا التقديس الالتصاقى برؤيه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم والذى روّج له أصـحاب الخطاب الدينى لو بحثنا عنه فى القرآن والسنه لم نجـد له أثراً؛ وذلـك أن الأسـاس الـذى يلزم المسـلم بتقـديس رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وإجلالـه وإكرامه جاء فى القرآن من خلال تقـديس النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم للحكم الإلهى فأمر الله ونهيه هما أقـدس من الرسـل والأنبيـاء عليهم السـلام عنـد الله تعـالى ومـا تقديسـهم إلا لأنهم المأمون على وحى الله وشـرائعه ودينه؛ ولقـد بيّن القرآن الكريم فى جمله من الآيات المباركه منزله الحكم الشرعى عند الله تعالى، فقال سبحانه:

١ {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ}(٢).

٢ {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}(٣).

وهـذا التشديـد الإلـهى الـذى أظهره القرآن إنمـا لبيان منزله الحكم الشـرعى عنـد الله تعالى وتقـديسه وإن ارتفاع الإنسان يكون بـذلك الالتزام والتسـليم لـدين الله تعالى ومنه اكتسبت الأنبياء والمرسـلون والأولياء والصالحون منازلهم وفى ذلك قال سـبحانه وتعالى:

١- تفسير القرطبى: ج۴، ص ۱۷۱؛ فيض القدير للمناوى: ج ۱، ص ۲۷۱.

٢- سوره الحاقه، الآيات: ۴۴ ۴۷.

٣- سوره ق، الآيه: ۱۸.

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}(۱).

ولأنه قول رسول كريم، فقد جعل الله تعالى طاعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم طاعته ومعصيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم معصيته فقال عز وجل:

۱ {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}(۲).

۲ {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(۳).

۳ {...وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا}(۴).

ولذلک:

إن مجرد النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكسب الناظر صفه الصحبه، وإن هذه الصفه (لا يعدلها عمل)! وإن الصحابى (مغفور خطؤه)، بل وله أجر على هذا الخطأ لأنه اجتهد وإن كان هذا الاجتهاد نتيجه التعدى لحدود الله تعالى كالقتل العمدى، لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته؛ أو لممارسه الزنى وشرب المسكر وغيرها من الكبائر التى

۱- سوره الحاقه، الآيه: ۴۲.

۲- سوره المائده، الآيه: ۹۲.

۳- سوره النور، الآيه: ۵۶.

۴- سوره الأحزاب، الآيه: ۳۶.

تمارس علی مرأی ومسمع بین أهل زمانه صلی الله علیه وآله وسلم؛ إن کل ذلک الذی انطوی تحت صفه الصحبه یعدّ تعدیاً وانتهاکاً لحدود الله تعالی.

وقد قال سبحانه فی محکم التنزیل:

{وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَیَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِیهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِینٌ}(۱).

وعلیه:

فهذه المقوله فی اجتهاد الصحابه وإن أخطأ أحدهم مغفور، بل ومأجور علیه وإن کان هذا الخطأ فیما شجر بینهم فی القتل وغیره فهو مخالف لصریح القرآن بل إن التعدی للحدود ا لإلهیه مأواه جهنم خالداً فیها وله عذاب مهین.

{قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلاّ بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا أَبَدًا}(۲).

وعلیه:

تلک الهاله من القداسه التی خلقها الذین أسسوا الظلم لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وعترته وأصحابه هم أصحاب الکراسی والرئاسه، سواء کانت فی الخلافه أو فی إمامه المسجد أو فی دار الفتوی وقد کرس لها أصحاب

۱- سوره النساء، الآیه: ۱۴.

۲- سوره الجن، الآیتان: ۲۲ ۲۳.

هـذه الرئاسه كل ما تحتاج إليه هـذا الهاله من القـداسه، وذلك لإيمانهم أنهم أحـد أفرادها ومن ثم فالمساس بها هو مساس بهم وإن تعظيمها هو تعظيم لهم.

مما انعكس سلباً على تفكير المسلم ومستواه المعرفى فبات وكأنه إنسان قد قدم من كوكب آخر أو أنه يعيش فى عالمه الخاص الـذى يكافح فيه بين مقتضيات الفطره والعقل وبين هـذا الموروث الذى كبله فلم يعد يعرف من الإسـلام سوى تلك الخطابات التى إن تجددت فهى تدور بين تكفير المسلمين أو تقصير الثياب أو إطلاق اللحى أو اجتناب كل ما فيه تاء التأنيث.

أما كيف عاش البدريون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف لزموا سنته صلى الله عليه وآله وسلم أو كيف دافعوا عن الإسـلام تحت رايته فعرفوا القرآن وعتره نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وساروا بهـديهم وميزوا بين الحق والباطـل، فأولئك مبعدون ولا نصيب لهم فى بيان عقائدهم التى كانوا يقاتلون بها تحت رايه على بن أبى طالب عليه السـلام ويستشهدون فى ساحات الوغى وهم يـذبون عن الإسـلام أهل الفئه الباغيه، فهـذا وغيره لا تجـد له فى الخطاب (الدينى) نصيباً؛ لأنه ليس من دينهم فى شىء.

من هنا:

إن الخطاب الـدينى حينما يرتكز على تلك المبتنيات والآليات فهو لا يقـدم سوى مزيـدٍ من التردى والإفساد وأقله التردد والحيره فى التشخيص بين الحق والباطل، ولعل خير شاهدٍ على هذا التردى ما قام به الشوكانى فى تأويله

للحديث المنسوب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أجر المجتهد فى الصواب والخطأ، فيقول:

(ليس لأحد من العلماء المختلفين، أو من التابعين لهم والمقتدين بهم أن يقول: الحق ما قاله فلان دون فلان، أو فلان أولى بالحق من فلان؛ بل الواجب عليه إن كان ممن له فهم وعلم وتمييز أن يرد ما اختلفوا فيه إلى كتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فمن كان دليل الكتاب والسنه معه فهو على الحق وهو الأولى بالحق.

ومن كان دليل الكتاب والسنه عليه لا له كان هو المخطئ، بل هو معذور!!!، بل مأجور!! كما ثبت فى الحديث الصحيح:

(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر) فناهيك بخطأ يؤجر عليه فاعله.

ولكن:

لا يجوز لغيره أن يتبعه فى خطأه، ولا يعذر كعذره ولا يؤجر كأجره، بل واجب على من عداه من المكلفين أن يترك الاقتداء به فى الخطأ ويرجع إلى الحق الذى دل عليه الكتاب والسنه.

وإذا وقع الرد لما اختلف فيه أهل العلم إلى الكتاب والسنه كان من معه دليل الكتاب والسنه هو الذى أصاب الحق ووافقه، وإن كان واحدا، والذى لم يكن معه دليل الكتاب والسنه هو الذى لم يصب الحق، بل أخطأه، وإن كان عددا كثيرا، فليس لعالم ولا لمتعلم ولا لمن يفهم وإن كان مقصرا أن

يقول: إن الحق بيد من يقتدى به من العلماء، إن كان دليل الكتاب والسنه بيد غيره.

فإن ذلك جهل عظيم، وتعصب ذميم، وخروج من دائره الإنصاف بالمره، لأن الحق لا يعرف بالرجال، بل الرجال يعرفون بالحق)(۱).

ويدل قول الشوكانى على حجم التردد والحيره فى قول الحق وإنصاف القارئ وذلك لالتصاق صفه القداسه بالصحابه التى منعته من البيان الصريح فأوكل الأمر بعنق المسلم، وكيف يستطيع المسلم أن يستخرج الحق من الكتاب والسنه وكيف سيأخذ دينه والصلاه والصوم وغيرها من الفروع والعقائد وقد اختلف فيها الصحابه والمجتهدون، أىّ ضياع للمسلم أعظم من هذا الضياع؟!

المسأله الثانيه: القداسه بين مقتضيات الملک ومقتضيات الدين

لما رأى الحكام الذين جلسوا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن بقاءهم فى السلطه مرتكز على تقديس الناس لدينهم فقد جهدوا فى إلصاق صفه القداسه بهم فاتخذت مسمّيات وصفات تعزز فى أذهان الناس هذه القداسه، فهذا خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذاک خليفه المسلمين، وهذا والى الخليفه، وهذا قاضى الخليفه، وهذا إمام المسلمين، وغيرها من الصفات التى مفهومها ودلالتها ترتكز على القداسه الملتصقه

۱- شرح الصدور للشوكانى: ص۳.

بالـدين؛ والعله فى ذلك أن بعض الصـحابه جلسوا على كرسـى الحكم وبيـدهم كانت السـلطه التشـريعيه والسياسـيه ومن بعدهم جلس التـابعيون؛ ومن ثم فهم بين مقتضـيات الملـك ومقتضـيات الـدين، ولأـن الـدنيا والآخره لا يجتمعان فقـد لزم الأمر تصـنيع القداسه بهذه الصفات، وإصباغها بهذه الصبغه، ومن ثم أكسبتهم هذه الصفات حصانات متعدده، فكانت منها:

١ إن خطأ أحدهم مغفور(١)، بل ومأجور عليه فاعله(٢).

٢ تحريم الدخول فيما شجر بينهم وما وقع منهم من الأخطاء والبغى والحديث عنه(٣).

٣ إن طاعتهم مبرئه للذمه ولذا: يجب العض عليهم بالنواجذ(٤).

٤ إن الاقتداء بأى أحد منهم يجر صاحبه إلى الهدايه، فهم كالنجوم، وإن كان هذا الواحد مخالفاً للإجماع(٥).

٥ إن الله رضى عنهم جميعاً كما رضى عن التابعين لهم(٦).

١- مجموعه الفتاوى لابن تيميه: ج٣، ص١٥٤.
٢- شرح الصدور للشوكانى: ص٣.
٣- مجموعه الفتاوى لابن تيميه: ج٤، ص٤٣٤.
٤- مسند أحمد: ج٤، ص١٢٦؛ سنن الترمذى: ج٤، ص ١٥٠.
٥- أصول السرخسى: ج١، ص٣١٦.
٦- وهـذه الحصـانه استمدت من قوله تعالى ((والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصارى والـذين اتبعوهم بإحسان رضـى الله عنهم ورضوا عنه وأعـد لهم جنـات تجرى تحتهـا الأنهار)) سوره التوبه، الآيه: ١٠٠. وتغافـل المتأوّلون للآيه المباركه عن ((من)) التبعيضيه، أى بعض المهاجرين والأنصار مع كونهم من السابقين الأولين للإسلام إلا أن كل ذلك لم يكن دالاً على اختصاصهم بأجمعهم برضا الله تعالى ومن ثم يكون تسويقها بمفهوم رفع القلم عنهم مخالفاً للقرآن الكريم.

۶ إن سبهم كبيره ليس لها مغفره وأن الساب لأحدهم عليه لعنه الله والملائكه والناس أجمعين(۱)؛ فكيف بمن يلعنهم؟

فهذه الحصانات وغيرها لم ينتفع بها الصحابه أنفسهم، بل انتفع بها الحكام والمتزلفه لهم ووعاظهم وأصحاب الفتوى لديهم، وأصحاب الخطاب الدينى فى كل زمان تلوكه ألسنتهم حيث ما وجدت مصالحهم، فكان الإصلاح للناس ينطلق من تلك المفاهيم حيثما قال صاحب القداسه فكل ما نطقت به شفتاه فهو نص مقدس؛ ولذا لزم تنفيذه سواء كان اجتهاد قداسته (الذبح) كما ذبح ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسحق بدنه بحوافر الخيل التى كانت هذه الأخرى مقدسه فقد أسماها عمر بن سعد (خيل الله).

فقال: (يا خيل الله اركبى وأبشرى)(۲)، أو بسلب بنات رسول الله وعلى وفاطمه صلوات الله عليهم أجمعين فقد كان سلباً مقدساً أيضاً فقد اجتهد التابعى عمر بن سعد بن أبى وقاص بحرق بيوتهن فكان نصه مقدساً ولذا تسارع جنده لأمر قداسته وإلى يومنا هذا، فدم الشيعه مباح بل ويتقرب به إلى الله كما فعل خليفه المسلمين وواليه فى يوم عاشوراء بآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

۱- تفسير القرطبى: ج۱۶، ص۲۹۶.

۲- تاريخ الطبرى: ج۴، ص۳۱۵؛ الإرشاد للمفيد: ج۳، ص۸۹؛ أنساب الأشراف للبلاذرى: ج۳، ص۱۸۴.

ولأن دوام صناعه القداسه وإنتاج المقدس يستلزم مواد أوليه وسياسه تسويقيه وأسواقاً يتلاقف المشترون فيها المقدس فقد احتاجت السلطات منذ القرن الأول للهجره وإلى يومنا هذا إلى إعمال العقل فى جانب وحاكميه الجهل فى جانب آخر بحسب مقتضيات الملك لا مقتضيات الدين ليصبح كل ما يخدم السلطه وأدواتها مقدساً وهو ما سنعرض له فى المسأله القادمه.

المسأله الثالثه: إعمال العقل أم حاكميه الجهل

اشاره

إن أخطر ما يواجهه كثير من أصحاب الخطاب الدينى حينما يكون الهدف هو الحفاظ على نفوذهم هو إعمال العقل، وذلك أن تفكير الإنسان بما وقع من بعض الرموز الإسلاميه من مخالفات صريحه للقرآن والسنه كما أسلفنا يجر بالعقل إلى التحكيم والانقياد إلى النتائج التى تلزم العاقل بالعدول عن هذه الرموز وتجريدها من قدسيتها ومن ثم سلطتها عليه فى اتباعها ودوام نفوذها.

مما يعنى تهديم تلك العروش التى بنيت على أكتاف الدين، وعلى إغفال العقل، ونفوذ الجهل فيكون هو الحاكم الذى يكبل الإنسان ويسجنه فى تلك الظلمات التى أوجدها المتأسلمون.

وعليه: سعى بعض أصحاب الخطاب الدينى منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا إلى إغفال العقل وتقييده من خلال تلك الفتاوى والآراء القائله: (إن لا دور للعقل مقابل الوحى) والعله فى ذلك أنهم يرون فى أنفسهم أنهم

الأمناء علی الوحی أکثر من صاحب الرساله صلی الله علیه وآله وسلم وهذا الشعور النابع من الأنا والجهل المرکب لم تکن ولیده الیوم وإنما منذ عهد النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم.

فقد انبری بعض الصحابه إلی الاجتهاد فیری لنفسه رأیاً فوق رأی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، بل ذهب آخر من الصحابه إلی تخوین رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وانتقاصه والشواهد علی ذلک کثیره نورد منها شاهدین:

الشاهد الأول: إن النبی صلی الله علیه وآله وسلم ینص علی کفر أحد الصحابه وأبو بکر وعمر ینصان علی إیمانه اجتهاداً فیخالفان أمره

قبل إیراد الشاهد نذکر القارئ الکریم بدلاله مصطلح الصحابی الذی مرّ بیانه سابقاً والذی ینحصر فی رؤیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم ولو مره فی عمره(۱)، أو سمع منه بواسطه فی زمانه وإن لم یره بعینه.

وعلی هذا التعریف یکون أفراد هذه الحادثه هم من صحابه النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وهو کالآتی:

عن أنس بن مالک، قال:

(کان فی عهد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم رجل یعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذکرناه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم باسمه

۱- تفسیر القرطبی: ج۴، ص ۱۷۱.

فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا، فقلنا: هو ذا؛ قال:

«إنكم لتخبرونى عن رجل أن فى وجهه لسفعه من الشيطان».

فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: ما فى القوم أحد أفضل منى أو خير منى؟».

قال: اللهم نعم، ثم دخل يصلى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال أبو بكر: أنا؛ فدخل عليه فوجده يصلى، فقال: سبحان الله: أقتل رجلًا يصلى؟ وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتل المصلين؟ فخرج، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما فعلت؟».

قال: كرهت أن أقتله وهو يصلى، وقد نهيت عن قتل المصلين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من يقتل الرجل؟».

قال عمر: أنا، فدخل فوجده واضعاً جبهته، قال عمر: أبو بكر أفضل

منی فخرج، فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«مهیم؟».

قال: وجدته واضعاً جبهته لله فکرهت أن أقتله، فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«من یقتل الرجل؟».

فقال علی:

«أنا».

فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«أنت إن أدرکته».

فدخل علیه فوجده قد خرج؛ فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

«لو قتل ما اختلف من أمتی رجلان»)(۱).

والحادثه تکشف عن جمله أمور:

۱ إن من الصحابه من یکون سلوکه الظاهری مکرساً علی العباده کلزوم المسجد والصلاه فیه فی حین أن حقیقته کما أخبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم:

«فی وجهه سفعه من الشیطان».

۱- الإصابه لابن حجر: ج۱، ص۴۸۴، ط السعاده.

ومن ثم لا ـ يمكن المساواه فيما بين الصحابه، فمنهم من كان مؤمناً صالحاً نال الفوز والنعيم فی الآخره ومنهم من كان منافقاً قد أهدر النبی صلی الله علیه وآله وسلم دمه وهو یصلی فی المسجد.

۲ إن القول بعدم الدخول فيما شجر بينهم، وإنهم عدول، وقد اجتهدوا فيما فعلوا؛ هو مخالفه للقرآن والسنه وإغفال للعقل ونفوذ حاكميه الجهل، ومن ثم فهو بدعه ومحدثه صاحبها إلی النار.

۳ إن هذه الأنا الفوقيه، والشأنيه الجبروتيه دفعت هذا الرجل الذی وقف أمام رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وتكلم معه فأصبح بذلك (صحابياً) إلی الاعتقاد بأنه أفضل من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وخير منه فكان مصيره إلی النار وإن هذا المصير الأسود الذی جعله أماماً يقود الناس إلی النار فكان كما قال الله تعالی:

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}(۱).

۴ إن مفهوم الاجتهاد لم يكن وليد القرون التی تبعت النبوه إنما هو وليد تلك الفتره فقد اجتهد أبو بكر وعمر فقال أبو بكر: (كرهت أن أقتله وقد نهيت عن قتل المصلين).

وقال عمر بن الخطاب: (وجدته واضعاً جبهته لله فكرهت أن أقتله).

وهذا الاجتهاد لا يصح وقد أوقعهما فی معصيه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی الرغم من أن أبا بكر استند فی اجتهاده إلی قول رسول

۱- سوره هود، الآيه: ۹۸.

الله صلی الله علیه وآله وسلم ولکنه اجتهاد فاسد وذلک أن صاحب الشریعه صلی الله علیه وآله وسلم قدر أمره بقتل هذا الرجل (الصحابی) ومن ثم لا یحق للمسلم أن ینظر فی الحکم وصاحب الحکم حاضر وهو أعلم بما قال، ویقول، وهو المسؤول عن حکم الله ودینه، فضلاً عن أن أمره الحاضر ینسخ أمره السابق، وأن الأمر السابق کان عاماً وأمره الحاضر کان خاصاً ومقیداً.

۵ تکشف الحادثه عن قضیه مهمه: وهی أن الصحابه بحاجه إلی شخص یمتثل لأمر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ویسلم له فی کل صغیره وکبیره؛ لأنها تتلاعب به الآراء، فیری لرأیه حکماً فی حکم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهذا لا یتحقق إلا بوجود حاکمیه مطلقه للعقل عند هذا الشخص ولا وجود للجهل فی قاموس حیاته؛ وقد دلت النصوص الحدیثیه والتاریخیه والعقلیه علی أن هذه الشخصیه الإسلامیه متجسده فی علی بن أبی طالب علیه السلام ومن یعاند فی ذلک فعلیه بقراءه مصادر المسلمین سواء فی الحدیث أو السیره أو التاریخ أو ما شاء من ذلک.

الشاهد الثانی: ما رواه البخاری فی اتهام الصحابی ذی الخویصره لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بالظلم والعیاذ بالله

أخرج البخاری عن أبی سعید الخدری، قال: بینما نحن عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهو یقسم قسماً، إذ أتاه ذو الخویصره وهو رجل من بنی تمیم فقال: یا رسول الله اعدل!!! فقال صلی الله علیه وآله وسلم :

«ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل».

فقال عمر يا رسول الله: أأذن لى فيه فأضرب عنقه، فقال:

«دعه إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر على رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم.

آيتهم رجل أسود أحدى عضديه مثل ثدى المرأه أو مثل البضعه تدردر ويخرجون على حين فرقه من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى نعته)(۱).

والحادثه تكشف عن جمله أمور.

۱ إن إطلاق الصلاح وتعميمه على كل مسلم رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولو مره واحده مع وجود هذا التعدى لحدود الله تعالى فهو

۱- صحيح البخارى، باب علامات النبوه: ج۴، ص۱۷۹؛ مسند أحمد، من مسند أبى سعيد الخدرى: ج۳، ص۵۶.

مشكله فى المفهوم وإعلال للعقل توقع صاحبها فى الضلال لما للجهل من حاكميه فى الأمر كما حدث مع هذا الصحابى الذى ينتقص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتهمه بالظلم، وذلك أن الظلم نقيض العدل وهذا من أسوأ الصفات التى تنسب إلى الإنسان فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل».

۲ يكشف الحديث عن حقيقه غيبيه فى اختلاف الأمه من بعده وإن بعض الصحابه يمرقون من الدين وقد استطاعوا أن يبثوا الجهل فكانت له حاكميه على الأتباع فتمسكوا بصفه الصحبه وأعموا أعينهم وصموا أسماعهم عن الحق.

۳ إن على بن أبى طالب عليه السلام هو الشخص الوحيد الذى به يعرف الصواب والحق ولذا من تبعه نجا ومن تخلف عنه هوى وهلك.

۴ إن الوصول إلى هذا الاعتقاد يحتاج إلى إعمال العقل والتحرر من حاكميه الجهل التى حكم بها أصحاب السلطه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يستلزم العمل على بناء الخطاب الدينى وتجديده وفق حدود الثقلين كتاب الله وعتره رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهؤلاء هم أهل الدين.

المبحث الخامس: تجديد الخطاب الدينی أم تجديد البنيه الفكريه والمعرفيه؟

اشاره

يتعـذر الوصول إلى وضع تعريف جـامع لبعض المصـطلحات حينمـا تزدحهم معها آليات فهم اللفظ ودلالته، وذلك أن المعرّف للمصطلح ينطلق من رؤيته الخاصه المرتكزه على أنماط تفكيره ودائره معارفه المكونه لثقافته.

ومن ثم تأخذنا الآراء فى معنى التجديد وما يراد منه إلى اتجاهات مختلفه فى التطبيق فضلاً عن المناهج والآليات.

فمن تعريفه بنفى البـدع وإظهار السـنن وتعليم الناس أحكام دينهم بوسائل مختلفه، وتوظيف النص المخبر عن بعث الله إلى هـذه الأمه على رأس كل مائه سنه من يجدد لها دينها(١).

إلى محاوله الانـدماج فى الحـداثه والاسـتفاده من التطور الصـناعى؛ ومن العـداله الاجتماعيه وحقوق المواطنه والتعايش السـلمى والأـمن المجتمعى إلى التغيير فى وسائـل الخطـاب المنبرى كالإعلام المرئى، ومواقع التواصل الاجتماعى والهواتف الـذكيه، إلى التثبت بأكثر ما يمكن بما عليه السلف ونبذ كل ما لم يكن حاضراً فى خير القرون... وغير ذلك من الآراء والدعوات

١- سنن أبى داود السجستانى: ج٢، ص٣١١.

والفهم لمصطلح التجديد سيبقى العالم الإسلامى تحكمه تلك الأفكار العقديه التى نشأ عليها المسلم كلا حسب بيئته، وما التجديد إلا محاولات لإرجاع هيبه الذوات التى كانت الأسوه فى السير والسلوك لمن جعلوا من أنفسهم أحد لبنات الخطاب الدينى.

ومن ثم انتقال تلك الهيبه إلى أصحاب الخطاب الدينى أنفسهم وتحقيق القاعده الجماهيريه لهم؛ ومن أراد الخروج عن تلك الذوات لينفرد بآرائه فمصيره (ان يتهم بالخارج عن الدين؟).

ولذا:

يبقى (الدين) هو الأساس والسنام والمنهل لهذا الخطاب، وإن هذا الخطاب هو الهادى والمضل للفرد والأسره والجماعه والأمه، وهنا تكمن خطوره الخطاب الدينى فى قدرته على تغيير البنيه الفكريه والمعرفه للإنسان ليخلق منه أداه لقيام السلم والحرب مع نفسه وأسرته ومجتمعه والعالم.

وعليه:

لابد من بنيه فكريه ومعرفيه عن الدين، وأن هذه البنيه الفكريه والمعرفيه لا تتحقق إلا من خلال معرفه أهل الدين؛ إذ الانحراف وقع فى مسار رقى الإنسان المسلم حينما تأسى بذوات كانت متأسلمه منذ ظهور الإسلام فى مكه وإلى يومنا هذا.

بل إننا لنجد أن القرآن قد أظهر خطوره الخطاب الدينى لمن اتخذوا الإسلام وسيله لضرب الإسلام والقضاء عليه بمختلف الوسائل التى كان

الخطاب الدینی من أخطرها وأکثرها ضرراً بالإسلام وأهله فکان البیان القرآنی لهذا الخطر ما سنعرض له فی المسأله القادمه.

المسأله الأولی: اتخاذ الخطاب الدینی وسیله لبلوغ السلطه

اشاره

یقدم لنا القرآن الکریم صوره واضحه المعالم عن خطوره الخطاب الدینی حینما یستخدم أداه للوصول إلی السلطه من قبل أناس عرفوا بأنهم من أهل الدین بل من خیر القرون وذلک حینما خاطب الله سبحانه رسوله الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم فقال:

{مِنَ النَّاسِ مَنْ یُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیَاهِ الدُّنْیَا وَیُشْهِدُ اللَّهَ عَلَی مَا فِی قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّی سَعَی فِی الأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیهَا وَیُهْلِکَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا یُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِیلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}(۱).

والآیه ترشد إلی ما یلی:

أولاً: یقدم القرآن الکریم أنموذجاً لبعض أصحاب الخطاب الدینی الذی یمتلک الوسائل الخطابیه التی تؤثر فی الإنسان فیعجبه قوله ولا شک أن هذا القول الذی کان یرقی إلی إعجاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لابد أن یکون خطاباً دینیاً لا دنیویاً؛ ولأن الدین یرتکز علی طهاره القلب وسلامته کان له التأثیر فی السامع فیرقی إلی الإعجاب، إلا أن المنافق حقیقته

۱- سوره البقره، الآیات: ۲۰۴ ۲۰۶.

(ألد الخصام) والعله فی کونه (ألد الخصام) إن خطابه دینی؛ وذلک أن الخصم العلنی والظاهری یتصدی له النبی صلی الله علیه وآله وسلم والذین آمنوا بما یتناسب مع عدائه وخصومته، أما المنافق فهو عدو داخلی یستخدم الخطاب الدینی لیفتک بالدین.

وثانیاً: إن الخطوره فی الأمر تکمن فی هذا أن الفرد قد استخدم الخطاب الدینی کی یصل إلی الحکم والتسلط:

{وَإِذَا تَوَلَّی سَعَی فِی الأَرْضِ لِیُفْسِدَ فِیهَا وَیُهْلِکَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ...}(۱).

ثالثاً: إن هذا الفرد وهذا النوع من الناس لا ینفع معهم الخطاب الدینی الذی عبر عنه القرآن الکریم بقوله:

{وَإِذَا قِیلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ...}.

مما یعطینا دلیلاً آخر إلی أنه کان یعتمد الخطاب الدینی فی بادئ أمره لیصل إلی السلطه ومن ثم لا ینفع معه هذا النوع من الخطاب، وذلک أنه لا دین له من الأساس:

{...أَخَذَتْهُ الْعِزَّهُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}(۲).

والشواهد التاریخیه علی ذلک کثیره وقد غزرت بها حیاه السلف لاسیما فی القرن الأول من الهجره النبویه، فمنها:

۱- سوره البقره، الآیه: ۲۰۵.

۲- سوره البقره، الآیه: ۲۰۶.

الشاهــد الأول: اســتخدام الخطاب الــدينى فى حسم أمر البيعه فى مجتمع الكوفه بين عائشه وعمار بن ياســر وتباين قوه تأثير هــذه الخطابات فى الناس

لعل من أهم الشواهـد التأريخيه والحياتيه لفعاليه الخطاب الدينى فى المجتمع المسـلم هو ما شـهده مجتمع الكوفه بعد قتل عثمان بن عفـان ومبايعه المهاجرين والأنصار والمسـلمين لعلى بن أبى طالب فى المـدينه وقيام طلحه والزبير بنكث البيعه والخروج على أمير المؤمنين على بن أبى طـالب وانضـمام عـائشه زوج النـبى الأـكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم إليهمـا فى هـذا الخروج الـذى اكتسب صبغه شـرعيه وتحت عنوان دينى (القصـاص من قتله الخليفه عثمـان بن عفـان) ممـا دفع بأقطاب هـذا الخروج إلى تبنى الخطاب الدينى فى جمع الناس للخروج على على بن أبى طالب عليه السـلام فضـلًا عن المال الذى قدم به عبد الله بن عامر والى البصـره الهارب منها إلى طلحه والزبير فى المـدينه؛ وأما الكوفه فقـد شـهدت خطابات دينيه مختلفه فى الفكر والعقيـده والـدعوه والمفاهيم ويجمعها دين واحد وهو الإسلام.

ومن ثم فقد احتاج أصـحاب الخطاب الدينى إلى اسـتخدام مجموعه من الألفاظ ذات دلالات محدده ومعانٍ مؤثره يتم بها حسم القناعات عند الناس كى ينضموا إلى هذه الفئه أو تلك وقد عزموا على الاقتتال وهم يؤمنون بأن قتالهم جهادٌ فى سبيل الله.

وعليه:

فقد كان مجتمع الكوفه يشهد مرحله مصيريه فى تحديد مسيرته الدينيه وما يترتب عليها من آثار فى الدنيا والآخره.

وفى بيان هذه المرحله يروى ابن حبان قائلًا:

(بعث على - عليه السلام - الحسن وعمار بن ياسر إلى الكوفه لاستنفارهم فلما قدموا الكوفه قام أبو موسى الأشعرى فى الناس وكان والياً عليها وأخبرهم بقدوم الحسن واستنفاره إياهم إلى أمير المؤمنين على إصلاح البين؛ وقدم زيد بن صوحان من عند عائشه معه كتابان من عائشه إلى أبى موسى والى الكوفه وإذا فى كل كتاب منها:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عائشه أم المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعرى سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنه كان من قتل عثمان ما قد علمت وقد خرجت مصلحه بين الناس فمر من قبلك بالقرار فى منازلهم والرضا بالعافيه حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين فإن قتله عثمان فارقوا الجماعه وأحلوا بأنفسهم البوار)(۱).

والخطاب يحتوى على مجموعه من العناصر الدينيه والنفسيه التى كانت عائشه تسعى من خلالها لاستحصال إعجاب الناس وتأثرهم بهذا الخطاب ومن ثم تحقيق الهدف الحقيقى الذى كان المحرك لهذا الخطاب، وهذه العناصر كالآتى:

۱ أول ما تبتدئ به زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى خطابها

۱- الثقات لابن حبان: ج۲، ص۲۸۲.

الدینی هو عنصر الشأنیه الباعثه علی إکسابها الحصانه وتقدیس ما تنطق به لما یتضمنه هذا المنزل الذی لها من کونها زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم من قداسه التصاقیه نابعه من المساس بشخص النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

ولذا عرفت نفسها بالاسم والصفه فقالت: (من عائشه أم المؤمنین).

۲ تنتقل عائشه من تقدیم صفتها (أم المؤمنین) إلی بیان توحیدها لله تعالی کی تزیل الشکوک التی قد تدور فی أذهان الناس فی الکوفه حول شرعیه هذا الخروج، بمعنی أنها من أهل التوحید ومن شأنها أن تکون مهتمّه بما یتعرض له أهل الإسلام؛ ولذا قالت: (أحمد إلیک الله الذی لا إله إلا هو).

۳ إن تقدیم الصفه علی التوحید یکشف عن شخصیتها ومکونها العقدی بمعنی التعلق بالصفه أکثر من المنزله الإیمانیه وهو ما سجل فارقاً بین خطاب علی أمیر المؤمنین علیه السلام إلی أهل الکوفه وبین خطابها وانعکاساته علی السامع فی تکوین صوره عن شخصیتها حیث کان أمیر المؤمنین علیه السلام یبتدئ بالتوحید قبل الصفه فکان یقول علیه السلام:

«من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی أهل الکوفه»(۱).

۴ إثاره العاطفه الجماهیریه حول قتل عثمان وبالطریقه التی حدثت ولذا لم تسهب عائشه فی إیراد بعض التفاصیل وإنما اکتفت بالإشاره إلی أنه أصبح معلوماً کیف قتل فقالت: (فإنه کان من قتل عثمان ما قد علمت).

۱- نهج البلاغه ج۳، ص۲؛ الغارات للثقفی: ج۱، ص۲۱۰؛ شرح الاخبار للمغربی: ج۱، ص۳۸۳.

٥ تبرير هذا الخروج وإكسابه صفه رعويه، فضلاً عن كونها دينيه، ألا وهى الإصلاح، وهى طريقه ذكيه فى كونها حمالات أوجه تستدر الإعجاب، وتبعث على الارتياح، فمن لا يؤيد الإصلاح بين المسلمين ومن ثم فمجرد الإعجاب دون إظهار التأييد العلنى والفعلى يعد إنجازاً لهذه الدعوه: (وقد خرجت مصلحه بين الناس).

٦ الأمر بالجلوس عن الخروج والرضا بما هم عليه من ترك القتال فإن ذلك من مستلزمات العافيه، ولذا: قالت: (فمر من قبلك بالقرار فى منازلهم والرضا بالعافيه).

٧ تقيد هذا الجلوس فى المنازل حتى تتمكن من الانتهاء من أمر الإصلاح بين المسلمين الذى خرجت لأجله كما تزعم.

٨ ترك أمر القتال مفتوحاً ولكن لفئه محدده من المسلمين وهو تمهيد للمستقبل حينما تتمكن من (الإصلاح) ولو بالسيف.

٩ شرعنه قتال المسلمين تحت عنوان (مفارقه الجماعه) وهو عنوان أعم من عنوان القتل فالأول يحارب المسلمين والثانى يحارب أشخاصاً لو ثبت عليهم الجرم.

وهذه العناصر كلها كفيله بحبس الناس عن الخروج لنصره على بن أبى طالب عليه السلام فى قتاله للناكثين بيعته والذين كانوا قد فارقوا جماعه المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان فى بيعتهم لعلى بن أبى طالب عليه السلام.

وعليه:

يترتب على عمار بن ياسر أن يأتى بخطاب يحتوى على عناصر دينيه تدحض تلك العناصر التى تضمنها كتاب عائشه كى يستطيع إقناع الناس واستماله قلوبهم إلى الخروج لنصره أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فكيف كان خطابه الدينى لما سمع خطاب عائشه إلى أهل الكوفه.

قال عليه الرحمه والرضوان:

(أمِرَتْ عائشه بأمر وأمِرْنَا بغيره، أمرَتْ أن تقر فى بيتها، وأمِرْنَا أن نُقاتل حتى لا تكون فتنه، فهو ذا تأمرنا بما أمرَتْ، ورَكِبَتْ ما أمِرْنَا به؛ ثم قال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخرجوا إليه، ثم انظروا فى الحق ومن الحق معه)(١).

ويحتوى الخطاب الدينى للصحابى الجليل عمار بن ياسر على جمله من العناصر المؤثره والتى استطاعت أن تغيّر رأى الناس وقناعاتهم بما اختاروه من النصره لعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه وهذه العناصر الإقناعيه كالآتى:

١ اعتمد الصحابى عمار بن ياسر (عليه الرحمه والرضوان) على مخاطبه العقل دون العاطفه التى تستلزم المداهنه وتغيير الوقائع، وهو ما يترتب عليه محاذير شرعيه كالغبن والمكر والاحتيال والتغرير وغيرها، فضلاً عن أن العاطفه لا تقدم قناعات ثابته فقد يأتى خطاب آخر يحتوى على عواطف

١- الفتنه ووقعه الجمل لسيف بن عمر الضبى: ص١٤٠؛ الثقات لابن حبان: ج٢، ص٢٨٢؛ الفتوح لابن أعثم الكوفى: ج٢، ص ٤٦٠.

جیاشه فیعصف بما قبله من العواطف.

۲ استطاع الصحابی عمار بن یاسر (علیه الرحمه والرضوان) من إبطال مشروع عائشه زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی الخروج جمله وتفصیلاً علی الرغم من قصر الکلمات؛ بل استطاع أن یعید الموازین إلی نصابها الحقیقی وبیان حدود ما کلفت به عائشه وما کلف به المسلمون.

فقد (أمرها الله عز وجل بأن تقر فی بیتها لقوله تعالی: {وَقَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ}(۱)، ومن ثم فخروجها مخالف للقرآن والسنه فکیف للمسلم أن یتبعها وهی فی الأصل قد خالفت القرآن والسنه المحمدیه؟!

۳ إن قتال علی بن أبی طالب لطلحه والزبیر وعائشه هو تکلیف شرعی قد أمر الله به لقوله تعالی:

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَهٌ وَیَکُونَ الدِّینُ کُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا یَعْمَلُونَ بَصِیرٌ}(۲).

فهؤلاء قد شقوا جماعه المهاجرین والأنصار والتابعین لهم بإحسان فی مبایعتهم لعلی بن أبی طالب علیه السلام؛ ومن ثم فإن الخروج یلزم أن ینصرف لرد هؤلاء ولیس العکس ولذا قال رضوان الله علیه: (وأمرْنَا أن نقاتل حتی لا تکون فتنه).

فالقرآن والسنه یلزمان من آمن بهما أن یخرج للالتحاق بعلی بن أبی

۱- سوره الأحزاب، الآیه: ۳۳.

۲- سوره الأنفال، الآیه: ۳۹.

طالب علیه السلام ولیس بعائشه وطلحه والزبیر.

۴ إن دعوته للناس إلی الخروج کانت ترتکز علی تحکیم العقل من خلال النظر فی الحق أولاً ـ وهو منهج قرآنی ونبوی فقد سارت الأنبیاء منذ آدم وإلی المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم فی مخاطبه العقل البشری فی أمر التوحید ونبذ الوثنیه وبالعقل آمن الناس بدعوات الأنبیاء علیهم السلام.

وبهذا المنهج الرسالی والقرآنی خاطب عمار بن یاسر الناس فی الکوفه فدعاهم إلی معرفه الحق أولاً ومن ثم النظر فیما یقوده الحق بمعنی: أن الحق یبحث عن أهله، فمن کان من أهل الحق فسیمکث عنده الحق، ولذا قال علیه الرحمه والرضوان:

(هذا ابن عم رسول الله فاخرجوا إلیه، ثم انظروا فی الحق ومن الحق معه).

وعلیه:

فالتجدید فی الخطاب الدینی هو ما شهده أهل الکوفه من تجدید للبنیه الفکریه بین الالتفات إلی الشبهات وتشخیص الحق أو النظر إلی الرموز. فهذه زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم وتقدیسها دون تقدیس الحق وتشخیصه واتباعه یقود المسلم إلی الضلال والهاویه.

ولذا: فإن کان الحق مع أم المؤمنین فعلی المسلم أن یتبعها، وإن کان الحق مع أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیهما السلام فعلیه أن یتبع علی بن أبی طالب علیه السلام، فاختار أهل الکوفه علی بن أبی طالب علیه السلام؛

لأنهم أدركوا أن الحق معه، كما أدركه المهاجرون والأنصار فخرجوا يقاتلون الفئه الباغيه.

الشاهد الثاني: استخدام الخطاب الديني في خروج طلحه والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام على بن أبي طالب عليه السلام والهدف بلوغ السلطه

في خروج طلحه والزبير من المدينه وهم يطالبون (بدم عثمان) بلحاظ كونه خليفه المسلمين تحت حماسه الخطاب الديني مستعينين بعائشه زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ناصراً وملهماً جماهيرياً بما تمتلك من حصانه بين المسلمين.

أما الدافع الحقيقي لهذا الخطاب الديني المطالب بدم خليفه المسلمين وإقامه الحد عليه كان الوصول إلى الحكم والجلوس على كرسي الخلافه الإسلاميه، وحيث أن المانع الأساس من تحقيق هذا الهدف هو مبايعه المسلمين لخليفه آخر وهو الإمام على بن أبي طالب صلوات الله عليه مما يجعل الأمر في غايه العسر؛ ومن ثم لابد من سلاح الدين للوصول إلى خلافه المسلمين فكان الخطاب الديني التحريضي على على بن أبي طالب عليه السلام وقتاله تحت مسوغات هذا الخطاب.

ولأنهم أعمتهم الدنيا عن الدين ونسوا الله تعالى فأنساهم أنفسهم بقتالهم وصي رسول رب العالمين مما يعني أنهم يقاتلون رجلاً مؤيّداً من السماء ومن ثم لا يخفى عليه حقائق النفوس وغاياتهم؛ إلا أنه كان يتعامل معهم بما يفرضه عليه القرآن وعلم النبوه التي أورثها له سيد الأنبياء والمرسلين صلى

الله علیه وآله وسلم.

ولذا: بعث عبد الله بن عباس مندوباً عنه إلی الزبیر بن العوام بعد أن نهاه من الالتقاء بطلحه فقال علیه السلام لابن عباس:

«لا تلقین طلحه فإنک أن تلقه تجده کالثور عاقصاً قرنه یرکب الصعب ویقول: الذلول؛ ولکن إلق الزبیر فإنه ألین عریکه فقل له، یقول لک ابن خالک:

«عرفتنی بالحجاز أنکرتنی بالعراق، فما بدا مما عدا»(۱).

فذهب ابن عباس إلی الزبیر فکان اللقاء بینهما کالآتی:

قال ابن عباس: إنی قد أتیت الزبیر، فقلت له(۲)، فقال: قل له إنی أریـد ما ترید کأنه یقول الملک لم یزدنی علی ذلک، فرجعت إلی علی علیه السلام فأخبرته)(۳).

وروی عن المدائنی أنه قال:

بعث علی علیه السلام ابن عباس یوم الجمل إلی الزبیر قبل الحرب، فقال له: إن أمیر المؤمنین یقرأ علیک السلام ویقول لکم:

۱- البیان والتبیین للجاحظ: ص۴۹۶؛ عیون الأخبـار لابن قتیبه: ج۱، ص۲۹۲؛ وفیـات الأعیان لابن خلکان: ج۵، ص۸؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلی: ج۲، ص۱۶۲؛ جواهر المطالب للباعونی: ج۲، ص۱۳؛ النهایه فی غریب الحدیث لابن الأثیر: ج۳، ص۱۹۴.

۲- فقلت له ما قال علی علیه السلام.

۳- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید المعتزلی: ج۲، ص۱۶۵.

«ألم تبایعنی طائعاً غیر مکره، فما الذی رابک منی، فاستحللت به قتالی؟».

قال: فلم یکن له جواب إلا أنه قال لی: إنّا مع الخوف الشدید لنطمع؛ لم یقل غیر ذلک.

قال أبو إسحاق فسألت محمد بن علی بن الحسین علیهم السلام ما تراه یعنی بقوله هذا؟ فقال:

(أما والله ما ترکت ابن عباس حتی سألته، عن هذا قال: یقول: إنا مع الخوف الشدید مما نحن علیه، نطمع أن نلی مثل الذی ولیتم)(۱).

فکان الملک وتولی أمر المسلمین هو الغایه والهدف أما الوسیله فکانت الخطاب الدینی المرتکز علی المطالبه بدم عثمان بن عفان وخروج زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم لقیاده المعرکه، وکلا الأمرین ملتصق بالدین فکانا ماده غنیه لشحن الخطاب الدینی.

الشاهد الثالث: استخدام عبد الله بن الزبیر لوسیله الخطاب الدینی فی حربه لأمیر المؤمنین الإمام علی علیه السلام لأجل تولی أمر المسلمین

اشاره

ذکر المؤرخون خروج عبد الله بن الزبیر یوم الجمل وهو یخطب أهل البصره ویحرضهم علی قتال أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام فقال:

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۹، ص۳۱۷.

(أيها الناس! إن على بن أبى طالب قتل الخليفه بالحق عثمان، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولى عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالاً ـ تطالبون بدم خليفتكم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم وأحسابكم وأنسابكم أترضون لأهل الكوفه أن يردوا بلادكم، أغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، ألا وإن عليا لا يرى أن معه فى هذا الأمر أحداً سواه، والله لأن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم).

وأكثر من هذا القول ونحوه، فبلغ ذلک علياً، فقال لولده الحسن:

«قم يا بنى فاخطب».

فقام الحسن خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

«أيها الناس قد بلغنا مقاله ابن الزبير فى أبى، وقوله فيه: (إنه قتل عثمان)، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول الزبير فى عثمان وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنى عليه، وإن طلحه يومذاک راكز رايته على بيت ماله، وهو حى، فأنى لهم أن يرموا أبى بقتله وينطقوا بذمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأما قوله: (إن علياً ابتز الناس أمرهم)، فإن أعظم حجه لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعه وادعى الوليجه فليأت على ما ادعاه ببرهان، وأنى له ذلک.

وأما تعجبه من تورد أهل الكوفه على أهل البصره، فما عجبه من

أهل حق توردوا على أهل باطل، أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبه الجمل وأتباعها»)(۱).

والملاحظ فى الخطاب الدينى لعبد الله بن الزبير جمله من المفاهيم الدينيه التى أراد تسخيرها لغايته فى حرب على بن أبى طالب عليه السلام بلحاظ أن عليّاً عليه السلام هو العقبه الأساس فى منعه من خلافه المسلمين، هذه الغايه والهدف ظهرا جلياً حينما تولى عبد الله بن الزبير الخلافه على أهل مكه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهلاك يزيد بن معاويه.

فكانت سيرته فى الناس تكشف عن تلك الحقيقه القرآنيه التى نطقت بها الآيه المباركه:

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ}(۲).

فمما كان من فعله حينما تولى الخلافه على مكه ما يلى:

۱ تغييره لبناء الكعبه المشرفه

إن أول عمل قام عبد الله بن الزبير فى تغيير المعالم المقدسه هو قيامه بتغيير بناء الكعبه المشرفه من وضعها الذى كانت عليه حينما بناها نبى الله إبراهيم عليه السلام حيث كان ارتفاعها تسعه أذرع وكان لها بابان فبناها عبد الله بن الزبير فرفعها ثمانيه عشر ذراعاً أى ضعف قياسها الذى كانت عليه؛ ثم جاء

۱- الفتوح لابن أعثم الكوفى: ج۲، ص۴۶۶؛ أحاديث عائشه للعسكرى: ج۱، ص۳۱۵ ۳۱۶.

۲- سوره البقره، الآيه: ۲۰۵.

الحجاج بن یوسف الثقفی فهدمها بالمنجنیق بعد أن تحصن بها عبد الله بن الزبیر وأعاد بناءها فجعل ارتفاع جدرانها سبعه وعشرین ذراعاً(۱).

۲ حبسه لعبد الله بن عباس وولده فی الشعب وإضرامه النار علیهم

قام بحبس عبد الله بن عباس وولده فی الشعب وأضرم علیهم النار حتی أنقذه أبو عبد الله الجدلی صاحب علی بن أبی طالب علیه السلام منه بعناء بالغ(۲).

۳ ترکه للصلاه علی محمد وآله أربعین جمعه

ترکه للصلاه علی محمد وآله صلی الله علیه وآله وسلم أربعین جمعه حینما کان یخطب الناس فی صلاه الجمعه حتی اعترض علیه الناس، فقال:

(إن له أهل بیت سوء إذا صلیت علیه أو ذکرته أتلعوا أعناقهم واشرأبوا لذکره وفرحوا بذلک فلا أحب أن اقر عینهم بذکره)(۳).

۴ محاربته الشدیده لحبر الأمه عبد الله بن عباس

محاربته الشدیده لحبر الأمه الصحابی الجلیل عبد الله بن عباس أشد المحاربه، حتی قال عبد الله بن عباس لولده علی وقد ذبحت عنده بقره فأخرج

۱- الکافی للکلینی: ج۴، ص۲۰۷، والروایه عن الإمام الصادق علیه السلام.
۲- مقاتل الطالبیین لأبی الفرج الأصفهانی: ص۳۱۵؛ شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۴، ص۶۲؛ مروج الذهب للمسعودی: ج۳، ص۸۸؛ النصائح الکافیه لابن عقیل: ص۱۲۵؛ البحار للمجلسی: ج۴۸، ص۱۸۳.
۳- مقاتل الطالبیین للأصفهانی: ص۳۱۶؛ شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید: ج۱۹، ص۹۲.

كبدها فوجد فيه تنقيباً فقال ابن عباس لولده: هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك(۱).

۵ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف

قيامه بنفى عبد الله بن عباس إلى الطائف حتى مات فيها فأوصى ولده عليّاً قائلاً:

(إلحق بقومك من بنى عبد مناف بالشام، ولا تقم فى بلد لابن الزبير فيه إمره)(۲).

ويكشف هـذا القول عن تهجير بنى عبـد مناف من المدينه وأن بعضـهم خرج هارباً من سـطوه ابن الزبير فاختار حكم الطلقاء فى الشام على السكن فى مدينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيت الله فى مكه.

وغير ذلك من الأفعال التى تكشف عن حقيقه استخدام الخطاب الدينى وسيله للوصول إلى السلطه، وإن هذا الخطاب الذى كان من سـماته أنه يعجب الناس ويتأثرون به فإن اسـتخدامه من بعض المنتحلين للإسـلام لغرض الملك والسلطه والخلافه سينتج عنه ويلات عظيمه تهلك الحرث والنسل ويعم الفساد فى الأرض كما أخبرت بذلك الآيه المباركه.

وعليه:

۱- المصدر السابق.

۲- مقاتل الطالبيين: ص۳۱۵؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج۴، ص۶۲.

فالتجديد ينبغى أن يكون فى البنيه الفكريه وذلك من خلال تكوين معارف جديده عن الإسلام ومعرفه أهله الحقيقيين وهو ما نتناوله فى المسأله القادمه.

المسأله الثالثه: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد فى الخطاب الدينى الذى سنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

لابد من تجديد فى البنيه الفكريه وتكوين منظومه معرفيه تمكن الإنسان المسلم من بناء نفسه وأسرته ومجتمعه بناءً صحيحاً يحقق له الأمن والحياه الكريمه كما أراد الله تعالى له ذلك ولأجله بعث الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين.

وبهذا أمر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وإليه دعا أمته وعليه سارت عترته صلوات الله عليهم أجمعين فاعتمدوا قبل الاهتمام بالخطاب الدينى الاهتمام بالإنسان ورقيه ونجاته فى الدنيا والآخره فكان خطابهم الدينى يرتكز على منظومه معرفيه تقوم ببناء الفكر الإنسانى وترمم ما أفسدته التحولات الفكريه فى الأمه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مرّ آنفا ، من خلال البحث.

فكان خطابهم الدينى إحدى الوسائل الإصلاحيه فى الأمه التى أعادت رسم الصوره الحقيقيه للدين.

كى يستطيع المسلم من خلالها الاهتداء إلى أهل الدين، فمن عرف

الـدين عرف أهله، ومن عرف أهله أمن من الضـلال ونجـا فی الآ ـخره؛ فضـلًا عن الآثار الكبيره التی تثمرها هـذه المعرفه فی بناء الحياه فتكون كما أراد الله لها أن تكون ((خير أمه أخرجت للناس)).

وعليه:

تكمـن الخطـوه الأسـاس فی البنـاء الفكری فی معرفـه الـدين، فكيـف يتعرف الإنسـان علی دينه الـذی يطمئن أنه دين الله الـذی ارتضاه؟

وجوابه فيما يلی:

أولًا: من هم أهل الدين الذين عرّفهم القرآن للناس؟

اشاره

إنّ من بين أهم التكـاليف التی كلف الله تعـالی بهـا النبی الأ ـعظم صـلی الله عليه وآله وسـلم هی تعريف الناس بأهل دينه الـذين اصـطفاهم الله تعالی لشـريعته يبينون للناس ما اختلفوا فيه كما أمروا فی إرجاع ذلک فی زمانه صـلی الله عليه وآله وسلم بالرجوع إلی الله وإليه ولا ـ شـک أن الإنسان حينما يعزم علی الرجوع إلی الله تعالی فيما يشـكل عليه من دينه ودنياه فإنه بحكم العقل يلزم أن يرجع إلی رسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم فهو من بعثه الله إلی الخلق ليصـلح لهم أمر دينهم ودنيـاهم وذلـک أن القرآن شريعه حيـاه متكامله تبـدأ مع الإنسان من مرحله ما قبل الولاده وانعقاد النطفه إلی الأجنه ثم الولاده وما بعـدها حتی يتمم الإنسان مدته التی حددها الخالق له فينتقل إلی عالم البرزخ حيث النتائج التی حققها عمله الدنيوی، ومن ثم يبقی له منها ما

ينتفع به أو يضر به وهو فى قبره كما دلت النصوص الشريفه.

وعليه:

فكل ما يتعلق بهذا الإنسان قد أوجدت له الشريعه حدوداً وسنناً وأسباباً ومن ثم فهو بحاجه إلى معرفه هذه الحدود والسنن كى يحيا بسلام فى الدنيا والآخره.

إلا أن المشكله تقع فى نفس الإنسان فهو يرى بما خلق الله تعالى فيه من قوه العقل والروح أنه الأقوى والخصم الذى لا يهزم فهو لدود(١)، ومجادل شرس إلى الحد الذى يرى فى نفسه أن الموت والحياه والصحه والمرض والغنى والفقر والعسر واليسر بيده يتحكم بها كيف يشاء.

ومن هنا:

نشأت الفرق والتحزبات والفئات والوثنيه والطاغوتيه والجبروتيه ومن ثم أصبح لدى الإنسان خليط من التشريعات والمعتقدات والمفاهيم بعد أن ترك لقواه النفسيه العنان فى سوقه إلى تلك القوى وتجاذباتها والأهواء وسطواتها جازماً بصواب رأيه وخطأ خصمه مندفعاً إلى إقصاء مخالفيه فى أقل الأحوال إن لم يكن قد أطفأ صوت غيره وغيب شخص مخالفه.

ومن ثم: كيف يقنع بأن هذا الدين كان له نخبه اصطفاها الله تعالى وهو يرى فى نفسه أنه المؤهل لفهم الشريعه إن لم يندفع إلى الاعتقاد بأنه أحد

١- قال تعالى فى سوره يس، الآيه: ٧: ((أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفه فإذا هو خصيم مبين)).

أعمـدتها يلحقه ما يلحقها من الشـرافه والقدسـيه والشأنيه والخـدمه، فمفهوم خـدمه الشـريعه يعنى خـدمته التى منحها كل بركاته ورضاه.

وكيف لا يطلق الفتاوى (الشرعيه) فى خصومه والرادين عليه والمظهرين للناس حقيقه دينهم وتصحيح مسار معتقداتهم؟ لا شك أن خصماءه من البدع والمحدثات الذين استوجبوا القصاص قتلاً ونفياً وتكفيراً وتدنيسا.

ولأـن المشـرع عزّ شـأنه حكيـم عـالم عزيز فقـد خص أهـل دينه والمصـطفين لشـريعته بصـفات تـدفع عنهم التهمه وتميزهم عن الكاذبين وبها يفتضح المدعون ويخزى الكاذبون؛ فبهم يعرف الصواب وإليهم تدب الألباب، ولهم تحن القلوب وتهوى الأفئده.

أما من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخره أعمى وأضل سبيلاً، فأولئك كما عرّفهم القرآن الكريم:

{...وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}(١).

ومن ثم لا ينفع معهم كلام مسموع أو مقروء.

وعليه: فإن الله تعالى خص أهل دينه بصـفات تميزهم عن الناس كى لا ينتحل منزلتهم منتحل ثم يأتى الناس يوم القيامه فيقولون: أى رب لم نكن نعلم من هم فقد تشابه الأمر علينا، لماذا لم تجعل لهم صفات تميزهم وتدلنا

١- سوره الأعراف، الآيه: ١٧٩.

علیها لنعرفهم، وهذا أمر لم یغفل عنه القرآن الکریم، قال تعالی:

{رُسُلًا مُبَشِّرِینَ وَمُنْذِرِینَ لِئَلّا یَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَی اللَّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَکَانَ اللَّهُ عَزِیزًا حَکِیمًا}(۱).

ولذا: کانت صفات أهل دینه کالآتی:

۱ إنهم مطهرون من الآثام وکل شیء قذر

وهی میزه لا یستطیع الإنسان وإن اجتهد علی حصولها ما لم یکن هناک اختصاص من الله تعالی؛ وإلا فالساعون فی شرق الأرض وغربها فی دعواهم بأنهم أصحاب فکر ورؤی وشرائع إلا أنهم لیسوا منزهین عن العیوب وإن اجتهدوا.

ومن ثم فالطهر صفه إلهیه اختصت بها الشریعه ومن خصهم الله لها فقال تعالی:

{...إِنَّمَا یُرِیدُ اللَّهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیرًا}(۲).

۲ العلم بالقرآن والسنه

من الصفات التی خص الله تعالی بها أهل شریعته العلم بالقرآن وتأویله وهی صفه انفرد بها أهل القرآن المصطفین، فقال تعالی:

۱- سوره النساء، الآیه:: ۱۶۵.

۲- سوره الأحزاب، الآیه: ۳۳.

{هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتَابَ مِنْهُ آیَاتٌ مُحْکَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ زَیْغٌ فَیَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَهِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِیلِهِ وَمَا یَعْلَمُ تَأْوِیلَهُ إِلاّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ یَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ کُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا یَذَّکَّرُ إِلاّ أُولُو الأَلْبَابِ}(۱).

هذه الآیه المبارکه نجد مصداقها فی التاریخ الإسلامی متجسداً فی شخصیه واحده بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وذلک أن جمیع الصحابه مع ما لدیهم من معارف إلا أنهم کانوا یحتاجون علم علی بن أبی طالب علیه السلام ولم یحتج أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب إلی أحدٍ منهم فی مسأله من العلم سواء علمه بالقرآن أو السنه أو فی الکتب والشرائع السماویه التی کانت قبل الإسلام؛ وهذا الأمر لا یحتاج إلی تدلیل أو إحاله مرجعیه لمن کان له أدنی إطلاع علی حیاه الصحابه بعد وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم.

ولو أردنا أن نورد للقارئ ما ورد فی الأثر عنه صلی الله علیه وآله وسلم وعن الصحابه أو عن نفس أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام لخرج الکتاب عن موضوعه.

۳ الصدق

إن أول ما عرفه العرب عن النبی المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم حینما درج فیما بینهم، صفه الصدق والأمانه، فعرفه الناس صالحهم

۱- سوره آل عمران، الآیه: ۷.

وطالحهم ب(الصادق الأمین) فکانت صفته هذه قبل صفه النبوه والرساله، وذلک أن الصدق هو الأساس فی تبلیغ الرساله وبیان الشریعه.

فکل ما یتلفظ به النبی صلی الله علیه وآله وسلم لا یخالطه الکذب وقد شهد الله تعالی له بذلک، فقال سبحانه:

{مَا یَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَیْهِ رَقِیبٌ عَتِیدٌ}(۱).

وقال تعالی:

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الأَقَاوِیلِ}(۲).

وقال سبحانه:

{وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی (۳) إِنْ هُوَ إِلّا وَحْیٌ یُوحَی}(۳).

وقال تعالی:

{مَا کَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی}(۴).

فقلب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم صادق، ولسانه صادق، وفعله صادق، وهو الصادق الأمین، وکذا من اختارهم الله لشریعته فقال تعالی:

{یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَکُونُوا مَعَ الصَّادِقِینَ}(۵).

۱- سوره ق، الآیه: ۱۸.

۲- سوره الحاقه، الآیه: ۴۴.

۳- سوره النجم، الآیتان: ۳ ۴.

۴- سوره النجم، الآیه: ۱۱.

۵- سوره التوبه، الآیه: ۱۱۹.

ولو درس الإنسان التاریخ وکتب الحدیث لوجد أن عتره النبی صلی الله علیه وآله وسلم وأوصیاءه والأئمه من بعده أبناء علی وفاطمه وهم اثنا عشر إماماً سلام الله علیهم أجمعین حینما بینوا الشریعه لم یختلف اثنان منهم فی حکم من أحکام الشریعه فیقول أحدهم هذا حلال والآخر یقول هذا الحرام بما یرشد إلی أنهم علیهم السلام کانوا ینهلون من منهل واحد ومشروع واحد فکانوا الصادقین.

وعلیه:

تعد هذه الصفات وغیرها أهم الأدوات التی تقود العقل والقلب إلی معرفه الدین فصفه الطهر فقال تعالی:

{لا یَمَسُّهُ إِلاّ الْمُطَهَّرُونَ}(۱).

وخزانه العلم فقال:

{وَیَوْمَ نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّهٍ شَهِیدًا عَلَیْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِکَ شَهِیدًا عَلَی هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَیْکَ الْکِتَابَ تِبْیَانًا لِکُلِّ شَیْءٍ وَهُدًی وَرَحْمَهً وَبُشْرَی لِلْمُسْلِمِینَ}(۲).

وفی أهل الدین قال:

{...وَکُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْنَاهُ فِی إِمَامٍ مُبِینٍ}(۳).

۱- سوره الواقعه، الآیه: ۷۹.

۲- سوره النحل، الآیه: ۸۹.

۳- سوره یس، الآیه: ۱۲.

وصفته الصدق فقال سبحانه عن القرآن:

{لا يَأتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}(۱).

وعن أهل دينه قال:

{اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}(۲).

وغيرها من الصفات التى كانت متلازمه فيما بين القرآن وأهله.

أما إذا جئنا إلى بيان النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإرشاده الأمه إلى أهل الدين فما أكثره وأيسره وأوضحه وأقطعه حجه على المسلم فى الدنيا والآخره، وهو ما سنتناوله فى (ثانياً).

ثانياً: خير ما نستدل به على معرفه الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على عليه السلام إلى خاصه أصحابه وشيعته وفيه وصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ خير ما نورده هنا ونستدل به على معرفه الدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إلى خاصه أصحابه وشيعته بعد أن رجع مع معركه النهروان التى قاتل فيها الخوارج، وفى الخطبه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته فى بيان ما يؤمن لهم الهدايه وعدم الوقوع فى الفتنه؛ والخطبه رواها ثقه الإسلام الشيخ الكلينى عليه الرحمه والرضوان

۱- سوره فصلت، الآيه: ۴۲.

۲- سوره التوبه، الآيه: ۱۱۹.

ورواها عنه السید ابن طاووس طیب الله ثراه عن: (علی بن محمد ومحمد بن الحسن وغیرهما، عن سهل بن زیاد، عن العباس بن عمران، عن محمد بن القاسم بن الولید الصیرفی، المفضل عن سنان بن ظریف، عن أبی عبد الله الصادق علیه السلام قال:

«کان أمیر المؤمنین علیه السلام یکتب بهذا الخطاب إلی أکابر أصحابه، وفیها کلام عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم:

بسم الله الرحمن الرحیم، إلی المقربین من الأظله، الممتحنین بالبلیه، المسارعین فی الطاعه، المنشئین فی الکره، تحیه منا إلیکم، سلام علیکم، أما بعد:

فإن نور البصیره روح الحیاه الذی لا ینفع إیمان إلا به مع إتباع کلمه الله والتصدیق بها، فالکلمه من الروح، والروح من النور، والنور نور السماوات والأرض، فبأیدیکم سبب وصل إلیکم منا نعمه من الله لا تعقلون شکرها، خصکم بها واستخلصکم لها.

{وَتِلْکَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا یَعْقِلُهَا إِلاّ الْعَالِمُونَ}(۱).

إن الله عهد أن لن یحل عقده أحد سواه، فتسارعوا إلی وفاء العهد، وامکثوا فی طلب الفضل، فإن الدنیا عرض حاضر یأکل منها البر والفاجر، وإن الآخره وعد صادق یقضی فیها ملک قادر، ألا وإن الأمر کما قد وقع لسبع بقین من صفر، تسیر فیها الجنود، یهلک فیها

۱- سوره العنکبوت، الآیه: ۴۳.

البطل الجحود، خیولها عراب، وفرسانها حراب، ونحن بـذلک واقفون، ولما ذکرنا منتظرون انتظار المجدب المطر لینبت العشب، ویجنی الثمر، دعـانی إلی الکتـاب إلیکم استنقاذکم من العمی، وإرشـادکم بـاب الهـدی، فاسـلکوا سبیـل السـلامه، فإنهـا جماع الکرامه، اصـطفی الله منهجه، وبین حججه، وأرف أرفه، ووصـفه وحـده وجعله نصا کما وصـفه، إن العبـد إذا أدخل حفرته یأتیه ملکان أحدهما منکر والآخر نکیر، فأول ما یسألانه عن ربه، وعن نبیه، وعن ولیه، فإن أجاب نجا وإن تحیر عذباه.

فقال قائل: فما حال من عرف ربه، وعرف نبیه، ولم یعرف ولیه؟

فقال: ذلک مذبذب لا إلی هؤلاء ولا إلی هؤلاء.

قیل: فمن الولی یا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؟

فقال: ولیکم فی هـذا الزمان أنا، ومن بعدی وصـیی، ومن بعد وصـیی لکل زمان حجج الله کی ما تقولوا کما قال الضـلال قبلکم حیث فارقهم نبیهم:

{...رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَیْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیَاتِکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَی}(۱).

وإنما کان تمام ضلالتهم جهالتهم بالآیات وهم الأوصیاء فأجابهم الله:

۱- سوره طه، الآیه: ۱۳۴.

{قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى}(۱).

وإنما كان تربصهم أن قالوا: نحن فی سعه عن معرفه الأوصیاء حتی یعلن إمام علمه، فالأوصیاء قوام علیکم بین الجنه والنار، لا یدخل الجنه إلا من عرفهم وعرفوه، ولا یدخل النار إلا من أنکرهم وأنکروه، لأنهم عرفاء العباد عرفهم الله إیاهم عند أخذ المواثیق علیهم بالطاعه لهم، فوصفهم فی کتابه فقال عز وجل:

{...وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ...}(۲).

وهم الشهداء علی الناس، والنبیون شهداء لهم بأخذه لهم مواثیق العباد بالطاعه، وذلک قوله:

{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا (۴۱) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}(۳).

وکذلک أوحی الله إلی آدم: أن یا آدم! قد انقضت مدتک، وقضیت نبوتک، واستکملت أیامک، وحضر أجلک، فخذ النبوه ومیراث النبوه واسم الله الأکبر فادفعه إلی ابنک: هبه الله، فإنی لم أدع

۱- سوره طه، الآیه: ۱۳۵.

۲- سوره الأعراف، الآیه: ۴۶.

۳- سوره النساء، الآیتان: ۴۱ ۴۲.

الأرض بغير علم يعرف، فلم تزل الأنبياء والأوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الأمر إلى، وأنا أدفع ذلك إلى على وصيى، وهو منى بمنزله هارون من موسى، وإن عليا يورث ولده حيهم عن ميتهم، فمن سره أن يدخل جنه ربه فليتول عليا والأوصياء من بعده، وليسلم لفضلهم، فإنهم الهداه بعدى، أعطاهم الله فهمى وعلمى، فهم عترتى من لحمى ودمى، أشكو إلى الله عدوهم والمنكر لهم فضلهم، والقاطع عنهم صلتى، فنحن أهل البيت شجره النبوه ومعدن الرحمه ومختلف الملائكه، وموضع الرساله، فمثل أهل بيتى فى هذه الأمه كمثل سفينه نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، ومثل باب حطه فى بنى إسرائيل من دخله غفر له، فأيما رايه خرجت ليست من أهل بيتى فهى الدجاليه، إن الله اختار لدينه أقواما انتجبهم للقيام عليه والنصر له، طهرهم بكلمه الإسلام، وأوحى إليهم مفترض القرآن، والعمل بطاعته فى مشارق الأرض ومغاربها، إن الله خصكم بالإسلام، واستخلصكم له، وذلك لأنه أمتع سلامه، وأجمع كرامه، اصطفى الله منهجه، ووصفه ووصف أخلاقه، ووصل أطنابه من ظاهر علم وباطن حكم، ذى حلاوه ومراره، فمن طهر باطنه رأى عجائب مناظره فى موارده ومصادره، ومن فطن لما بطن رأى مكنون الفطن وعجائب الأمثال والسنن، فظاهره أنيق، وباطنه عميق، ولا تفنى غرائبه، ولا تنقضى عجائبه، فيه مفاتيح

الكلام، ومصابيح الظلام، لا يفتح الخيرات إلا بمفاتحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصابيحه، فيه تفصيل وتوصيل، وبيان الاسمين الأعلين اللذين جمعا فاجتمعا، لا يصلحان إلا معا، يسميان فيفترقان، ويوصلان فيجتمعان، تمامهما فى تمام أحدهما، حواليها نجوم، وعلى نجومها نجوم، ليحمى حماه، ويرعى مرعاه، وفى القرآن تبيانه وبيانه وحدوده وأركانه، ومواضع مقاديره، ووزن ميزانه، ميزان العدل، وحكم الفصل، إن دعاه الدين فرقوا بين الشك واليقين، وجاءوا بالحق، بنوا للإسلام بنيانا فأسسوا له أساسا وأركانا، وجاءوا على ذلك شهودا بعلامات وأمارات، فيها كفى المكتفى، وشفاء المشتفى، يحمون حماه، ويرعون مرعاه، ويصونون مصونه، ويفجرون عيونه، بحب الله وبره وتعظيم أمره وذكره بما يحب أن يذكر به، يتواصلون بالولايه، ويتنازعون بحسن الرعايه، ويتساقون بكأس رويه، ويتلاقون بحسن التحيه، وأخلاق سنيه، قوام علماء أمناء، لا يسوق فيهم الريبه، ولا تشرع فيهم الغيبه، فمن استبطن من ذلك شيئا استبطن خلقا سنيا، فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه، واجتنب من يرديه، ويدخل مدخل كرامه، وينال سبيل سلامه، تبصره لمن بصره، وطاعه لمن يهديه إلى أفضل الدلاله، وكشفا لغطاء الجهاله المضله المهلكه، ومن أراد بعد هذا فليظهر بالهدى دينه، فإن الهدى لا تغلق أبوابه، وقد فتحت أسبابه ببرهان

وبيـان، لاـمرئ استـنصح وقبـل نصـيحه مـن نصـح بخضـوع وحسن خشـوع، فليقبـل امرئ بقبولهـا، وليحـذر قـارعه قبـل حلولهـا، والسلام»(۱).

إذن:

لا يجد الإنسان عذراً يوم القيامه حينما يسأل عن إمامه الذى أخذ عنه دينه الذى يدين الله تعالى به، وهذا أولاً.

وثانياً: أن الغرض من كتابه أمير المؤمنين عليه السـلام لهذا الكتاب هو لتجديد البنيه الفكريه للمسلم فيعرف أين يضع قدمه، ومن أين يأخـذ دينه، وبمن يضع أغلى ما يملك وهو إيمانه بالله تعالى ورسوله المصـطفى صـلى الله عليه وآله وسـلم، وليس التجديد هو اختيار الكلمات فى الخطاب الدينى أو التمظهر بالعصـرنه مع ما لها أغراض خدميه تنهض بالمسـتوى المعيشى للإنسان وليس سلبه عقله وثقافته ودينه.

وثالثـا: قطع الحجه على من أراد أن يـدعى أحقيته فى الجلوس مجلس رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يفتى الناس بغير حق فى أمر دينهم ودنياهم.

ورابعاً: كى لا يحتج محتج يوم القيامه على الله فيقول ما علمت حقيقه الأمر ولم أبلّغ به.

وخامساً: كان ذلك تقنيناً لحياه المؤمنين وتثبيتاً لهم فيما سيمرون به من

۱– كشـف المحجه لثمره المهجه: ص۱۸۹ ۱۹؛ بحار الأنوار للعلامه المجلسـى: ج۳۰، ص۳۷ ۴۲؛ نهج السعاده للمحمودى: ج۵، ص۱۳۴.

شبهات ومحن عظيمه كقتل وصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل الإمام الحسن عليه السلام وما يجرى على الإمام الحسين عليه السلام وعياله فى كربلاء، فضلاً عن اتباع كثير من المسلمين للباطل وتحزبهم لشيعه بنى أميه وانحدارهم الفكرى والمعرفى.

ولذا: كانت هذه الكتب التى أرسلها الإمام على عليه السلام فى بلاد المسلمين وخص بها شيعته لغرض حفظهم من الفتن وتهيئه الأرضيه لبناء المجتمع المسلم من الانهيار، ولهذه الأمور وغيرها كان خطاب العقيله زينب عليها السلام فى مجتمع الكوفه بأدواته الإصلاحيه فى بناء منظومه معريه تمكن الإنسان من التغيير والنهوض نحو الحياه الكريمه، وهو ما سنتناوله فى المبحث القادم.

المبحث السادس: دور خطاب العقیله زینب علیها السلام فی إصلاح البنیه الفکریه للمجتمع الإسلامی فی الکوفه

اشاره

لم يشـهد المجتمع الإسـلامی حدثاً أثرت نتائجه فی الإسـلام إلی یومنا هذا بل ولـم تزل حتی ظهور المهدی من آل محمد صـلی الله علیه وآله وسلم مثل حدث مقتل الإمام الحسین علیه السلام فی یوم عاشوراء وعلی أرض کربلاء فی العراق.

وإن المقـدمات والأسـباب التی کونت هـذا الحدث هی الأخری لم تکن صـغیره أو عادیه بل مما لا شک فیه أنها کانت بموازاه وقوع الحـدث؛ وذلـک أن التغییر فی البنیه الفکریه من خلاـل مجموعه من الوسائـل، کـان أبرزهـا الخطاب الـدینی قـد أسـهمت بشـکل فعال فی اندفاع المسـلمین إلی ارتکاب مثل هذه الجریمه البشـعه فی حق نبیهم محمد صلی الله علیه وآله وسلم، فقد قتل ریحانته وسـید شـباب أهل الجنه مع أهل بیته جمیعاً بما فیهم طفله الرضـیع ذو السـته الأشهر، والتمثیل بالأجساد، وسحقها بحوافر الخیل، وتقطیع الرؤوس وحملها مع النساء وبنات رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وهنّ ینظرْنَ إلی رؤوس أبنائهن وإخوانهن وأزواجهن مع أطفالهن وقد أفقدهم الهلع والخوف کل قرار، فبین صارخ باکٍ وشاخص عینه إلی الرؤوس وقد اختنق صوته فی

صـدره وجمـد الـدم فی عروقه فمن مـات منهم بـالطريق دفن فی محله، ومن أعـانته قواه على العيش كان بقيه حياته يعيش تلك المأساه التی تغلغلت فی الوجدان الإنسانی.

ومن ثم:

فإن المسؤوليه الشرعيه التی ألقيت على عاتق العقيله زينب عليها السـلام وابن أخيها الإمام زين العابدين عليهما السلام فی ترميم هـذا الشـرخ والتلق فی البنيه الفكريه للمسـلم فضـلًا عن حفظ من بقی من آل النبی صـلى الله عليه وآله وسـلم تسـتلزم أن يكون خطابها الـدينی يحمل من المقومات التی تسـتطيع أن تعيـد المسـلم إلى الإسـلام الحقيقی المحمـدی، وتنتزع منه الأفكار الهدامه والمعطيات الإرهابيه والتكفيريه.

فكـان التجديـد فی الخطاب الـدينی يرتكز على إصـلاح البنيه الفكريه وترميها وليس على الكلمات التحريضـيه أو المصـطلحات المنمقه أو الأكاذيب، أو البدع وإنما على تشخيص مواطن الانحراف الفكری وطرق معالجتها مما أحدث تغييراً قوياً أعاد التوازن إلى العقيده الإسـلاميه بعد أن كادت تصـبح جاهليه عمياء وأمويه جهلاء لا تحمل إلا العداء لله ورسوله صـلى الله عليه وآله ومما آمن بهما.

وعليه: فإن دور الخطاب الدينی للعقيله زينب فی إصلاح البنيه الفكريه للمجتمع الإسلامی كان كالآتی:

المسأله الأولی: من هی العقیله زینب علیها السلام؟

قد تکون الإجابه علی السؤال الذی تصدّرت به المسأله الأولی تحصیل حاصل لکثیر من المسلمین لاسیما أبناء المذهب الإمامی الإثنی عشری، فضلاً عن المسلمین الموالین لآل محمد صلی الله علیه وآله وسلم.

ولکن هذا لا یمنع من معرفه أقوال المصنفین من أبناء العامه الذین ترجموا للصحابه والرموز والشخصیات الإسلامیه، وفی ذلک المقام فقد قالوا:

۱ قال ابن سعد (المتوفی ۲۳۰ه):

(زینب بنت علی بن أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصی، وأمها فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبی طالب بن عبد المطلب، فولدت له علیاً وعوناً الأکبر، وعباساً، ومحمداً، وأم کلثوم)(۱).

۲ قال الحافظ ابن عساکر الأموی الدمشقی (المتوفی سنه ۵۷۱ه):

(امرأه جزله کانت مع أخیها الحسین بن علی بن أبی طالب علیهما السلام حین قتل، وقد قدم بها علی یزید بن معاویه مع أهلها.

حدثت عن أمها فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، وأسماء بنت عمیس، ومولی للنبی صلی الله علیه وآله وسلم اسمه ذکوان.

روی عنها: محمد بن عمرو، وعطاء بن السائب، وبنت أخیها فاطمه

۱- الطبقات الکبری لابن سعد: ج۸، ص۴۶۵.

بنت الحسين بن على عليهما السلام)(۱).

۳ قال الحافظ ابن الأثير الجزرى (المتوفى سنه ۶۳۰ه):

(زينب بنت على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشيه الهاشميه وأمها فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أدركت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وولدت فى حياته، ولم تلد فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته شيئاً وكانت زينب امرأه عاقله لبيبه جزله، زوجها أبوها على عليهما السلام من عبد الله ابن أخيه جعفر، فولدت له علياً، وعونا الأكبر، وعباساً، ومحمداً، وأم كلثوم.

وكانت مع أخيها الحسين عليهما السلام لما قتل وحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد وكلامها ليزيد حين طلب الشامى أختها فاطمه بنت على مشهور مذكور فى التواريخ وهو يدل على عقل وقوه جنان)(۲).

والذى يهمنا فى هذه الأقوال ويستفاد منه فى البحث ما يلى:

۱ إنها كانت حاضره فى مأساه كربلاء وهو أمرٌ لا يقبل الشك أو الشبهه مما يستلزم تتبع دورها فى الحدث.

۲ إنها سبيت من بلد إلى بلد، وقد استعاض عنها الحفاظ بلفظ (حملت مع أهلها إلى يزيد) دون الدخول فى بيان كيفيه الحمل ولعلهم أرادوا

۱- تاريخ دمشق لابن عساكر: ج۸، ص۱۶۶.

۲- أسد الغابه: ج۵، ص۴۶۹؛ الإصابه لابن حجر: ج۸، ص۱۶۶.

بذلك دفع النصوص القائله فی سبیها وإن كانت الكلمات لم تكشف عما جری لها فی هذه الرحله.

٣ إنها (جزله، لبیبه، عاقله) وقد جری بینها وبین یزید بن معاویه حوار، إلّا أنهم لم یخوضوا فی ذلک الحوار، ولعل الذی منعهم منهج الكتاب فقد خصص للترجمه ولم یكن سیاقه التاریخی بالمعنی الحرفی للمنهج التاریخی.

وعلی أیه حال فقد كان لها خطاب دینی حینما حملت من كربلاء ثم إلی الكوفه ثم إلی الشام؛ وإن هذا الخطاب كان فی مدینتین مهمتین فی العالم الإسلامی آنذاک وهما، الكوفه ودمشق، وقد حددت مقومات الإصلاح فی البنیه الفكریه لكل مجتمع من المجتمعین فكانت هذه المقومات كالآتی:

المسأله الثانیه: مقومات الإصلاح للبنیه الفكریه فی خطابها الدینی لمجتمع الكوفه

اشاره

یشتمل الخطاب الدینی للعقیله زینب علیها السلام علی مجموعه من الأدوات التی تعمل علی تقویم البنیه الفكریه للمجتمع المسلم فی الكوفه، هذه البنیه التی تكونت بفعل المعطیات الثقافیه والعقدیه التی ضخها أرباب السلطه خلال نصف قرن، أی منذ أن توفی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وإلی یوم عاشوراء فنتج عنها هذه الأفعال البشعه فی أقدس المقدسات وهی حرمه رسوله صلی الله علیه وآله وسلم وسفک دمه وفری لحمه وسبی عرضه.

ومن ثم:

فإن هـذه البنيه التی أفرزت هـذه الجرائم والانتهاکـات التی لا یعـدلها شـیء إلی یوم القیامه فإنها بحاجه إلی إعاده بناء أساسـیه تضـمن بنسـبه ما عدم وقوع مثل هذه الجرائم مع الحرمات والمقدسات النبویه؛ فضلاً عن المقدسات والقیم التی جاء بها الإسلام؛ فکانت هذه الأدوات کالآتی:

الأداه الأولی: الصدمه الثقافیه (Inter cultural communication)

أولاً: تعریف مصطلح الصدمه الثقافیه

الصـدمه الثقـافیه: هی (إحـدی (وسائل الاتصال الثقافی المتباین)، وهو تعبیر یسـتعمل لوصف المخاوف والمشاعر (من المفاجأه، الحیره، الفوضـی) المحسوسه عنـدما یتعامـل الناس ضـمن ثقافه أو محیط اجتماعی مختلف تماماً، کالبلاد الأجنبیه، وترتفع هـذه الصـعوبات فی خلاـل استیعـاب الثقافه الجدیـده، مما یشـکل صـعوبات فی معرفه الملائم، وفی أغلب الأحیان ترتبط هـذه الثقافه بالاشمئزاز الکبیر حول بعض صفات الثقافه الجدیده أو المختلفه)(۱).

ویمکن أن نسـتنتج من هـذا التعریف مفهومـاً یـدور حول تلقی الإنسان ثقافه جدیـده تختلف عن ثقافته التی اکتسـبها ونشأ علیها فیصـطدم بهذه الثقافه الجدیده التی تولد لدیه شعوراً نفسیاً یتدرج بین المفاجأه ثم الحیره ثم الفوضی وهو یحاول التأقلم مع هذه الثقافه الجدیده علیه؛ فإما التراجع والانکفاء والاعتزال عن الحیاه فینزوی الإنسان مع ذلک الموروث الثقافی الذی تغلغل فی

۱- Ejabat.google.com

فکره وأصبح مکوناً من مکوناته الشخصیه وعنواناً لهویته الاجتماعیه فضلاً عن عقیدته الدینیه؛ وإما الخنوع والخضوع لهذه الثقافه الجدیده.

وهـذه الحـاله وإن کان الالتفات إلیها من قبل العالم (کلفیرو أوبیرج kalcerro ober عام ۱۹۵۴) نتیجه لما یعانیه المسافرون والمهـاجرون من بلـد إلی آخر یختلف بینه وبین البلـد الأـم المسـتوی الثقـافی والحضاری والمعرفی والـدینی فضـلاً عن العادات والتقالید واللغه والتی جمیعا تدخل ضمن المکون الثقافی للإنسان.

وتحدیـد هویته الاجتماعیه إلا أننا هنا نجـد أن (الصـدمه الثقافیه) کانت لها جذورها بالمفهوم والمصادق فی المجتمع الإسـلامی وخاصه فی القرن الأول للهجره النبویه، وهو ما سنتناوله فی (ثانیاً).

ثانیاً: جذور الصدمه الثقافیه تعود للقرن الأول للهجره النبویه

منذ وفاه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وإلی عام الطف، أی بعد مرور خمسین سنه علی وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم أصـبحت (الصـدمه الثقافیه) بعـد یوم عاشوراء واقعاً اجتماعیاً وعقدیاً لا یمکن الاسـتهانه به أو غض الطرف عنه أو تجاهله فقـد شـهد المجتمع الإسـلامی ثقافه جدیده تختلف عن ثقافه القرآن والسـنه النبویه المطهره وإن الصـحابه والتابعین وأبناءهم قد نشؤوا بعـد أحـداث السـقیفه التی اجتمع فیهـا الأنصـار وثله من المهاجرین لیخرجوا بیعه أبی بکر علی ثقافه جدیـده تصـطدم مع ثقافه القرآن وسنه النبی صلی الله علیه وآله وسلم، إنها ثقافه

الشيخين واجتهاداتهم فضلاً عن ثقافه زوج النبى عائشه وعثمان بن عفان وطلحه والزبير وأبى هريره وغيرهم حتى باتت تداعيات هذه الثقافه تظهر على المجتمع الإسلامى لاسيما ترddاتها القويه على رأس السلطه ممثله بخليفه المسلمين كما فى حادثه دار الخلافه وقتل عثمان بن عفان ودفن جثته فى مقابر اليهود فى حش كوكب.

ولم تزل هذه الثقافه الجديده تنمو وتتسع لتتخذ منحىً جديداً يكشف عن تجذر هذه الثقافه فى المجتمع الإسلامى واتخاذها طابع الانفعال الجماعى فى حمل السيف والتقاتل فيما بينها كما فى الجمل وصفين والنهروان لينتهى الأمر باستشهاد أمير المؤمنين ووصى رسول رب العالمين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى مسجد الكوفه لتنتهك بذاك حرمات عديده، حرمه الله، وحرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب عليه السلام، وحرمه المسجد، وحرمه شهر رمضان المبارك!!!

ومن ثم فقد أصبح المجتمع الإسلامى فى عام (۳۹ للهجره النبويه) يعيش على أسس فكريه وعقديه جديده لا علاقه لها بالقرآن والسنه النبويه التى ثقّفت المسلمين على صون الحرمات واجتناب الحدود الإلهيه وحفظ المقدسات والقيم الإسلاميه.

حتى إذا استقر الأمر لمعاويه بن أبى سفيان واستجابت له الأمصار

الإسلاميه عمل جاهداً على التثاقف(۱) طيله عشر سنوات حتى هلك؛ تاركاً خلفه ثقافه جديده فى مختلف المدن الإسلاميه حتى باتت هـذه الثقافه هى الثقافه المسيطره والغالبه على معظم المسلمين مما شكل لـديهم وبفعل هذه الثقافه الأمويه عقيده جديده تتقرب إلى (الله) فى قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!

بـل إنهـا لتفعـل به من فنون القتـل والإرهاب ما لم تفعله أمه من الأمم فى آل رسولها ونبيها حتى أصـبح آل النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم هم العـدو، ولا ـ المشـركون والكفـار والمنـافقون كـل ذلك بفعل التثاقف الأموى وشـياع عقيـده آل أبى سـفيان فى المجتمع الإسلامى لاسيما الكوفه التى كانت عاصمه الخلافه فى (۳۶ ۴۰ه).

وعليه:

كـانت الأـداه الأـولى للعقيله زينب عليهـا السـلام فى إصـلاح البنيه الفكريه للمجتمع الإسـلامى فى الكوفه هى الصـدمه الثقـافيه، صدمه ثقافه القرآن والسنه بثقافه بنى أميه، فماذا صنعت عليها السلام؟ هذا ما سنعرض له فى الأداه الثانيه.

۱- يشمل التثاقف التغيير الثقافى فى تلك الظواهر التى تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين فى اتصال مباشر مستمر معهما مما يترتب عليه حدوث تغيرات فى الأنماط الثقافيه الأصليه السائده فى إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معاً (علم خصائص الشعوب للجباوى: ص۳۹۲).

الأداه الثانیه: استرعاء الانتباه الجماهیری

الأداه الثانیه: استرعاء(۱) الانتباه الجماهیری إن أول عملٍ قامت به عقیله الطالبیین السیده زینب بنت علی بن أبی طالب علیهما السلام هو استرعاء الانتباه الجماهیری فی المجتمع الکوفی حینما دخل الرکب المحمدی إلی أزقه الکوفه وقد سار بهم الجند نحو قصر الإماره حیث جلس أمیر السلطه الأمویه علی الکوفه آنذاک عبید الله بن زیاد.

إلا أن ثمه سؤالاً یفرضه البحث: ما الذی دفع الناس إلی التجمع فی أزقه الکوفه؟ إنه سؤال فرضته الحاله الاجتماعیه التی واکبت دخول الرکب المحمدی والحسینی إلی الکوفه، فهناک من توجه إلی النساء المقیدات بالحبال والمسیّرات علی الجمال بدون وقاءٍ أو ستر یسترهنّ من أشعه الشمس فقد بدینَ للناس وهن سافرات الوجوه وبدون محامل فی أبشع صوره من صور الاستهانه والاستخفاف.

والإجابه من أوجه عده:

۱ إن من السنن الإلهیه أن یندفع الظالمون للقیام بأعمال إجرامیه وهم یظنون أنهم بذلک یحققون الانتصار علی إراده الله تعالی وشریعته؛ فی حین أننا نجد أن القرآن یعرض لهذا المنهج فی بیانه لسنه إلهیه وهی رد هذا المکر بحکمه ربانیه وهو القائل:

۱- استرعی، یسترعی، استرع، استرعاء، فهو مسترعٍ، والمفعول مسترعی، استرعاه سره استودعه، استرعی الانتباه استرعی النظر: استرعی الالتفات والاصغاء؛ استرعاه سمعه طلب منه أن یُصغی إلیه؛ (معجم اللغه العربیه المعاصر).

{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}(۱).

وقد ظن عمر بن سعد لعنه الله أنه انتصر فأرسل برأس الإمام الحسين عليه السلام مبكراً لكى يدخل السرور على قلب عبيد الله بن زياد لعنه الله وشياع الخبر فى الكوفه فى حين كان هذا الأمر على قساوته وفظاعته قد حقق التهيئه النفسيه والاجتماعيه والإعلاميه لقدوم العقيله زينب والركب المحمدى الحسينى يتقدمهم الإمام زين العابدين عليه السلام وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بنات على وفاطمه الصديقه سيده نساء العالمين صلوات الله عليهم أجمعين.

بمعنى:

أن إدخال الرأس المقدس لريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الكوفه قد دفع بالمجتمع الكوفى إلى التهيؤ والترقب لقدوم جيش الكوفه من أرض كربلاء؛ ومن ثم فالهدف فى بادئ الأمر كان استعلام حال الجند ومعرفه ما آلت إليه المعركه.

۲ إن الحاله المأساويه التى كان عليها بنات النبوه تدفع بالكثير من الناس الواقفين للتفرج ومعرفه هويه هؤلاء القادمين إلى الكوفه، وذلك أن الكوفه كانت قد أسست منذ البدء على أنها حاضنه عسكريه ومحطه للجند والمؤن والإمداد ولذا: فقد ضمت عشائر عربيه وأعجميه وهم الحمران والديلم.

۱- سوره الأنفال، الآيه: ۳۰.

ومن ثم فإن قـدوم الأسارى بيـد الجيش الإسـلامى إلى الكوفه يعـدّ أمراً بـديهياً لدى الناس إلا أن الحاله التى عليها هؤلاء النسوه كانت فظيعه ومؤلمه وغريبه مما دفع بعض النساء أو الرجال للسؤال عن هويه هذا الركب، ومن أى الأسارى هم.

۳ لا شك أننا هنا نتحـدث عن الركب المحمـدى، نتحـدث عن شـجره النبوه فهـذه بقيه الله تعالى وبضـعه بنت رسوله المصـطفى محمـد صـلى الله عليه وآله وسـلم، وهـذا زين العابدين وهؤلاء بنات على أمير المؤمنين صـلوات الله عليهم أجمعين؛ ومن ثم فقد امتاز أصـحاب هذا الركب بالبهاء والنور المحمدى الذى كسا تلك الوجوه التى لم تسـتطع أشـعه الشـمس وجهد المصـيبه وعناء الطريق وألم المصاب من حجب هذا النور المحمدى.

ولذا: بادرهم الناس بالسؤال:

(ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟ فقالت سكينه بنت الحسين عليهما السلام: «نحن سبايا آل محمد»)(۱).

وهذه الحاله وإن كانت فى الشام إلى أنها أحد الأسباب التى كانت تدفع الناس إلى السؤال.

وعليه:

كانت العقيله زينب قـد أعـدت عـدتها لإحـداث الصـدمه الثقافيه، ثقافه القرآن وسـنه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بثقافه الجاهليه والتشيع

۱- قرب الإسناد للحميرى: ص۲۶؛ الأمالى للصدوق: ص۲۳.

لرموزهـا وقادتهـا آل أبی سـفیان، هـذا من ناحیه؛ ومن ناحیه أخری: استرعاء الانتباه بجوابها الـذی انتظره الناس الـذین تقـدمتهم تلک المرأه الکوفیه التی أشرفت من علی سطح دارها وهی تنظر علی هذا الرکب فقالت: من أی الأساری أنتن؟

فکان الجواب کالصاعقه:

«نحن من أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم ».

فنزلت المرأه من سطحها فجمعت لهنّ ملاء وأزرا ومقانع وأعطتهن فتغطین)(۱).

أمـا لمـاذا قالت هـذه المرأه الکوفیه لبنات الرساله الحمـدیه: (من أی الأساری أنتنّ)، فی حین کان سؤال المرأه الشامیه ووصـفها لهن بالسبایا، فکان الجواب:

هناک: (نحن سبایا آل محمد) وهنا فی الکوفه: (نحن أساری آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم)، فهو؟

إن الکوفه أعدت منذ تأسیسـها حاضنه للجند ومقراً لهم، ومن ثم فإن أهلها کان جلهم من ذوی العسکر وأهالیهم ومن ثم کونها، أی الکوفه حاضنه للجند دعا إلی استقبالها لحرکه العسکر وترقب تحرکهم فی اتجاه

۱- اللهوف فی قتلی الطفوف للسید ابن طاووس: ص۸۶؛ مثیر الأحزان لابن نما الحلی: ص۶۶؛ البحار للمجلسی: ج۴۵، ص۱۰۸؛ العوالم للبحرانی: ص۳۷۷؛ لواعج الأشجان للسید محسن الأمین: ۱۹۹.

الشرق وجلب من يؤسر من هذه المدن إلى الكوفه.

وعليه:

كان الجيش الكوفى حينما يخرج منها للقتال، ثم يعود فإنه يكون قد جلب معه مجموعه من الأسارى وهو الذى دعا هذه المرأه التى تسأل عن هويه هذا الركب، وذلك لأنها لاحظت سمات على أصحابه لم تكن قد لاحظتها من قبل؛ لكن هذه المرأه لما تلقّت تلك الصدمه الثقافيه، فعرفت أن هؤلاء آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهلت، فاندفعت تجمع لهن المقانع بعد أن سلبهنّ الأعداء وجاءوا بهنّ سافرات الوجوه وهن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم!!

ولا شك أن جلبها للمقانع من النساء الكوفيات عمل على نشر الخبر بشكل سريع، فتلك النسوه اللاتى وقفن على سطوح دورهن ينظرْنَ إلى هذا الموكب الذى قدم الكوفه وقد تخلله العزف على الطنبور والبوق للإعلان عن عوده الجيش منتصراً عمل على نشر الخبر بين النساء الكوفيات ومن ثم إلى الرجال والأولاد فاندفع الجميع إلى الطرقات وهم يسيرون بجانب هذا الموكب المحمدى لينتظروا ما سيفعله عبيد الله بن زياد والى الكوفه.

ولأن الصدمه الثقافيه كانت لها ارتداداتها النفسيه والفكريه على أهل الكوفه، فقد اندفع الناس إلى التعامل بصوره تكشف عن التماس الاعتذار والإحسان لهذا الركب المحمدى فبادروا إلى جمع التمر والجوز وتقديمه للأطفال.

فکیف واجهت السیده زینب علیها السلام هذه الاستجابه بعد استرعاء الانتباه إلی أنهم آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم؟

الأداه الثالثه: النافذه الانفعالیه

الأداه الثالثه: النافذه الانفعالیه(۱)

إن من البداهه بمکان أن تکون العقیله زینب علیها الصلاه والسلام علی مستوی عال من الفهم والعلم والحکمه، وهی التی أعدها جدها رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ووالدها أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، وأمها سیده نساء أهل الجنه فاطمه الزهراء علیها السلام؛ ومن ثم أشرف علی إعدادها وتهیئتها سبطا الرحمه وإماما الهدی الحسن والحسین علیهما السلام حتی قال فی حقها الإمام زین العابدین علیه السلام:

«فأنتِ بحمد الله عالمه غیر معلمه وفهمه غیر مفهمه»(۲).

۱- تعرف النافذه الانفعالیه: بأنها القدره أو المهاره التی تساعد علی فهم سمات انفعالات الجماعه؛ تتضمن الأمثله علی سمات انفعالات الجماعه، مستوی تنوع الانفعالات بین أعضائها؛ (أی التنوع العاطفی) ونسبه المشاعر الایجابیه أو السلبیه، والمشاعر الشکلیه (أی الأکثر شیوعاً) الحاضره فی الجماعه؛ عرف التعبیر (النافذه الانفعالیه) للمره الأولی عالم النفس الاجتماعی (جیفری سانشیز بوکس والمنظّر التنظیمی کوی هوی) وکما فی ضبط فتحه الکامیرا لزیاده عمق المجال، تتضمن النافذه الانفعالیه ضبط عمق المجال الفرد للترکیز لیس فقط علی انفعالات شخص واحد ولکن أیضاً علی انفعالات الآخرین فی المجال البصری؛ الفرق بین الانفعالات علی مستوی الفرد فی مقابل الانفعالات علی مستوی الجماعه تعتمد علی الفرق بین المنظور التحاملی والشمولی؛ (ویکیبدیا انفعال جماعی).

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج۲، ص۳۱؛ البحار للمجلسی: ج۴۵، ص۱۶۴؛ العوالم للبحرانی: ص۳۷۰؛ مستدرک سفینه البحار: ج۴، ص۳۱۵.

ومن ثم فإن قدرتها علیها السلام ومهارتها فی فهم سمات انفعالات الجماعه، أی جماعه أهل الکوفه ومستوی تنوع هذه الانفعالات التی ابتدأت بجمع الأقنعه والأزر لبنات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کی یستژنَ بها وجوههنّ ثم تطور هذه الانفعالات وتنوعها من الاندفاع لستر النساء إلی نوع آخر موجه للأطفال؛ إذ تفید الروایه التاریخیه بأن أهل الکوفه أخذوا یناولون الأطفال التمر والجوز والخبز، فصاحت العقیله زینب: ((إنّ الصدقه علینا حرام)) ثم رمت به إلی الأرض(۱).

وهذه المقوله وإن کانت تستند إلی حکم شرعی مرتبط بشأن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وآله الذین حرم الله علیهم الصدقه؛ ومن ثم کان تکلیفها الشرعی هنا منع تناول هذا الطعام الذی اکتسب عنوان الصدقه فأصبح حراما علی أطفال الحسین علیه السلام وأحفاده.

فکان الأمر هنا موجها إلی بنی هاشم خاصه کما أمر الله تعالی بذلک.

لکن هذا الأمر من ناحیه علم الاجتماع النفسی، ومن أداه النافذه الانفعالیه، فإن العقیله زینب علیها السلام قد ضبطت عمق المجال الانفعالی

۱- البحار للمجلسی: ج۴۵، ص۱۱۵؛ العوالم للشیخ عبد الله البحرانی: ص۳۷۳؛ ینابیع الموده للقندوزی: ج۳، ص۸۷؛ المجالس الفاخره للسید عبد الحسین شرف الدین: ص۳۱۴؛ أعیان الشیعه للسید محسن الأمین: ج۷، ص۱۳۸؛ مستدرک سفینه البحار للشاهرودی: ج۶، ص۲۴۷؛ مصابیح الظلام للوحید البهبهانی: ج۱۰، ص۴۹۶؛ مصباح الفقاهه للسید أبی القاسم الخوئی: ج۱، ص۸۰۲؛ مصباح الفقاهه فی المعاملات للسید الخوئی، تقریر بحث الخارج للسید الخوئی المقرر الشیخ التوحیدی التبریزی: ص۷۹۱.

لیس للفرد فقط وإنما لانفعالات الجماعه لما یترتب علی هذا الفعل من آثار إیجابیه نحو الهدف الأسمی وهو إصلاح البنیه الفکریه؛ فهؤلاء الذین أکرمهم الله تعالی وشرفهم علی الناس فحرم علیهم أوساخ أموالهم بما للصدقه من دلالات علی الفقر والاحتیاج إلی الغیر، کیف لکم یا مسلمون من أن تتعرضوا لدمائهم وأموالهم.

بمعنی: تحریک المشاعر وشد الأذهان إلی ما جاء به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وإرجاعهم إلی الدین الحق ولیس إلی الجاهلیه التی أعادها آل أبی سفیان، ومن قبلهم أهل السقیفه.

وعلیه: انعکس ذلک علی المستوی العام لمجتمع الکوفه فأصبح أمر قیادتهم بما أراد له الإمام الحسین علیه السلام من مشروعه الإصلاحی لأمه جده بید العقلیه زینب علیها السلام فانتقلت بعد هذه الأداه، أی النافذه الانفعالیه إلی أداه جدیده، وهی کالآتی:

الأداه الرابعه: المنظور التطوری النفسی

الأداه الرابعه: المنظور التطوری النفسی(۱)

وفقاً للنهج التطوری النفسی، تعمل عاطفه الجماعه علی مساعده التواصل بین أعضاء الجماعه وقد لوحظ هذا التطور النفسی من خلال

۱- وفقاً للنهج التطوری النفسی، تعمل عاطفه الجماعه علی مساعده التواصل بین أعضاء الجماعه؛ فتخبر الحاله العاطفیه للجماعه أعضاءها عن عوامل فی البیئه، فإذا کان الجمیع فی مجال سیئ مثلاً فمن الضروری تغییر الظروف أو ربما العمل بجهد أکبر لتحقیق الهدف وتحسین هذه الظروف، کما أن العاطفه المشترکه فی الجماعات تنسق النشاط الجماعی عن طریق تعزیز روابط الجماعه وولائها؛ (الموسوعه الحره ویکیبیدیا انفعال جماعی).

التواصل بين أهل الكوفه فى جمعهم للوقائع ومن ثم تقديم التمر والجوز والخبز للأطفال ليصل إلى مرحله أعلى من التطور حينما سمعوا قول العقيله زينب عليها السلام (إن الصدقه علينا حرام) فعندها عملت العاطفه على مساعده التواصل بين أهل الكوفه إلى الاستجابه لإشارتها لهم بيدها وقد تجمعوا من حولها لينظروا ما تفعل ولعلهم لم يكونوا يتوقعون أنها ستخطب فيهم وقد قتل جيش الكوفه وخيل أهل الشام أخوتها وبنيها وأهل بيتها ونهبوا أموالهم وكأنهم من سبى أهل مله أخرى.

ولذا:

ترشد الروايه التاريخيه الكاشفه عن التطور النفسى للحاله العاطفيه المشتركه لأهل الكوفه فى انشدادهم للعقيله زينب عليها السلام فقد اتخذت سمت القياده لتلك الجماعه وذلك بفعل استثمارها للمزاج العام الذى حكم الحاله النفسيه لأهل الكوفه وهو ما كشفت عنه الروايه الآتيه التى رواها كلٌّ من:

۱ أحمد بن محمد الهمذانى المعروف ب(ابن الفقيه الهمذانى) (المتوفى سنه ۳۴۰ه).

۲ أبى الفضل بن أبى طاهر المعروف ب(ابن أبى طيفور المتوفى سنه ۳۸۰ه).

۳ أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المفيد (المتوفى سنه ۴۱۳ه).

۴ أبی جعفر محمد بن الحسن بن علی بن الحسن الطوسی (المتوفی سنه ۴۶۰ه).

۵ أبی منصور أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی (المتوفی سنه ۵۴۸ه).

۶ محمد بن الحسن بن محمد بن علی المعروف ب(ابن حمدون المتوفی سنه ۵۶۲ه).

۷ الشیخ محمد باقر المجلسی (المتوفی سنه ۱۱۱۱ه).

۸ الشیخ عبد الله البحرانی الأصفهانی (المتوفی سنه ۱۱۳۰ه).

۹ السید محسن الأمین (المتوفی سنه ۱۳۷۱ه).

والروایه أخرجها هؤلاء الحفاظ مسنده تاره، وبحذف السند فهی عند الهمذانی محذوفه السند وقد نسبها إلی (جریر بن میسیر) وعند ابن طیفور بسندین، الأول علی (حذام الأسدی، وقیل: حذیم) والثانی عن الإمام الصادق عن آبائه علیهم السلام؛ وأخرجها الشیخ المفید عن (حذلم بن ستیر)(۱)، فقال:

(قدمت الکوفه فی المحرم سنه إحدی وستین عند منصرف علی بن الحسین علیهما السلام بالنسوه من کربلاء، ومنهم الأجساد محیطون بهم، وقد خرج

۱- وفی بعض النسخ (حذیم بن شریک) وعده الشیخ الطوسی من أصحاب الإمام علی بن الحسین علیهما السلام؛ وفی البحار فی حادثه نزول أهل البیت علیهم السلام قرب المدینه (بشیر بن حذلم).

الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء جعل نساء أهل الكوفه يبكين وينتدبن، فسمعت على بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العله، وفى عنقه الجامعه ويده مغلوله إلى عنقه:

«ألا إن هؤلاء النسوه يبكين، فمن قتلنا؟».

قال:

ورأيت زينب بنت على عليهما السلام ولم أر خفره قط أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات)(۱).

وهذه الفقره الأخيره من الروايه هى محل البحث هنا أى: التطور النفسى للحاله العاطفيه لجماعه أهل الكوفه حينما أومأت العقيله زينب عليها السلام بيدها إلى أهل الكوفه: أن اسكتوا فما كان من الحاله النفسيه لديهم إلا الاستجابه السريعه لهذه الإشاره إلى الدرجه التى وصفت فيها الروايه الحاله النفسيه لأهل الكوفه بألفاظ متعدده ومتقاربه، وهى:

۱ (فارتدت الأنفاس وسكنت الأصوات)(۲).

۲ (فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس)(۳).

۱- الأمالى للشيخ المفيد: ص۳۲۱؛ الاحتجاج للطبرسى: ج۲، ص۲۹؛ البحار للمجلسى: ج۴۵، ص۱۶۳.
۲- بحار الأنوار للعلامه المجلسى: ج۴۵، ص۱۶۳.
۳- البلدان للهمذانى: ص۲۲۴.

۳ (فلما سکنت الأنفاس وهدأت الأجراس)(۱).

۴ (فلما سکنت فورتهم وهدأت الأجراس)(۲).

وهـذه الألفاظ ترشـد إلی صـفه واحـده: وهی التطور النفسـی لجماعه أهل الکوفه وإعمال الحاله العاطفیه علی سـیاده الاسـتجابه لإشـاره یـد العقیله زینب علیهـا السـلام بالسـکوت ممـا مکنهـا من اسـتثمار هـذه الحـاله النفسـیه المتأججه بالعواطف والعامله فی التواصـل بین أهـل الکوفه إلی الحـد الـذی سـری هـذا التـأثیر فی أنهم أمسـکوا بأعنـاق دوابهم، وخیلهم، وإبلهم کی لاـ تحرک رؤوسـها؛ وذلک أنهم کانوا یضعون أجراساً فی أعناق الخیل والدواب لغرض إحداث مؤثرات صوتیه تحدثها هذه الأجراس عند حرکه الخیل أو الدواب لاسیما فی الحرب أو عند رجوع الجیش من المعارک وهم یسوقون الأساری.

ومن هنا:

تکشف الروایه عن بلوغ الحاله العاطفیه والنفسیه ذروتها للانقیاد إلی العقیله زینب علیها السـلام؛ ومن ثم کان خطابها کالمطرقه علی الحدید المتجمر فی تغییر البنیه الفکریه لمجتمع أهل الکوفه.

فقالت علیها السلام:

(أما بعد یا أهل الکوفه یا أهل الختل(۳) والغدر، والخذل!! ألا فلا رقأت

۱- بلاغات النساء لابن طیفور: ص۲۴.

۲- التذکره الحمدونیه: ج۶، ص۲۶۵.

۳- الختل: الخداع.

العبره(۱) ولاـ هـدأت الزفره، إنما مثلكم كمثل التی نقضت غزلها من بعـد قوه أنکاثا(۲)، تتخذون أیمانکم دخلا بینکم(۳)، هل فیکم إلا الصلف(۴) والعجب، والشنف(۵) والکـذب، وملق الإماء وغمز الأعـداء(۶)، أو کمرعی علی دمنه(۷)، أو کفضـه علی ملحوده(۸)، ألا بئس ما قـدمت لکم أنفسـکم أن سـخط الله علیکم وفی العـذاب أنتم خالـدون، أتبکون أخی؟! أجل والله فابکوا فـإنکم أحری بالبکاء فابکوا کثیرا، واضـحکوا قلیلا، فقـد أبلیتم بعارها، ومنیتم بشـنارها(۹)، (۸) ولن ترحضوا أبـدا(۱۰)، وأنی ترحضون قتـل سـلیل خاتم النبوه ومعـدن الرساله، وسـید شـباب أهل الجنه، وملاذ حربکم، ومعاذ حزبکم ومقر سـلمکم، وأسـی کلمکم(۱۱)، ومفزع نازلتکم،

۱- رقأت: جفت.

۲- أی: حلته وأفسدته بعد إبرام.

۳- أی: خیانه وخدیعه.

۴- الصلف: الذی یمتدح بما لیس عنده.

۵- الشنف: البغض بغیر حق.

۶- الغمز: الطعن والعیب.

۷- الدمنه: المزبله.

۸- الفضه: الجص؛ والملحوده: القبر.

۹- الشنار: العار.

۱۰- أی: لن تغسلوها.

۱۱- أی: دواء جرحکم.

والمرجع إليه عنـد مقاتلتكم ومدره حججكم(۱)، ومنـار محجتكم، ألا ساء ما قـدمت لكم أنفسـكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم، فتعسـا تعسـا! ونكسـا نكسـا! لقـد خاب السـعى، وتبت الأيـدى، وخسـرت الصـفقه، وبؤتم بغضب من الله، وضـربت عليكم الـذله والمسـكنه، أتـدرون ويلكم أى كبـد لمحمـد صـلى الله عليه وآله وسـلم فريتم؟! وأى عهد نكثتم؟! وأى كريمه له أبرزتم؟! وأى حرمه له هتكتم؟! وأى دم له سـفكتم؟! لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا! لقد جئتم بها شوهاء صلعاء، عنقاء، سوداء، فقماء خرقاء(۲) كطلاع الأرض، أو ملأ السماء(۳) أفعجبتم أن تمطر السماء دما، ولعذاب الآخره أخزى وهم لا ينصـرون، فلا يسـتخفنكم المهل، فإنه عز وجل لا يحفزه البـدار(۴)، ولاـ يخشـى عليه فوت الثار، كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد)، ثم أنشأت تقول عليها السلام:

ماذا تقولون إذ قال النبى لكم

ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتى وأولادى وتكرمتى

منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

۱- المدره: زعيم القوم ولسانهم المتكلم عنهم.

۲- الشوهاء: القبيحه؛ والفقهاء إذا كانت ثناياها العليا إلى الخارج فلا تقع على السفلى؛ والخرقاء: الحمقاء.

۳- طلاع الأرض: ملؤها.

۴- يحفزه: يدفعه.

ما كان ذاك جزائى إذ نصحت لكم

أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

إنى لأخشى عليكم أن يحل بكم

مثل العذاب الذى أودى على أرم

ثم ولت عنهم.

قال حذيم: فرأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم فى أفواههم، فالتفت إلى شيخ فى جانبى يبكى وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعه إلى السماء، وهو يقول: بأبى وأمى كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم، ثم أنشد:

كهولكم خير الكهول ونسلكم

إذا عد نسل لا يبور ولا يخزى

فقال على بن الحسين عليه السلام:

«يا عمه اسكتى ففى الباقى من الماضى اعتبار، وأنت بحمد الله عالمه غير معلمه، فهمه غير مفهمه، إن البكاء والحنين لا يردان من قد أباده الدهر».

فسكتت)(۱).

وهذه الخطبه اشتملت على مجموعه جديده من الأدوات لتغيير البنيه الفكريه وإصلاح المعطيات الثقافيه التى أسهمت فى بناء الإنسان المسلم بعد

۱- البلدان للهمذانى: ص۲۲۴؛ بلاغات النساء لابن طيفور: ص۲۴؛ الأمالى للشيخ المفيد: ص۳۲۲؛ الأمالى للطوسى: ص۹؛ الاحتجاج للشيخ الطبرسى: ج۲، ص۲۹؛ التذكره الحمدونيه لابن حمدون: ج۶، ص۲۶۵؛ البحار للمجلسى: ج۴۵، ص۱۶۵؛ العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحرانى: ص۳۶۹؛ تاريخ الكوفه للبراقى: ص۲۹۴؛ أعيان الشيعه: ج۳، ص۴۸۴.

حاله الإفساد والتردی التی تعرض لها المجتمع فانعکست سلباً علی سلوکه الفردی والاجتماعی.

وعلیه:

فنحن أمام جمله جدیده من هذه الأدوات الإصلاحیه للمجتمع المسلم والتی کانت تبعاً لتلک الأدوات التی مرّ ذکرها آنفاً فکانت بمثابه الأساس الذی یقام علیه صرح الإصلاح الذی خرج من أجله الإمام أبو عبد الله الحسین علیه السلام وأکملته العقیله زینب علیها السلام، فکانت هذه الأدوات کالآتی:

الأداه الخامسه: بث الروح فی الضمیر الجمعی

اشاره

(الضمیر الجمعی أو الوعی الجماعی هو مصطلح فی علم النفس ابتکر من قبل عالم الاجتماع الفرنسی إمیل دورکایم (۱۸۵۸ ۱۹۱۷) لیشیر إلی المعتقدات والمواقف الأخلاقیه المشترکه والتی تعمل کقوه للتوحید داخل المجتمع ومن الممکن أن یعزی الضمیر الجمعی کترجمه أفضل لفکره دورکایم وذلک یکون جزئیاً بسبب ارتباط کلمه (الضمیر) مع کل من الفکره المارکسیه، والفرویدیه ولکن أیضاً أن الضمیر بالنسبه لدورکایم بشکل تمهیدی بارز هو جهاز مکون من الوجدان والتصویر وأنه لیس الجهاز العقلی وهو المفهوم الذی تتضمنه کلمه الوعی أو الضمیر.

وقد استخدم دورکایم فی کتبه (تقسیم العمل فی المجمع ۱۸۹۳م)،

و(قواعد الطريقه السوسيولوجيه ۱۸۹۵م)، (والانتحار ۱۸۹۷م)، إضافه إلى (النماذج الابتدائيه من الحياه الدينيه ۱۹۱۲م) وقد ناقش دوركـايم فى كتـابه تقسـيم العمـل بأنه فى المجتمعات التقليـديه البـدائيه (تلك القائمه على العائله والعشـيره أو العلاقات القبليه) يلعب الدين الطوطومى دوراً هاماً فى توحيد الأفراد من خلال خلق ضمير مشترك.

((conscience collective) فى الفرنسيه الأصـليه) ويكون محتوى الضـمير الشخصـى فى مثل هـذا النوع من المجتمعات مشتركاً بشكل كبير مع جميع الأفراد فى نفس المجتمع وهذا يخلق تضامناً إجتماعياً من خلال الشبه المتبادل)(۱).

وهذه التعاريف للضـمير الجمعى نجدها متجسده فى المجتمع الإسـلامى فى الكوفه آنذاك فقد أصبح الضمير الشخصى للمسلم عام (۶۱ه) مشتركـاً بشـكل كـبير مع جميع الأـفراد فى نفس المجتمع وهو مـا أشـارت إليه العقيله زينب عليهـا السـلام فى بيـانها لصفات المجتمع فقالت:

(يا أهل الختل والغدر....) والتى سـنمر عليها بمزيد من التحليل فهذه الصـفات الكاشـفه عن الضـمير الشخصى للمسلم فى مجتمع الكوفه آنـذاك والتى أصـبحت مشتركه بشـكل كبير فيمـا بين الأـفراد قـد خلقت تضامناً اجتماعياً من خلال التشابه المتبادل كما أشار دوركايم.

والذى يظهر هذا التضامن الاجتماعى بشكل جلى وعملى فى

۱- ويكيبديا الموسوعه الحره الضمير الجمعى.

خروجهم إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام بل ظهر هذا التضامن فى ارض كربلاء فى اجتماعهم على إنزال أعلى درجات الأذى والضرر فى آل رسول الله صلى الله وآله وسلم وكأنهم أبناء مله أخرى وعقيده معاديه تضامن منتحلوها فى قتالهم على أرض كربلاء.

ولذا:

احتاجت العقيله زينب عليها السلام فى معالجتها وإصلاحها للبنيه الفكريه للمجتمع المسلم الابتداء ببث الروح فى الضمير الشخصى ليسرى ذاك إلى الضمير الجمعى للمسلمين، الذى احتضنتهم أرض الكوفه من القبائل العربيه وقد خرجوا متضامنين إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وهى الأزد وزعيمها فى الكوفه عبد الله بن زهير بن سليم، وهم أهل المدينه المنوره وعشيره مذحج وأسد ورئيسها عبد الرحمن بن أبى ميسره الحنفى، وعشيره ربيعه وكنده وكان رئيسها قيس بن الأشعث، وتميم وهمدان ورئيسها الحر بن يزيد الرياحى رضوان الله تعالى عليه وجميعهم اشتركوا فى حرب الحسين عليه السلام إلا الحر الرياحى فضلاً عن تجمع خيل أهل الشام ومجاميع الحمران وهم أهل فارس الذين جىء بهم إلى أرض الكوفه عند فتح أرض فارس فى معركه القادسيه.

ومن ثم فنحن أمام تركيبه اجتماعيه متنوعه من حيث الأعراق والعادات والثقافات النشئويه وتسودها جميعاً شريعه واحده وأن هذه التركيبه المكونه للنسيج الاجتماعى الكوفى قد سادها ضمير جمعى واحد جعل منها

أمه تمارس جميع أنواع الظلم والقهر؛ بل إن النظر إلى مجريات عاشوراء يلزم الناظر بأنه أمام مجتمع قد مات فيه الضمير الإنسانی، فالرؤوس يطاف بها فی أزقه الكوفه، وقد اختلفت فيها الأعمار فمنها من ابيضت لحيته ورأسه، ومنها من كان شاباً، ومنها من كان صبياً، ومنها من كان رضيعاً، ومنها من كان عبداً موالياً لا حول له ولا قوه إلا الانقياد لسيده ومولاه.

فضلاً عن أن الناس وقفت تنظر إلى تلك الرؤوس التی تقاسمتها القبائل العربيه لتتقرّب بها إلى والی الكوفه عبيد الله بن زياد فقد جاءت كنده بثلاثه عشر، وصاحبهم قيس بن الأشعث لعنه الله وجاءت هوازن باثنی عشر، وصاحبهم شمر بن ذی الجوشن؛ وجاءت تميم بسبعه، وبنو أسد بسته عشر، ومذحج بسبعه، وجاء آخرون بباقی الرؤوس.

وهذه جميعاً كانت تسيّر بين النساء والأطفال وهم ينظرون إلى آبائهم وأهاليهم ويساقون بالسياط حينما يأخذهم النظر إلى تلك الرؤوس فلا يستطيعون من عظم المصيبه النظر إلى أقدامهم أين يضعونها فيعثرون فيه سيرهم.

وعليه:

فقد بات الضمير الجمعی لهذا المجتمع الإسلامی على سمه واحده فما من منكر ولا من معترض، ولأنهم على مله الإسلام ورسولهم محمد صلی الله عليه وآله وسلم لزم إحياء الضمير الفطری حينما يعاد هذا الضمير إلى ثوابته النشئويه والدينيه.

ولذا:

ابتدأت كلامها بعد أن أومأت إلى الناس بالسكوت فهدأت الأنفاس وسكنت الأجراس، قالت:

(الحمد لله، والصلاه على أبى محمد وآله الطيبين الأخيار).

وهذا الابتداء فى الكلام له سماته الإصلاحيه فى هدم الضمير الجمعى كى يستجيب لما سيأتى من أدوات ومعالجات تعيد النبض إلى ضمير الأمه بعد أن توقف عن الحركه.

ولكن ماذا أرادت العقيله زينب بهذا القول الذى صدمت به الضمير الجمعى للمجتمع؟ وجوابه فيما يلى:

أولاً: تحريک نبض التوحيد

(الحمد لله) كلمه لها دلالاتها وتأثيرها فى تحريك الضمير فى الأمه المسلمه وهى:

ألف: إنها حينما ابتدأت بالحمد ليس لأنها اعتادت على ذلك ولكن لبيان أنها وإياهم على مله واحده وهى الإسلام ومن ثم متى أباح الإسلام هتك ستر المرأه المسلمه وسبيها لاسيما وقد أسلفنا أن الكوفه قد تنوع فيها النسيج الاجتماعى العرقى ولعل فيهم من كان جاهلًا لدين هؤلاء السبايا أو الأسارى.

باء: الحمد لله على ما ابتلاها به من المصائب فهو وحده الذى لا يحمد

على مكروه سواه؛ فضلًا عن التسليم لأمره والصبر على قضائه.

جيم: أنها ابتدأت بالتوحيد وختمت خطابتها بالتوحيد، كما سيمر بيانه لاحقاً وهذا يكشف عن أنها من أهل بيت التوحيد والدعاه إليه، فضلًا عن تأثير هذه المقامات فى إحياء الضمير الجمعى والفردى للمسلم.

ثانياً: بنوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى بيد المسلمين

(والصلاه على أبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

هنا تختار العقيله زينب عليها السلام فى صلاتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على بنوتها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لبيان أن هذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى تدعون الإيمان برسالته فعرفتم بين الناس بأنكم مسلمون، هو (أبى).

فكيف لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر وبنبوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقدم على سبى بنت نبيه ويسلبها مقنعتها ويكشف رأسها ويضربها بالسياط ويقتل أخوتها وأولادها ويقيدها بالحبال ويقودها من بلد إلى بلد وهى على تلك الحاله.

فأى إسلام هذا الذى يدعون الإيمان به وحال أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الصفه التى تناقلتها كتب التاريخ، ومن ثم فإنها أرادت بهذه البنوه إحياء الضمير الجمعى للمسلمين فهؤلاء الذين أقدمتم على قتلهم، هم أنفسهم من تصلون عليهم فى صلاتكم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأى سبات هذا للضمير الإسلامى؟!

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار

بعـد بيانها عليها السـلام لبنوتها من رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وأنها أبنه من تدعون الانتساب لدينه تنتقل العقيله زينب فى إحياء الضـمير الجمعى للمجتمع الإسـلامى إلى أنها من آل محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم وإن من صفاتهم الطيب والخير، أى: إنهـا اختـارت من صـفات الآـل هـاتين الصـفتين لبيـان أن من يسـتحق العقـاب والقصاص والنكران هم المفسـدون الخبيثون الأشرار أما من كانت صفتهم الطيب والخير فلا يجازون بهذا الصنيع.

وعليه:

فأنتم يا مسلمون تقتلون الطيبين الأخيار وتتولّون الخبيثين الأشرار وهذا خلاف الفطره والضمير الإنسانى.

إذن:

إعاده للضـمير الجمعى شـحنته الصاعقه كى يستجيب هذا الضمير لما ستتكلم به من نور يخطف الأبصار ويزيل الخبث عن تلك العقول التى دنسـها جهل بنى أميه وعقيدتهم المرتكزه على حرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أصبح واقعاً اجتماعياً تسوده تلك الأفكار وثقافه البغض والعداء والقتل والدمار.

ومن ثم اسـتطاعت بهذه الكلمات التى سبقها ما عليه من حال الأسر أن نعيد النبض إلى الضمير الإسلامى فأصبح الضمير الجمعى لهم إسلامياً بعد أن كان أموياً؛ ولذا: تنتقل فى إصلاحها للبنيه الفكريه إلى الأداه السادسه.

الأداه السادسه: التعزير النفسى

أولاً: التعزير لغه

قال ابن فارس فى بيان معنى التعزير:

(عزر) العين والزاء والراء كلمتان إحداهما التعظيم والنصر والكلمه الأخرى جنس من الضرب فالأولى النصر والتوقير كقوله تعالى:

{...وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ...}(۱).

والأصل الآخر التعزير وهو الضرب دون الحد.

قال:

وليس بتعزير الأمير خزايه

على إذا ما كنت غير مريب(۲)

وقال ابن منظور:

إن العزر فى اللغه الرد والمنع، وتأويل عزرت فلاناً أى أدبته إنما تأويله فعلت به ما يردعه عن القبيح(۳).

ثانياً: التعزير عند الفقهاء

قال أبو الصلاح الحلبى الأمالى رحمه الله (المتوفى سنه ۴۴۷ه):

(التعزير: تأديب تعبداً لله سبحانه به لردع المعزر وغيره من المكلفين،

۱- سوره الفتح، الآیه: ۹.

۲- معجم مقاییس اللغه لابن فارس: ج۴، ص۳۱۱.

۳- لسان العرب لابن منظور: ج۴، ص۵۶۲.

وهو مستحق للإخلال بكل واجب وإيثار كل قبيح لم يرد الشرع بتوظيف الحد عليه، وحكمه يلزم بإقرار مرتين أو شهاده عدلين)(۱).

وقال على بن محمد القمى رحمه الله (المتوفى فى القرن السابع للهجره) فى فصل التعزيرات:

(واعلم أن التعزير يجب بفعل القبيح أو الإخلال بالواجب الذى لم يرد للشرع بتوظيف حد عليه أو ورد بذلك فيه ولم يتكامل شروط إقامته فيعزر على مقدمات الزنا واللواط من النوم فى إزار واحد والضم والتقبيل إلى غير ذلك)(۲).

وقال السيد أبو القاسم الخوئى رحمه الله فى التعزير وما يثبت به موجبه:

(من فعل محرما أو ترك واجباً إلهياً عالماً عامداً عزره الحاكم حسب ما يراه من المصلحه، ويثبت موجب التعزير بشهاده شاهدين وبالإقرار)(۳).

وهذا البيان اللغوى والفقهى هما مقدمه لبيان مصطلح (التعزير النفسى) الذى استل من فعل العقيله زينب عليها السلام فى عمليه الإصلاح للبنيه الفكريه للمسلم.

فهذه الجماعه التى اشتركت فى ارتكاب تلك الجرائم فى يوم عاشوراء بأمس الحاجه إلى التأديب والتعزير كى تمتنع هذه النفس من العوده إلى فعل

۱- الكافى فى الفقه لأبى الصلاح الحلبى: ص۴۱۶.

۲- جامع الخلاف والوفاق بين الإماميه وبين أئمه الحجاز والعراق لعلى بن محمد القمى: ص۵۹۷.

۳- مبانى تكمله المنهاج للسيد الخوئى: ج۱، ص۳۳۷.

القبیح وأی قبح أعظم من قتل ابن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وسلبه وسبی بناته وأخواته.

فهـذه الأفعال الإجرامیه التی امتزجت بها النفوس لابـد لها من موانع عدیـده کی تسـتعید رشـدها من ناحیه، ومن ناحیه أعظم منع تفشـی هذه الأمراض النفسـیه فی المجتمعات الإسلامیه الأخری أو الأجیال القادمه حینما لم تجد من یعزرها ویمنعها وینکر علیها هذه الأفعال.

ولذا:

نجـدها علیهـا الصـلاه والسـلام أول مـا ابتـدأت کلامهـا الموجه إلی أهل الکوفه بعـد أن عنتهم بقولها: (أما بعـد یا أهل الکوفه) بـالتعزیر النفسـی الموجع مع کون الخطبه کلهـا کانت بطابع التعزیر النفسـی إلا أن الناس حینما تجتمع لأمر مهم لاسـیما فی هـذه الحاله فإنها مشدوده إلی الکلمات الأولی، فقالت:

(یـا أهل الختل والخـدر؛ أتبکون؟! فلا رقأت الـدمعه، ولا هـدأت الرنه، إنما مثلکم کمثل التی نقضت غزلها من بعـد قوه أنکاثاً، تتخـذون أیمـانکم دخلاًـ بینکم، ألا وهل فیکم إلا الصـلف(۱) النطف(۲)، والعجب والکذب والشـنف(۳)، وملق الإمـاء، وغمز الأعداء

۱- الصلف، بفتح اللام مصدر بمعنی التملق، وبکسرها: الذی یکثر مدح نفسه ولا خیر عنده.

۲- النطف: بفتح الطاء: التلطخ بالریب والعار، وبکسرها بمعنی النجس.

۳- والشنف بفتح العدواه والبغض، وبکسرها المبغض.

کمرعی علی دمنه، أو کقصه علی ملحوده، ألا بئس ما قدمت لکم أنفسکم أن سخط الله علیکم وفی العذاب أنتم خالدون).

والعقیله زینب علیها السلام فی تعزیرها النفسی لأهل الکوفه أشارت إلی مجموعه من الأخلاق السیئه التی انتحلها هؤلاء فأصبحت أخلاقاً عامه یتصف بها المجتمع وذلک لوجود التشابه الکبیر فیما بین أبناء المجتمع وهو ما أشرنا إلیه سابقاً فی الضمیر الجمعی.

إلا أنها علیها السلام أرادت مع هذا التعزیر النفسی بیان تلک الصفات التی اتصف بها أهل الکوفه للتأکید علی أمرین:

۱ إن هذه الأخلاق لو سرت فی أی مجتمع من المجتمعات فإنها ستقدم علی ممارسات وأفعال أهل الکوفه وستثمر هذه الصفات خبثاً کما أثمرت أخلاق هذه الجماعه وهو المعنی الذی أشار إلیه الإمام أبو عبد الله علیه السلام حینما خاطبهم فی یوم عاشوراء فقال علیه السلام:

«فکنتم أخبث ثمره، شجر للناظر وأکله للغاصب»(۱).

ومن ثم یبدأ الإصلاح من خلال التخلص من هذه الأخلاق الذمیمه والصفات الرذیله وهو ما حددته علیها السلام فی تعزیرها النفسی لهم وذلک من خلال بیان انقسام هذه الرذائل الأخلاقیه إلی صنفین، منها فردیه، ومنها اجتماعیه، وإن الإصلاح یبدأ بتغیر الأخلاق الفردیه أولاً، وهذا ما سنعرض له فی الأداه السابعه.

۱- تحف العقول للبحرانی: ص۲۴۱؛ تاریخ مدینه دمشق لابن عساکر: ج۱۴، ص۲۱۹.

الأداه السابعه: تشخيص الرذائل التى أصابت أهل الكوفه إلى أخلاق فرديه واجتماعيه وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع

لقد قامت العقيله زينب عليها السـلام فى عمليه إصـلاح البنيه الفكريه بتشخيص الأخلاق الرذيله التى أصابت أهل الكوفه فكانت هذه الأخلاق فرديه وأخرى اجتماعيه، فالأخلاق الفرديه حددتها عليها السلام بما يلى والذى ابتدأته بقولها: (ألا وهل فيكم إلا:

۱. الصلف.

۲. النطف.

۳. العجب.

۴. الكذب.

۵. الشنف.

۶. ملق الإماء.

۷. غمز الأعداء.

وإن هـذه الأخلاـق الفرديه حينمـا تكون ضـمن أبنـاء المجتمع فإن هـذا المجتمع سـتكون أخلاقه العامه وصـفاته المشـهوره التى يعرف بها هى تلك التى ابتدأت خطابها بها فقالت:

(أما بعد: يا أهل الكوفه:

١. يا أهل الختل(١).

٢. الخذل(٢).

٣. الغدر(٣).

۴. والمكر(۴).

وهـذه الأخلاـق حينمـا تجتمع تجعـل صوره المجتمع وحقيقته بـالهيئه الـتى مثلتهـا لهم العقيله زينب عليهـا السـلام بمعنى يصـبح المجتمع عند تفشى هذه الأمراض الأخلاقيه كـ:

١. (مرعى على دمنه)؛ أى كالماشـيه التى تعيش على المزبله، ومن ثم كيف سـيحيا الجيـل الجديـد من الأبنـاء والأحفاد فى هـذا المجتمع.

٢. (قصه على ملحوده): أى يصـبح المجتمع كالقبر فظاهره مزين بالجص وداخله لحـد يضم بـدن الميت وما يجرى فيه من تحلل وتفسخ لهذا البدن؛ ومن ثم فإن هذا المجتمع ستموت قيمه حاله فى ذاك حال القبر.

وعليه:

فإن هذه الصـفات الأخلاقيه التى ذكرتها العقيله زينب عليها السلام والتى أصابت المسلمين فى المجتمع الكوفى آنذاك أدت به إلى هذه الحاله المأساويه

١- مثير الأحزان لابن نما الحلى: ص۶۶.

٢- المصدر السابق.

٣- الاحتجاج للطبرسى: ج٢، ص ٣٠.

۴- مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص ٢۶١.

وإن على القاده والمصلحين والتربويين والمبلغين الالتفات إلى إصلاح أخلاق الفرد فبه يصلح المجتمع وإن الإنسان حينما يغفل عن إصلاح نفسه ويسعى فی تغيير أخلاقه سيقع فيما وقع فيه أهل الكوفه، وذلک أنه لن يستطيع أن يردع نفسه من التضامن مع هذه الجماعه أو تلک وهی تشابهه فی الأخلاق والصفات وأنه سيقع فيما سيقعون فيه من أعمال إجراميه كما وقع جماعه المسلمين آنذاک بفعل هذه الأخلاق والصفات الرذيله.

فكانت النتيجه كما بينت لهم عقيله بنی هاشم بقولها:

(أن سخط الله عليكم وفی العذاب أنتم خالدون).

الأداه الثامنه: تجمير المشاعر واصدام النفوس

بعد عرضها عليها السلام لأصناف الأخلاق التی جعلت من المجتمع الإسلامی فی الكوفه بهذا المستوى المتردی وشعورهم بالندم الشديد والخساره الفادحه لما كسبته أيديهم من ظلم لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم لم يجدوا عند ذلک غير البكاء والدموع وهی حاله انفعاليه لا يمتلک الإنسان غالباً كتمانها.

ولقد أشار النص التاريخی إلى هذه الحاله الانفعاليه الجماعيه لدى أهل الكوفه وهو ما تناولته العقيله فی خطابها إليهم بعد أن قامت بالتعزير النفسی وتشخيص الأخلاق الرذيله الفرديه منها والجماعيه.

فقالت عليها السلام:

(أتبكون؟ أى والله، فابكوا كثيراً، وأضحكوا قليلاً، فلقد فزتم بعارها وشنارها، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبداً...).

وهـذا المقطع من خطابهـا يكشف عن حـاله التفاعـل مع كلماتها وتأثرهم بها إلى درجه البكاء مما يعنى نجاح خطابها فى تغلغله فى نفوسـهم مما دفعهم إلى البكاء ومن ثم تنتقل فى إصـلاحها لهذه النفوس إلى تجمير المشاعر كى تستقبل الطَّرْق الذى يكسر صدأ القلوب فيجلوها ولا شك أن هذا النهج لا يعالج أهل الحدث فقط وإنما على مر الوقت لمن أراد أن ينجو بنفسه من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكوفه.

ولذا:

فقد أقدموا على فعل هو عار عليهم على مرّ الدهر، ولن يمحوه شـىء، أو يطهره شىء، وذلك أن الإقدام على قتل آل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عار يلحق الفاعل على كرور الليالى والأيام فضلاً عن عذاب الله الشديد.

ومن ثم:

كى لا ـ يقع غيرهم من المسلمين فيمـا وقع فيه أهـل الكوفه فى يوم عـاشوراء كـان خطابها الإصـلاحى للأمه بهـذه الأدوات التى غيرت من البنيه الفكريه لديهم حينما أقدموا على هذا الفعل مما يعنى تحصـين الأبناء والأجيال القادمه من هذه الأفكار المريضـه والهدامه.

ولعل الوقوف اليوم لدراسه الحركات التكفيريه والإرهابيه ليغنى الباحث

والقـارئ اللبيب عن البحث عن الشواهـد والعوامـل الـتى جعلت أهـل الكـوفه يقـدمون على فعلتهم؛ فهـذا النهـج الـذى ظهر فى عاشوراء لقتال الحسـين وأهل بيته عليهم السـلام أينما تجـدد زماناً ومكاناً سـيثمر نفس هذه النتائج التى لحقت بالمجتمع الكوفى آنذاک.

ومن هنا:

كان حرص العقيله زينب عليها السلام فى خطابها الدينى لتغير البنيه الفكريه للمسلم هو تجنيب الأمه من الويلات التى ستلحق بها كما لحقت بآل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى دوله بنى أميه وأشياعهم.

الأداه التاسعه: تعظيم حرمه أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

لعل من أهم الأدوات التى صدعت المجتمع الإسـلامى بعد مرور خمسـين سـنه على وفاه رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم هو التأسـيس لانتهاک حرمه أهل البيت عليهم السـلام حينما تم جمع الحطب عند باب فاطمه عليها السـلام وفى الدار ولداها الحسن والحسـين وبعلها على بن أبى طالب عليهم السـلام وإضرام النار فيه ومن ثم الهجوم على الدار لقتل من فيه وقد شاء الله تعالى غير ذلک فأنجى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم(۱).

إلا أن هذا الفعل أسس لهتک حرمه آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

۱- للمزيد من الاطلاع، ينظر: باب فاطمه عليها السلام بين سلطه الشريعه وشريعه السلطه للمؤلف.

وأعطى الـذريعه لكـثير من أصـحاب القلوب المريضه والتى خالـط النفـاق أبـدانهم فى التعرض لانتهـاك حرمه آل البيت عليهم السلام؛ وما عاشوراء إلا صوره من صور الهجوم على دار على وفاطمه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من هنا:

انعطفت العقيله زينب عليهـا السـلام على بيـان حرمه أهل البيت عليهم السـلام عنـد الله تعالى ورسوله الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم، إذ لو كانت هـذه الحرمه معظمه لـدى المسـلمين ومصانه بما أمر الله به لما تجرأ هؤلاء على الله تعالى فى انتهاكها وتعدى حدوده فيها.

ولقد ابتدأت العقيله زينب عليها السـلام ببيان حرمه سـيد الشـهداء عليه السلام عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنه صـاحب الظلامه والمخصوص بهـذا الحـدث الـذى تلطخت أيـاديهم بـدمه؛ وهـذا أوجع للقلوب وأمضـى ألمـاً للنفوس فيما تستشعر عظم جريمتها وما كسبت يداها.

فقالت:

(وأنى ترحضون قتل سـليل خاتم النبوه، ومعـدن الرساله، وسـيد شـباب أهل الجنه، وملاذ حربكم، ومعاذ حزبكم، ومقر سـلمكم، وأسـى كلمكم، ومفزع نازلتكم، والمرجع إليه عنـد مقاتلتكم، ومدر حججكم، ومنار محجتكم، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسـكم، وساء ما تزرون ليوم بعثكم).

وقد جمعت سلام الله عليها هذه الصفات فی الإمام الحسين عليه السلام بين مقام النبوه ومنزلته من رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وبين صفات الإمامه ومفاصل دورها وعلاقتها بالناس جميعاً، فقالت عليها السلام:

۱. وأنی ترحضون قتل سليل خاتم النبوه.

۲. ومعدن الرساله.

۳. وسيد شباب أهل الجنه.

وهذه الصفات الثلاثه هی تخص النبوه والرساله بالمعنی العام، وذلک أن ميراث النبوه من آدم عليه السلام إلی المصطفی صلی الله عليه وآله وسلم هو عند رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ولذا قالت:

(سليل خاتم النبوه)، و(معدن الرساله)، ولم تقل النبی أو الرسول صلی الله عليه وآله وسلم وإنما النبوه، والرساله، وبذاک أرادت ما ينضوی تحت هذه الصفه من منزله وشأنيه وشرائع وكتب وصحائف وعلوم وغير ذلک مما ارتبط بالنبوه والرساله فكان بهذا الميراث النبوی والرسالی سيد شباب أهل الجنه فهو سليل النبوه ومعدن الرساله.

ثم تنتقل عليها الصلاه والسلام إلی صفات الإمامه وما يناط بالإمام ودوره فی حفظ البلاد والعباد من كل سوء وضلال، فقالت عليها السلام:

۱. وملاذ حربكم.

۲. ومعاذ حزبكم.

۳. ومقر سلمكم.

۴. وأسی کلمکم.

۵. ومفزع نازلتکم.

۶. والمرجع إلیه عند مقاتلتکم.

۷. ومدره حججکم.

۸. ومنار محجتکم.

وهـذه الصـفات هی ثمـار وجود الإمام المعصوم علیه السـلام علی الناس، فمن تخلی عنه إنما یتخلی عن هـذه الرحمه الإلهیه وما یضر إلا نفسه:

{وَمَنْ یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللَّهَ شَیْئًا}(۱).

وعلیه:

فقـد سـعت فی عملیه الإصـلاح للبنیه الفکریه لـدی المجتمع الإسـلامی فی الإمامه بإرجاعها إلی المقام الإلهی أولاً، ومقام النبوه ثانیاً، ومن ثم الانتقال إلی بیان أن مشروع الإمامه هو الذی اختاره الله وأمر به رسوله صلی الله علیه وآله وسلم.

أما مشـروع الصـحابه الذی اختاره أهل السـقیفه فی یوم وفاه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم الذی دأب السلف ممن تصدوا للجلوس فی مجلس رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم علی تقـدیمه کمشـروع بـدیل عن الإمـامه ومنحه بعض صـفات الإمامه والتی تم حصرها فی الفتیا وإحداث البدع ضمن قاعده الاجتهاد فمن أخطأ فله أجر واحد کما مر بیانه سابقاً، فهذا

۱- سوره آل عمران، الآیه: ۱۴۴.

المشروع هو الذی جر الویلات علی الأمه وهو الذی قادها إلی الهاویه.

ولذلک:

بینت علیها السلام أن الإمام یمثل المرحله النهائیه من الرحمه الإلهیه التی ابتدأها الله عز وجل فی عباده حینما خاطب الملائکه {إِنِّی جَاعِلٌ فِی الأَرْضِ خَلِیفَهً}(۱) فالغایه فی هذا الجعل رحمه العباد والبلاد، والتی جمعت فی المصطفی خاتم النبوه والرساله صلی الله علیه وآله وسلم، فقال سبحانه:

{وَمَا أَرْسَلْنَاکَ إِلاّ رَحْمَهً لِلْعَالَمِینَ}(۲).

فکانت الإمامه هی المرحله النهائیه من هذه الرحمه الإلهیه التی ابتدأت بجعل الخلیفه فی الحوار الإلهی مع الملائکه، وخلق آدم ونزوله علی الأرض، ثم انتقال هذه الرحمه من نبی إلی نبی ومن رسول إلی رسول، حتی ختمت بمنزله الإمامه.

فکان من ثمارها أی الإمامه ما ذکرته العقیله زینب علیها السلام وهی ترید بذاک إصلاح البنیه الفکریه للمجتمع المسلم الذی ثقفه أرباب السلطه علی مشروع الصحبه کی یعطوا مجوزاً لدی الناس یستدرون به عواطفهم الإیمانیه وحبهم لله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم حتی أخذ المسلم یقدس الصحابی أکثر مما یقدس نبیه صلی الله علیه وآله وسلم وهو لا یشعر فیقبل المعیب علی نبیه ولا یقبله علی خلیفه المسلمین والشواهد علی ذلک کثیره لا یسعنا إیرادها ولعل الرجوع إلی أحادیث البخاری وغیره فی تبول النبی صلی

۱- سوره البقره، الآیه: ۳۰.

۲- سوره الأنبیاء، الآیه: ۱۰۷.

الله علیه وآله وسلم واقفاً، أو حمله زوجته عائشه علی ظهره لتری رقصه الأفارقه، أو دخول عمر بن الخطاب علیه وعنده نساء یضربن بالدف فلما رأین عمر بن الخطاب هربن واستنکاره لهذه الحاله لأنه وجد طنبوراً ودفاً یضرب فی بیت النبی صلی الله علیه وآله وسلم، واستواء النبی صلی الله علیه وآله وسلم جالساً وتبسمه وقوله لقد هرب الشیطان عندما رأی عمر؛ أو استماع عائشه إلی جاریتین تغنیان واستنکار أبی بکر لفعلها وتجویز النبی صلی الله علیه وآله وسلم والعیاذ بالله ذلک فیکون القینات، أی المغنیات فی بیت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم(۱).

وغیر ذلک من الترهات التی أرید منها تقدیم مشروع بدیل عن الإمامه وصفاتها کی یستسیغ الناس المخالفات التی تصدر من بعض الصحابه وتحت غطاء شرعی.

إذن:

ذکرها علیها السلام لهذه الصفات المتعلقه بشخص الإمام الحسین علیه السلام لکونه إماماً منصوصاً علیه من الله علی لسان رسوله صلی الله علیه وآله وسلم وأبیه علی أمیر المؤمنین علیه السلام؛ یدل علی أن الإمامه هی الوجه الحقیقی للإسلام ولیست مشروع الخلافه الذی جاء بوحی السقیفه لا بوحی من الله تعالی ولا رسوله الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم.

۱- صحیح البخاری، کتاب العیدین، باب: سنه العیدین: ج۲، ص۲۱.

الأداه العاشره: إظهار عقوبه قتل العتره النبويه فی الدنیا والآخره

بعد بیانها علیها الصلاه والسلام لمشروع الإمامه وأنه المختار من الله تعالی والمبین له رسوله صلی الله علیه وآله وسلم، وأن مشروع الخلافه هو من صناعه أهل السقیفه مما أدی بهم إلی هذه الجرأه علی الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم فقاموا بقتل إمامهم الشرعی المرتبط بالله ورسوله صلی الله علیه وآله وسلم فإن هذه الجریمه قد ترتب علیها عقوبات عده منها فی الدنیا ومنها فی الآخره.

ولا شک أنها علیها السلام حینما بینت هذه العقوبات إنما أرادت منع وقوع هذه الجریمه فی الأجیال اللاحقه فیتحقق الإصلاح فی البنیه الفکریه کی یعلم الناس والمسلمون أی حرمه قد انتهکت علی ید هؤلاء وأن التعرض لهذه المقدسات الإلهیه لها تبعات قاسیه وهو ما بینه القرآن الکریم فی معرض بیانه للأمم السابقه وما لحق الأمم حینما أقدمت علی هتک الحرمات فکانت هذه العقوبات متفاوته بحسب طبیعه الجرم الذی أوقعته هذه الأمه أو تلک.

ولذا: نجد هنا العقوبات المتفاوته فی الضرر وذلک طبقاً لنوع الجرم وعظم الحرمه المنتهکه فکانت کالآتی:

۱. إن قوم نوح قد أبادهم الله تعالی بالطوفان.

۲. وإن قوم صالح أهلکهم الله تعالی بالصحیه.

۳. وإن قوم لوط أهلکهم الله بالخسف.

۴. وإن الیهود عاقبهم الله تعالی بالمسخ وسلط علیهم القمل والجراد.

وغیر ذلک من آثار الأمم التی ذکرها الله تعالی فی محکم التنزیل؛ وبینها المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم فی حدیثه لأمته وحذرهم من اتباع سنن الذین کانوا من قبلهم.

ومن هنا:

کان مشروع العقیله زینب الإصلاحی للبنیه الفکریه لأهل الکوفه ومن یسمع قولها ویحدث به أن لا یقع فیما وقع فیه هؤلاء القوم، أی: أرادت بذلک تحقیق الهدف الذی أراده القرآن الکریم فی ذکره لما جری فی الأمم السابقه.

فقالت علیها الصلاه والسلام:

(فتعساً تعساً! ونکسا نکساً! لقد خاب السعی، وتبت الأیدی، وخسرت الصفقه وبؤتم بغضب من الله، وضربت علیکم الذله والمسکنه).

وهذه العقوبات کانت علی نطاق الدنیا فکانت:

۱. التعاسه ما حییتم.

۲. التنکیس للرؤوس والفشل.

۳. الخیبه.

۴. الخسران، فلن ینالوا من الدنیا شیئا.

۵. غضب الله تعالی.

۶. ضربت علیکم الذله والمسکنه.

ولا شک أن عـذاب الآخره أشـد وأخزی، ولذا تنتقل علیها السـلام إلی بیان التلازم فیما بین حرمه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم وحرمه عترته وأن هتک هذه الحرمه عند الله کجریمه الشرک وهذا ما سنعرض له فی الأداه الآتیه.

الأداه الحادیه عشره: حرمه النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی حرمه عترته وإن آثار هتکها عند الله تعالی کآثار جریمه الشرک

إن من أهم المسائل التی رکزت علیها العقیله زینب علیها السلام والتی أدت بالأمه إلی هذا الانحدار هو الفصل بین حرمه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم وبین عترته أهل بیته وهم الذین جللهم بالکساء الیمانی وفیهم نزلت آیه التطهیر، وآیه الموده، وبهم خرج النبی الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم لمباهله نصاری نجران کما هو بینٌ فی أیه المباهله.

ولذلک: تبین العقیله زینب علیها السـلام أن حرمه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی حرمه عترته علیهم السلام وأن التعرض لانتهاک هذه الحرمه هو عند الله تعالی کجریمه الشرک والسبب فی ذلک الحکم، هو:

أن التوحید لا یمکن أن یستقیم ما لم یعتقد الإنسان بالنبوه فبقدر معرفته الصـحیحه بالنبی صـلی الله علیه وآله وسـلم وحقه الذی أوجبه الله تعالی علی الناس کانت هذه المعرفه موصله إلی تصحیح الاعتقاد بالله تعالی.

ولهـذا التلازم بين التوحيد والنبوه والذى ظهر جلياً فى الشـهادتين اللتين هما مطهرتان للإنسان من الرجس إلى الإيمان فإن حرمه التوحيـد والنبوه متلازمتان كذاك فى معرفه العتره النبويه فمن عرف النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم حق معرفته وآمن به وأنه لا ينطق عن الهوى، عند ذلك لا شك أنه سيعلم أن حرمه العتره فى حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعليه:

أرادت العقيله زينب فى تتـابع أدوات العمليه الإصـلاحيه للبنيه الفكريه كمـا يفعل الطبيب الجراح فى إزاله الأورام الخبيثه بأدواته الجراحيه، أى: تطهير الفكر الـذى أضـرته المعطيـات الـتى تمخضت عن سـقيفه بنى ساعـده والتى جـاءت بعقيـده حرمه الخلافه والإماره بديلاً عن عقيده:

{قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّهَ فِي الْقُرْبَى}(۱).

فكان ما كان من الانتهاكات لهذه الحدود الإلهيه، التى لها من الآثار السلبيه على مصير الإنسان فى الدنيا والآخره.

فأمـا مصـيرها فى الـدنيا فقـد أظهرته العقيله زينب عليهـا السـلام كمـا مرّ علينا آنفاً فى الأداه السابقه وأما مصـيرها فى الآخره فقد أظهرته العقيله زينب بقولها عليها السلام:

(ويلكم يا أهل الكوفه: أتدرون أى كبد لمحمد صـلى الله عليه وآله وسـلم فريتم؟ وأى دم سـفكتم؟ وأى حرمه له أضـعتم؟ لقد جئتم

۱- سوره الشورى، الآيه: ۲۳.

شیئاً إداً، تکاد السماوات یتفطرن منه، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ولقد أتیتم بها خرقاء شهواء کطلاع الأرض والسماء؛ أفعجبتم أن مطرت السماء دماً؛ فلعذاب الآخره أخزی ولا تنصرون)(۱).

وخطابها فی هذه الفقرات رکز علی أمور، وهی:

۱ الملازمه بین عقیده التوحید والنبوه.

۲ إن حرمه النبوه فی حرمه العتره فهما متلازمتان لا ینفکان ولذا قالت:

(أتدرون أی کبد لمحمد صلی الله علیه وآله وسلم فریتم، وأی دم له سفکتم، وأی کریمه له أصبتم).

وهذه الجرائم الثلاثه هی فی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ولیس کما کنتم تظنون وما علیه لقنکم الأعراب والمنافقون، ومن ثم فإن هذه الحرمه النبویه هی حرمه الله تعالی ولذا فقد قرن الله تعالی حرمته بحرمه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی جمله من الآیات الکریمه لاسیما فیما یتعلق بأذی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وحربه وشقاقه، فقال عز وجل:

أ: {إِنَّ الَّذِینَ یُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِی الدُّنْیا وَالآخِرَهِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِینًا}(۲).

ب: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِینَ یُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَیَسْعَوْنَ فِی الأَرْضِ

۱- البلدان للهمذانی: ص۲۲۴؛ بلاغات النساء لابن طیفور: ص۲۴؛ الأمالی للمفید:۳۲۳.
۲- سوره الأحزاب، الآیه: ۵۷.

فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(۱).

ج: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}(۲).

۳ ثم إنها بعد بيان هذه الملازمه بين حرمه الله تعالى وحرمه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والملازمه بين حرمته صلى الله عليه وآله وسلم وبين حرمه عترته؛ فإنها تنتقل إلى بيان فى غايه الخطوره، وهو: أن جريمه هتك حرمه العتره كجريمه الشرك عند الله تعالى ومن ثم فإن من يقدم على هتك هذه الحرمه فإنه مخلد فى النار وإن جريمته لها من الآثار الكونيه كآثار الشرك، وهو ما أظهرته فى قولها:

(لقد جئتم شيئاً إدا، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).

وهذا الوصف والحاله التى تصيب السماوات والأرض عرضها القرآن الكريم فى معرض بيانه لآثار دعوى الشرك لاسيما ادعاؤهم أن لله تعالى والعياذ بالله ولدا، فقال عز وجل:

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ

۱- سوره المائده، الآيه: ۳۳.

۲- سوره النساء، الآيه: ۱۱۵.

يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا}(۱).

ومن ثم فإن هذه الجريمه لابد لها من عقوبه تتناسب مع حجمها وآثارها الكونيه، مما يتطلب إرجاع الأذهان والفكر إلى الأساس الذى تبنى عليه عقيده المسلم وهو التوحيد.

فهؤلاء الذين خرجوا لقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاك حرمه الله والتعدى على حدوده إنما وقعوا فى ذلك بفعل بناء عقيده التوحيد الفاسده والتى جاء بها دعاه مشروع السقيفه الذين تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجىً على فراشه لم يبرد بدنه بعد وهم يتصارعون فى الوصول إلى كرسى السلطه والإماره(۲).

ولذا: أرادت العقيله زينب عليها السلام بعد هذا التدرج فى إصلاح البنيه الفكريه وإعطاء الأسباب الحقيقيه لهذا الانحراف فى المجمع المسلم أن تضع يدى المسلم على الجرح وهو العقيده فى التوحيد ولذلك قالت:

(فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف عليه فوت الثار، كلا، إن ربك بالمرصاد)(۳).

۱- سوره مريم، الآيات: ۸۸ ۹۱.
۲- للمزيد من الاطلاع، ينظر كتاب: وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بين اختلاف أصحابه واستملاك أزواجه للمؤلف.
۳- الأمالى للمفيد: ص۳۲۳؛ والحفز: الحث والإعجال، والبدار: المبادره أى لا يحتاج سبحانه إلى الحث والإعجال فى المبادره.

وهنا جاءت بمرتكزات العقيده فى التوحيد، وهى:

۱ بيان صفات الله الإفعاليه.

۲ إنه عادل، والعدل أصل، حاله حال التوحيد فى العقيده الإسلاميه.

۳ قد عرض القرآن الكريم فى بيانه لسيره الأمم السابقه وما نزل فيها من عقوبات عند تعديها للحدود وهتك الحرمات إن عاجلها فى العقوبه وذلك بحسب الحكمه الإلهيه فى إصلاح العباد.

إلا أنه حينما يؤخر العقوبه فليس معنى ذلك أن هذا التعدى للحدود والانتهاكات كاشف عن فقدان حرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه عترته، كلا وإنما لحكمه إلهيه خاصه.

ومن ثم فإنه إن لم يعجل عليهم العقوبه بما فعلوا فإنه سبحانه لاـ يحتاج إلى الحث والإعجال لكى يبادر المجرمين الظالمين بالعقوبه.

وعليه:

فلا يستخفنكم هذا الإمهال الذى أمهلكم الله به، فلم يعجّل عليكم العقوبه حينما فعلتم هذه الجرائم.

۴ إن صاحب الثأر لهذه الدماء المقدسه هو الله تعالى وذلك إنها مثال شريعه الله تعالى، والله هو من يأخذ بثأر شريعته التى هتكت فهو بالمرصاد.

وبناء على ما تقدم:

فقد حققت عليها الصلاه والسلام بهذا الخطاب الدينى التجديدى للبنيه الفكريه ما لم يحققه مصلح آخر، وذلك بفضل تلك الدماء المقدسه التى طهرت العقول من رجس الجاهليه وثقافه الأعراب والنفاق الذين عمدوا إلى زرعها فى أرض العقيده الإسلاميه فكانت هذه النتائج المروعه والمفجعه والتى لم تحدث فى أمه من الأمم السابقه، وذلك بفعل هذه الاتجاهات والقيم التى أفرزتها أدوات سقيفه بنى ساعده خلال نصف قرن من عمر الإسلام، مما تطلب كل هذه التضحيات لتغيير البنيه الفكريه والاتجاهات نحو العتره النبويه، وهو ما سنتناوله فى المسأله القادمه.

المسأله الثالثه: كيف استطاعت العقيله زينب عليه السلام بخطابها الدينى تغيير الاتجاهات والقيم فى المجتمع الكوفى؟

اشاره

يركز علماء النفس الاجتماعى فى دراساتهم وأبحاثهم على أهميه الاتجاهات فى كونها دوافع للسلوك، ولا شك أن الدافع النفسى مرهون بالمشاعر الانفعاليه والتقييمات الإيجابيه أو السلبيه ومن ثم يتحدد الاتجاه نحو هذه المعايير.

وحيث أن التنشئه الاجتماعيه وما يرد على الإنسان من ثقافه ومعطيات فكريه تُكَوِّنُ لديه اتجاهاً وعقيده نحو أمرٍ ما؛ ومن ثم فإن الإحاطه بمعرفه الاتجاهات النفسيه تمكن الباحث من تحديد السبل فى تغيير سلوك الإنسان وتبين له أهميتها فى تحقيق الأهداف.

(والاتجاهات عموماً تضفى على حياه الفرد اليوميه معنى ودلاله حين يتفق سلوكه مع اتجاهاته ويشبع هذا السلوك تلك الاتجاهات.

ولذلك تعمل اتجاهاتنا النفسيه على إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسيه والاجتماعيه، ومن هذه الحاجات الحاجه إلى التقدير الاجتماعى، والقبول الاجتماعى، والحاجه إلى الانتماء إلى جماعه معينه، والحاجه إلى المشاركه الوجدانيه.

وهنا يتقبل الفرد قيم الجماعه ومعاييرها، والفرد يرغب دائماً فى الانتماء إلى جماعه حتى المجرمين يميلون إلى الانتماء إلى جماعات إجراميه، ويلزم أن يقبل الفرد اتجاهات الجماعه التى يريد الانتماء إليها بل إنه يكتسب نفس الألفاظ والشعارات التى تستخدمها الجماعه، فالحاجه إلى الانتماء من الحاجات الأساسيه فى الإنسان.

كذلك تعمل اتجاهاتنا على تسهيل استجاباتنا فى المواقف التى لدينا اتجاهات خاصه بها، فلا ينحث على سلوك جديد فى كل مره نجابه فيها هذا الموقف، وكذلك تساعدنا الاتجاهات على تفسير ما تمر به من مواقف وخبرات وعلى إعطاء هذه المواقف معنى ودلاله.

وتفيد معرفه الاتجاهات النفسيه فى كثير من الميادين، ففى الميدان التربوى تفيد الإداره التعليميه من معرفه اتجاهات التلاميذ نحو المواد الدراسيه المختلفه ونحو زملائهم وكتبهم ومدرسيهم ونظم التعليم وأنواعه وطرق التدريس.

وفى الميدان الصناعى تفيد معرفه اتجاهات العمال نحو عملهم ونظم

الإداره فى تحقيق سعاده العمال وتكيفهم وفى زياده الإنتاج، رفع مستواه وتقليل حوادث الإصابه وكذلك تقلل من نسب الإصابه وكذلك تقلل من نسب تغييب العمال وتمارضهم وتمردهم.

وللاتجاهات أهميه بالغه فى حياه الفرد، فهى تساعده على التكيف مع الحياه الواقعيه، كما تساعده على التكيف الاجتماعى، وذلك عن طريق قبول الفرد للاتجاهات التى تعتنقها الجماعه فيشاركهم فيها ومن يشعر بالتجانس معهم)(١).

أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه

اختلف علماء النفس حول تعريف مصطلح الاتجاه تعريفاً جامعاً مانعاً وذلك (أن مفهوم الاتجاه من أكثر المفاهيم المستخدمه فى العلوم الإنسانيه والاجتماعيه غموضاً، ولقد تعددت التعريفات والاستخدامات فى ميادين شتى حتى أنه لا يوجد اتفاق عام على تعريف الاتجاه)(٢).

إلّا أن الذى يهون الأمر بنسبه ما هو أن المشتغلين بالعلوم النفسيه قد توصلوا إلى شبه اتفاق حول تعريف هذا المصطلح، وهو:

(أن الاتجاه هو ميل مؤيد أو مناهض إزاء موضوع من الموضوعات المعينه كالأشخاص والفئات الاجتماعيه والأشياء الماديه)(٣).

١- علم النفس الاجتماعى والحياه المعاصره، للدكتور أحمد محمد مبارك الكندرى: ص٢٨٩ ٢٩٠.
٢- المدخل إلى علم النفس الاجتماعى لعكاشه: ص١١٩.
٣- المصدر السابق.

ولعل الرجوع إلى بعض التعريفات حول هذا المصطلح يعطى صوره حول حقيقه مفهومه وهى كالآتى:

١ يعرف ثرستون (Thurstone) الاتجاه بأنه درجه الشعور الايجابى أو السلبى المرتبط ببعض الموضوعات السيكولوجيه:

ويقصد ثرستون بالموضوعات السيكولوجيه أى رمز أو نداء أو قضيه أو شخص أو مؤسسه، أو مثال، أو فكره، وغير ذلك مما يختلف حوله الناس، فالاتجاه لا يكون إزاء الحقائق الثابته المقرره، وإنما هو دائما تجاه الموضوعات التى يمكن أن تكون موضوعات جدليه.

٢ أما نيوكوحب فيؤكد عنصر الدافع فى مفهوم الاتجاه، ويرى أن الاتجاه حاله من الاستعداد تثير الدافع، ومن ثم فإن اتجاه الفرد نحو شيء ما يصبح عباره عن استعداد للعمل والادراك والتفكير والشعور أى الاستعداد للاستجابه أياً كان نوعها، ولكن الاتجاه ليس هو السلوك ذاته أو الاستجابه ذاتها ولكنه الدافع الذى يكمن وراء السلوك.

ويعرفه بوجاردس (E.S.Bogardus) بأنه الميل الذى ينحو بالسلوك قريباً من بعض عوامل البيئه أو بعيداً عنها، ويضفى عليها معايير موجبه أو سالبه تبعاً لانجذابه إليها أو نفوره منها، فهو بذلك يؤكد البيئه الخارجيه.

ويعرفه توماس (W.I.Thomas) وزنانكى (Znanieki) بأنه الموقف النفسى للفرد حيال إحدى القيم والمعايير، فموقف المواطن الصالح من السرقه فى

مجتمع يعاقب السارق ويدعو إلى الأمانه، اتجاه نفسى تحدده المعايير الاجتماعيه القائمه.

ويشير باكمان (Backman) إلى أن الاتجاه يتضمن تنظيمات محدده فى الفرد تشمل مشاعره وأفكاره ونزعاته التى تجعله يتصرف تجاه بعض مظاهر بيئته.

ويعرف جيلفورد (Guilford) الاتجاه بأنه: استعداد خاص يكثر شيوعه فى الأفراد، وهو مكتسب بدرجات متفاوته ويدفعهم إلى الاستجابه لأشياء ومواقف معينه بطرق مختلفه يمكن أن يقال عنها أنها فى صالحها أو ضدها.

ويعرف روكيش (Rokeach) الاتجاه النفسى بأنه تنظيم مكتسب له صفه الاستمرار النسبى للمعتقدات التى يعتقدها الفرد نحو موضوع أو موقف، ويهيئه للاستجابه باستجابه لها الأفضليه عنده.

ويعرف محمود السيد أبو النيل الاتجاه بأنه: استعداد نفسى تظهر محصلته فى وجهه نظر الشخص حول موضوع من الموضوعات سواء كان اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً، أو حول قيمه من القيم كالقيمه الدينيه أو الجماليه أو النظريه أو الاجتماعيه، أو حول جماعه من الجماعات كجماعه النادى أو المدرسه أو المصنع، ويعبر عن هذا الاتجاه تعبيراً لفظياً بالموافقه عليه أو عدم الموافقه أو المحايده، ويمكن قياس الاتجاه بإعطاء درجه للموافقه والمعارضه والمحايده.

ويعرف أحمد زكى صالح سنه ١٩٨١م، الاتجاه بأنه استجابه عامه عند

الفرد إزاء موضوع نفسى معين، حيث الاتجاه يتضمن حاله تأهب واستعداد لدى صاحبه تجعله يستجيب بطريقه معينه سريعه دون تفكير أو تردد إزاء موضوع معين.

ويعرف ماهر عمر سنه ١٩٨٨م الاتجاه النفسى بأنه استجابه عامه، عقليه ونفسيه، عند الفرد نحو مثيرات محدده مرتبطه بموضوع معين فى البيئه التى يعيش فيها، تنظيمها وتوجهها خبراته السابقه، بما يكفل تقويمها وتعميمها على سلوكياته الكليه فى المواقف والظروف المتشابهه المرتبطه بموضوع الاتجاه، مما يجعله يتصل بأنه اتجاه إيجابى أو اتجاه سلبى.

أما البورت (Allport) فيعرف الاتجاه بأنه إحدى حالات التهيؤ والتأهب العقلى العصبى التى تنظمها الخبره، وما يكاد يثبت الاتجاه حتى يمضى مؤثرا وموجهاً لاستجابات الفرد للأشياء والمواقف المختلفه، فهو إذن ديناميكى عام.

والتأهب قد يكون موقوتاً لأجل قريب، أو ممتداً لأمد بعيد، فأما القريب العابر فينبغ من تفاعل الفرد مع موقفه المحيط به فى لحظته الراهنه، فالجائع يقبل على الخبز، ثم يدفع ما بقى منه بعيداً عنه عندما يشبع وبذلك ينتهى تأهبه عند إشباع رغبته.

وأما التأهب الطويل الأمد، فهو أكثر ثباتاً واستقراراً، فالشخص الذى يحب لوناً خاصاً من ألوان الطعام لا يرى غضاضه فى التحدث عنه بعد أن يشبع نهمه منه، واتجاه الفرد نحو صديق عزيز لديه لا ـ يتغير أو يتأثر كثيراً بالمضايقات الوقتيه العابره، والنباتيون يعزفون عن أكل اللحم فيسفرون

بذلک عن اتجاه ما، والمسلم یمتنع عن أکل لحم الخنزیر خضوعاً لاتجاه تفرضه علیه المعاییر والمحرمات الدینیه.

فالاتجاه بهذا المعنی تأهب مستقر، یمتد به ثباته لأمد طویل، إذن فلیس کل تأهب اتجاهاً، ولکن کل اتجاه ینطوی علی تأهب.

وبقاء الاتجاه واستقراره فی حیاه الفرد، لا یتعارض منطقیاً واستحالته وتطوره، ذلک بأن الاتجاه یتکون نتیجه لتأثر الفرد بمثیرات مختلفه تنبعث من اتصاله بالبیئه المادیه والاجتماعیه، ومعاییر الثقافه، وهکذا یتغیر الاتجاه تبعاً لتغیر صلته الدینامیکیه بتلک الأشیاء)(۱).

وبناءً علی هذه التعریفات للاتجاه وظهور مفهومه نخلص إلی حقیقه وهی:

إن خطاب العقیله زینب علیها السلام قد تمکن ومن خلال تلک الأدوات التی اشتمل علیها هذا الخطاب من تغییر البنیه الفکریه وإصلاحها وتغییر اتجاهها من المیل والمآزره لبنی أمیه ومشروع السقیفه إلی الإدراک بأن الإسلام الحقیقی محصور فی الثقلین کتاب الله وعتره رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؛ ومن ثم فإنهم قد خدعوا وغرر بهم وأضاعوا دینهم ودنیاهم وآخرتهم حینما قدموا علی هذه الجریمه والمصیبه مما عظّم لدیهم الشعور بالبغض لآل بنی أمیه ومن جاء بهم إلی کرسی الخلافه والإماره، مما دفعهم إلی السیر باتجاهین:

۱- علم النفس الاجتماعی للکندری: ص۲۹۳ ۲۹۶.

۱ الانتقام ممن غرر بهم وساقهم إلى هذه التهلكه والخساره العظیمه.

۲ إظهار کل ما من شأنه أن یحقق لهم التوبه وإحراز رضا العتره النبویه فبرضاهم رضا الله تعالى.

ومن ثم یتحقق لدى العقیله زینب علیها السلام ومن قبلها سید الشهداء علیه السلام فی مشروعه الإصلاحی لأمه جده المصطفى صلى الله علیه وآله وسلم ما أرادا، ومما یدل على تحقیق هذه النتیجه هو مجموعه من الحوادث التی بدأت ککره الثلج تتجه نحو الإصلاح والانقلاب على الظلم وأشیاعه؛ ولأن الفساد کان کبیراً، ولأن الخراب کان عظیماً، فقد احتاجت النتائج فی ظهورها وقتاً لیس بالقصیر مما أوهم البعض بأن خطاب العقیله، وخروج سید الشهداء علیهما السلام وتضحیته العظیمه بما شهدته کربلاء فلا حاجه إلى التدلیل لم یکونا قد حققا أهدافها وهذا یکشف عن الجهل أو التضلیل والتدلیس للحقائق أو المکابره وکل ذلک لا یغیر من الواقع شیئاً.

فالیوم أتباع آل محمد صلى الله علیه وآله وسلم وأشیاعهم ملأوا الأرض فضلاً عن تأثر الفکر الإنسانی عموماً بهذه القضیه وانجذابهم إلى أهدافها وتعاطفهم مع تضحیاتها مما جعلها مدرسه ینهل منها أهل الفکر والعلم وعشاق الحریه والکرامه والعزه.

ولعل الرجوع إلى خطاب العقیله زینب علیها السلام وما تبعه من ظهور (الاستجابه المسیطره) لدى الناس وتغیر اتجاههم نحو العتره لغیر ما نستدل به على ثبوت هذه الحقیقه، وهو ما سنعرض له فی (ثانیاً).

ثانیاً: شواهد ظهور الاستجابه المسیطره وتغییر الاتجاه فی المجتمع الکوفی بعد خطاب العقیله زینب علیها السلام

الشاهد الأول: التغییر العام فی سلوک أهل الکوفه

إن أول الشواهد ظهوراً فی تحقیق الاستجابه المسیطره فی المجتمع الکوفی بعد خطاب العقیله زینب علیها السلام یکمن فی التغییر العام فی سلوک أهل الکوفه لاسیما أولئک الذین تجمعوا للاستماع إلی خطابها، أما من حقت علیه کلمه العذاب فلا تنفعه المواعظ ولا الإنذار ولذلک تفید الروایه التاریخیه بأن أهل الکوفه أصبحوا بعد سماعهم لخطاب العقیله بکیفیه تکشف عن العوده إلی الذات والبحث عن السبل التی تمکنهم من تصحیح المسیر والاتجاه، وفی ذلک یقول الراوی لخطبه العقیله زینب علیها السلام والشاهد علی حال أهل الکوفه بعد سماعهم لخطبتها علیها السلام:

(فرأیت الناس حیاری قد ردوا أیدیهم فی أفواههم، فالتفت إلی شیخ فی جانبی یبکی وقد اخضلت لحیته بالبکاء، ویده مرفوعه إلی السماء، وهو یقول:

صدقت بأبی وأمی، کهولهم خیر الکهول، ونساؤهم خیر نساء، وشبابهم خیر شباب، ونسلهم نسل کریم، وفضلهم فضل عظیم، ثم أنشد:

کهولکم خیر الکهول ونسلکم

إذا عد نسل لا یبور ولا یخزی(۱)

وهذا هو الشاهد التاریخی الأول.

۱- بلاغات النساء لابن طیفور: ص۲۴؛ الأمالی للمفید: ص۳۲۴؛ الأمالی للطوسی: ص۹۳؛ الاحتجاج للطبرسی: ج۲، ص۳۱؛ التذکره الحمدونیه لابن حمدون: ج۶، ص۲۶۶؛ تاریخ الکوفه للسید البراقی: ص۲۹۵؛ البحار: ج۴۵، ص۱۶۴.

الشاهد الثانی: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام

قولهم للإمام زين العابدين عليه السلام: نحن سلم لمن سالمک وحرب لمن حاربک.

ما رواه الطبری (المتوفی سنه ۵۴۸ه) وابن نما الحلی (المتوفی سنه ۶۴۵ه) وغيرهما:

أن الإمام زين العابدين عليه السلام حينما كلم الناس بعد العقيله عليها السلام فكان مما قال:

«بأيه عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول لكم: قتلتم عترتی، وانتهكتم حرمتی فلستم من أمتی».

يقول الراوی: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً، هلكتم وما تعلمون)(۱).

ثم قال عليه السلام:

«رحم الله امرأ قبل نصيحتی، وحفظ وصيتی فی الله، وفی رسوله وأهل بيته، فإن لنا فی رسول الله أسوه حسنه».

فقالوا بأجمعهم: نحن يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنّا

۱- الاحتجاج للطبرسی: ج۲، ص۳۲؛ مثير الأحزان لابن نما الحلی: ص۶۹؛ بحار الأنوار: ج۴۵، ۱۱۳.

حرب لحربک وسلم لسلمک، نبرأ ممن ظلمک وظلمنا)(۱).

الشاهد الثالث: حسبک یا ابنه الطاهرین

ومن الشواهد أیضاً علی تغییر الاتجاه نحو العتره النبویه علیهم السـلام قول أهل الکوفه لفاطمه بنت الحسین علیهما السلام بعد أن خطبت فیهم، یقول الراوی:

(فارتفعت الأصوات بالبکاء والنحیب، وقالوا: حسبک یا ابنه الطاهرین فقد حرقت قلوبنا، وأضرمت أجوافنا، فسکتت)(۲).

الشاهد الرابع: تفجر شراره الانتفاضه علی والی الکوفه بلسان عبد الله بن عفیف الأزدی

إن أول ظهور عملی بإصـلاح البنیه الفکریه بفعل الخطاب الدینی للعقیله زینب علیها السـلام فی الکوفه وتغییر الاتجاه نحو العتره النبویه ونصـرهم وإعلاـن الحرب علی عـدوهم ومواجهه الحاکم الجائر الظالم مما أعطی صوره عن السـلوک الأنموذج لانطلاق الإصلاح وتغیر الاتجاه، هو انتفاضه عبد الله ابن عفیف الأزدی فی مجلس ابن زیاد والی الکوفه.

وفی مجریاتها روی کلٌّ من ابن حبیب البغدادی (المتوفی سنه ۲۴۵)

۱- الاحتجاج للطبرسی: ج۲، ص۳۲؛ مثیر الأحزان لابن نما الحلی: ص۷۰؛ البحار: ج۴۵، ص۱۱۳؛ العوالم للبحرانی: ص۳۸۲.

۲- الاحتجاج للطبرسی: ج۲، ص۲۹؛ مثیر الأحزان: ص۶۸؛ البحار: ج۴۵، ص۱۱۲؛ العوالم للبحرانی: ص۳۸۰.

والبلاذری (المتوفی سنه ۲۷۹ه) والطبری (المتوفی سنه ۳۱۰ه) وغیرهم، عن حمید بن مسلم، أنه قال:

(لما دخل عبید الله بن زیاد القصر ودخل الناس نودی الصلاه جامعه فاجتمع الناس فی المسجد الأعظم فصعد المنبر ابن زیاد، فقال:

الحمد لله الذی أظهر الحق وأهله، ونصر أمیر (المؤمنین) یزید بن معاویه وحزبه، وقتل الکذاب ابن الکذاب الحسین بن علی وشیعته؛ فلم یفرغ ابن زیاد من مقالته حتی وثب إلیه عبد الله بن عفیف الأزدی ثم الغامدی، فقال له:

یا ابن مرجانه إن الکذاب ابن الکذاب أنت وأبوک والذی ولاّک وأبوه، یا ابن مرجانه أتقتلون أبناء النبیین وتتکلمون بکلام الصدیقین.

فقال ابن زیاد: علیّ به، فوثبت علیه الجلاوزه، فأخذوه، فنادی بشعار الأزد: یا مبرور وصاحر الکوفه یومئذ من الأزد سبعمائه مقاتل، فوثبت إلیه فتیه من الأزد فانتزعوه فأتوا به أهله.

فقال ابن زیاد للاشراف: أما رأیتم ما صنع هؤلاء؟ قالوا: بلی؛ قال: فسیروا أنتم یا أهل الیمن حتی تأتونی بصاحبکم، وأشار علیه عمرو بن الحجاج بأن یجلس کل من کان فی المسجد من الأزد؛ وحبسوا وفیهم عبد الرحمان بن مخنف وغیره، فأقتتلت الأزد وأهل الیمن قتالاً شدیداً، واستبطأ ابن زیاد أهل الیمن، فقال لرسول بعثه إلیهم:

أنظر ما بینهم؟

فأتـاهم فرأى أشـد قتـال، فقـالوا: قـل للأـمير: إنـک لم تبعثنا إلى نبط الجزيره ولا إلى جرامقه الموصل، إنما بعثتنا إلى الأزد، إلى أسود الأجم ليسوا ببيضه تحسى ولا حرمله توطأ.

فقتل من الأزد عبيد الله بن حوزه الدالبى ومحمد بن حبيب البكرى، وکثرت القتلى بينهم وقويت أهل اليمانيه على الأزد، وصاروا إلى خص فى ظهر دار ابن عفيف فکسـروه واقتحموا عليه داره فناولته ابنته سـيفه فجعل يذب به نفسه، وشدوا عليه من کل جانب حتى أخذوه فانطلقوا به إلى ابن زياد، وهو يقول:

أقسم لو يفسـح لى عن بصـرى.... شق عليکم موردى ومصـدرى؛ ثم أمر به ابن زياد بعد أن دار کلام بينهما فى عثمان بن عفان، ثم أمر به فصلب فى السبخه(۱).

الشاهد الخامس: قائد جيش الکوفه يظهر ندمه وخسرانه فى طاعته لابن زياد

من الشواهـد الـداله على آثـار الخطـاب الـدينى للعقيله زينب فى تغيير البنيه الفکريه والاتجاهات النفسـيه نحو الأقمار بالحق وإن إتباع بنى أميه ورموزها هو الباطل والخسران الکبير ما نطق به عمر بن سعد معترفاً ومقراً ومعترفاً بدور

۱- أنساب الأشراف للبلاذرى: ج۳، ص۲۱۰؛ المحبر لمحمد بن حبيب البغدادى: ص۴۸۰؛ تاريخ الطبرى: ج۴، ص۳۵۱؛ الکامل فى التاريخ لابن الأثير: ج۴، ص۸۳؛ المقتل لابن مخنف: ص۲۰۷؛ الإرشاد للمفيد: ج۲، ص۱۱۷.

وآثار الخطاب الـدينى للعقيله زينب عليها السـلام بعد أن رأى حال الناس فى الكوفه عند دخول السـبايا واسـتماعهم إلى خطاب العقيله زينب ولذا: لم يجد غير الإفصاح عن هذا الندم والإقرار بالهزيمه وأن النصـر الحقيقى للحسـين بن على بن أبى طالب عليه السلام ونهجه ودعوته الإصلاحيه فى الأمه؛ ولذلك: جعل يقول:

(ما رجع أحد إلى أهله بشر مما رجعت به! أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابه الشريفه)(۱).

وعليه:

فإن هـذه الشواهـد لتدل على اجتماع المكونات الأساسيه للاتجاه النفسى نحو العتره النبويه ومن ثم نجاح المشـروع الإصـلاحى الذى خرج به الإمام الحسين عليه السلام وأكملته العقيله زينب عليها السلام، وهو ما سنتناوله فى ثالثا.

ثالثا: اجتماع المكونات الأساسيه للاتجاه النفسى نحو العتره بفعل الخطاب الدينى للعقيله زينب عليها السلام

اشاره

ذهب علمـاء النفس الاجتماعى إلى أن مكونات الاتجاه هى ثلاثه مكونات، وإن هـذه المكونات اجتمعت فى مجتمع الكوفه بعد استماعهم لخطاب العقيله، وهذه المكونات كالآتى:

۱- أنساب الأشـراف للبلاذرى: ج۱۰، ص۱۹۰؛ سـير أعلام النبلاء للذهبى: ج۳، ص۳۰۳؛ ترجمه الإمام الحسـين عليه السلام من طبقات ابن سعد: ص۸۱.

المكون الأول: المكون المعرفی

لا شک أن المفردات التی اشـتمل علیها خطاب العقیله زینب علیها السـلام وما تحقق لدیها من أرضـیه فی مأساه عاشوراء لکفیله بتحقیق الجانب المعرفی بالقضیه التی بعث بها سید الرسل صلی الله علیه وآله وسلم ممثله بعترته علیهم السلام.

ولذلک إن الجانب المعرفی (یتمثل فی العملیات العقلیه التی ترتبط بمعتقدات الفرد نحو الأشـیاء، فاتجاه الفرد نحو الإسـلام مثلا یبعث عن معتقدات معینه)(۱).

وهـذه المعتقـدات المعینـه فی الإسـلام الأـموی احتـاج إلی هـذا الخروج مـن سـید الشـهداء من المـدینه ومکه إلی العراق لیظهر المعتقدات الصحیحه فی التوحید والنبوه والإمامه علی أرض کربلاء.

وذلک أن المکونات المعرفیه یمکن تقسیمها إلی:

أ: المدرکات والمفاهیم، أی ما یدرکه الفرد حسیاً ومعنویاً.

ب: المعتقدات، وهی مجموعه المفاهیم المتبلوره الثابته فی المحتوی النفسی والعقلی للفرد.

ج: التوقعات: وهی ما یمکن أن یتنبأ به الفرد بالنسبه للآخرین أو یتوقع حدوثهُ.

۱- علم النفس الاجتماعی للکندری: ص۲۹۷.

ولا ريب أن تلك المكونات قد أحاطت بها العقيله زينب عليها السلام ومن ثم عملت على تحريكها فى نفوس وعقول أهل الكوفه، ومن ثم حققت المكون الأول للاتجاه النفسى من خلال خطابها لأهل الكوفه.

المكون الثانى: المكون الوجدانى الانفعالى

إن من البداهه بمكان أن تتفرد مأساه كربلاء على تاريخ الأمم السابقه واللاحقه من حيث غزاره العاطفه والوجدان، ومن ثم فإن المكون الثانى للاتجاه النفسى يكون هو الأبرز فى تغيير الاتجاه نحو العتره النبويه عليهم السلام.

يقول الكندرى فى تعريف هذا الجانب: (يتمثل فى النواحى العاطفيه والانفعاليه المرتبطه بالأشياء والأشخاص والأحداث المختلفه، ولقد أكدت معظم البحوث والدراسات التى أجريت حول المكونات العاطفيه والانفعاليه للاتجاه النفسى أنها تحدد عمق وشده وكميه الانفعال الذى يصاحب سلوك الفرد نحو موضوع أو شخص أو شىء معين، ويتضح ذلك من غضب أو سرور الفرد عند مناقشته موضوع الاتجاه مع الآخرين)(۱).

ويقول محمود فتحى عكاشه فى بيان اهتمام المكون الانفعالى:

(بالنسبه للمكون الانفعالى يهتم بالجانب العاطفى لهذه الاعتقادات، كما يمثل مقدار الشعور الإيجابى أو السلبى للفرد نحو موضوع الاتجاه، فقد يختلف شخصان فى الخصائص التى يعزوها كل منهما لموضوع الاتجاه، ولكن يمكن أن

۱- علم النفس الاجتماعى للكندرى: ص۲۹۸.

يكون متماثلاً فی درجه الشعور الإيجابی أو السلبی اللذين يظهرانه أنه نحوه)(۱).

ومن ثم فإن المسلمين اليوم قد يختلفان فی المكون المعرفی فی الاتجاه النفسی فيما يمثله الإمام الحسين بن علی بن أبی طالب عليهم السلام من عقيده من حيث أنه إمام معصوم مفترض الطاعه أم أنه ابن النبی صلی الله عليه وآله وسلم ومن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ومن ثم لا- يتفقان فی المكون المعرفی إلا- أنهما يكونان متماثلين فی درجه الشعور الإيجابی اللذين يظهرانه نحو ما جری علی ريحانه رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وعياله فی كربلاء وأنهما يبديان الاهتمام بالجانب العاطفی نحو هذه الشخصيه ومن ثم يكون الإمام الحسين عليه السلام قد حقق نسبه كبيره من تغيير الاتجاه النفسی نحو القرآن والعتره ومن ثم تكون إمكانيه تحقق المكون المعرفی سهله.

المكون الثالث: المكون النزعی السلوكی

وهذا المكون هو نتيجه لما سبق من المكونات ومكمل لهما وذلك أنه يكون (نتيجه للمكونين السابقين ويشير إلی نيه الفرد ليسلك بطريق معين أو إلی سلوكه الفعلی فيما يتعلق بموضوع الاتجاه.

ومن المتوقع أن تری فی الواقع علاقه قويه بين المكونات الثلاثه طالما أن الطريقه التی يتصور بها الفرد الموضوع ينبغی أن تؤثر فی قوه شعوره نحو الموضوع، والتی بدورها ينبغی أن تؤثر فی سلوكه الظاهر)(۲).

۱- المدخل إلی علم النفس الاجتماعی لعكاشه: ص۱۲۴.

۲- المدخل إلی علم النفس الاجتماعی لعكاشه: ص۱۲۴.

ولا يخفى على المتتبع للتاريخ الإسلامى فضلاً عما ذكرناه من شواهد أنه يجد خير دليل على قدره العقيله زينب عليها السلام ومن خلال خطابها الدينى فى تغيير الاتجاه النفسى للمسلم فى المجتمع الكوفى أو غيره من المجتمعات حينما يستحضر القارئ أو الباحث جميع مجريات قضيه عاشوراء.

وإن شعار الإصلاح الذى خرج من أجله أخوها ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذى أخرجها من أجله لتكمل مسيرته صلوات الله عليهما قد نجح نجاحاً منقطع النظير فى جميع الحركات الإصلاحيه التى ظهرت على الأرض سواء ما كانت بيد الأنبياء عليهم السلام أو ما خرج به كثير من المفكرين والمصلحين فى شرق الأرض وغربها.

والسبب فى تحقق هذا النجاح هو اكتمال هذه المكونات الثلاثه بدرجه تامه، أى: (المكون المعرفى، والمكون الانفعالى، والمكون النزعى السلوكى) فى حين تفاوتت الحركات الإصلاحيه سواء ما كان منها مرتبطاً بالسماء أو بالأرض بتحقق هذه المكونات بنسبه مختلفه وقد لا تجد هذه الحركات سوى مكون واحد ومن ثم لا يكتب لها الدوام والاستمراريه، ولا تجد هناك سلوكاً ظاهراً يدل على تغيير الاتجاه النفسى نحو هذه الحركه الإصلاحيه.

فى حين أننا نجد: أن الظواهر السلوكيه لدى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام فى كاشفيتها عن الاتجاه النفسى نحو العتره النبويه ومن خلال الشعائر الحسينيه وغيرها لخير دليل على نجاح خطاب العقيله زينب فى إصلاح البنيه الفكريه فى المجتمع المسلم وأنها جاءت بحقيقه التجديد فى الخطاب الدينى.

فمن التمسک بمشروع السقیفه والتنصر لبنی أمیه إلی التمسک بالثقلین حیث أمر بهما جدها المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم قائلًا:

«إنی تارک فیکم ما إن تمسکتم بهما لن تضلوا من بعدی، کتاب الله وعترتی أهل بیتی».

والتضحیه من أجلهما بالمال والولد والأنفس، فأی عقیده أرسخ من هذه العقیده.

فسلام الله وصلاته علی عقیله الطالبیین وزینه أبیها علی أمیر المؤمنین، زینب الکبری شبیهه جدتها خدیجه، ومثال أمها فاطمه صلوات الله علیهم أجمعین.

وسلام علی العقیله زینب یوم ولدت، ویوم استشهدت، ویوم تبعث حیهً.

تم بحمد الله وسابق لطفه وعنایته فی یوم السبت الموافق الرابع من شهر صفر الخیر لسنه ۱۴۳۵ه، المصادف ۷/۱۲/۲۰۱۳م، فی أروقه مکتبه العتبه الحسینیه المقدسه.

{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّکَ أَنْتَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ}(۱). {وَمَا تَوْفِیقِی إِلاّ بِاللَّهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَإِلَیْهِ أُنِیبُ}(۲). {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِینَ}(۳).

نبیل بن السید قدوری بن السید حسن

ابن السید علوان بن السید جاسم الحسنی الکربلائی

۱- سوره البقره، الآیه: ۱۲۷.

۲- سوره هود، الآیه: ۸۸.

۳- سوره الصافات، الآیه: ۱۸۲.

المصادر

۱. أحاديث عائشه / تأليف: السيد مرتضى العسكرى / نشر: التوحيد للنشر لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۴م / الطبعه الخامسه / طبع: مطبعه صدر / قم المقدسه إيران.

۲. الاحتجاج / تأليف: الشيخ أبو منصور أحمد بن على الطبرسى (ت ۵۴۸ه) / تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادرى / نشر وطبع: دار الأسوه للطباعه والنشر لسنه ۱۴۲۵ه، ۲۰۰۴م / الطبعه السادسه / قم المقدسه إيران.

۳. الإرشاد فى معرفه حجج الله على العباد / الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ۴۱۳ه) / تحقيق: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / نشر وطبع: دار المفيد للطباعه والنشر والتوزيع لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الثانيه / بيروت لبنان.

۴. أساس البلاغه / تأليف: الزمخشرى (ت ۵۳۸ه) / نشر وطبع: دار ومطابع الشعب لسنه ۱۹۶۰م / القاهره مصر.

۵. الاستذكار / تأليف: ابن عبد البر (ت ۴۶۳ه) / تحقيق: سالم محمد عطا، محمد على معوض / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۲۰ه، ۲۰۰۰م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۶. أسـد الغابه فی معرفه الصـحابه / تألیف: عز الـدین ابن الأثیر ابی الحسن علی ابن محمد الجزری (ت ۶۳۰) / تحقیق: مجموعه من المحققین / الطبعه الثانیه / نشر: دار الکتب العلمیه / سنه الطبع: ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۳م / بیروت لبنان.

۷. الإصـابه فی تمییز الصـحابه / تـألیف: الحافظ أحمـد بن علی بن حجر العسـقلانی (ت ۸۵۲ه) / دراسه وتحقیق وتعلیق: الشـیخ عادل أحمـد عبـد الموجود، الشـیخ علی محمـد معوض / نشـر وطبع: دار الکتب العلمیه لسـنه ۱۴۱۵ه، ۱۹۹۴م / الطبعه الأـولی / بیروت لبنان.

۸. الإصابه فی تمییز الصحابه / تألیف: الحافظ أحمد بن علی بن حجر العسقلانی (ت ۸۵۲ه) / نشر وطبع: دار السعاده.

۹. أصول السرخسـی / تألیف: السرخسـی (ت ۴۸۳ه) / تحقیـق: أبو الوفـا الأفغـانی / نشـر وطبع: دار الکتب العلمیه لسـنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۰. أصول الکـافی / تالیف: الشـیخ محمـد بن یعقوب الکلینی (ت ۳۲۹ه) / نشـر وطبع: دار الأسوه للطباعه والنشـر لسنه ۱۴۲۵ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الخامسه / قم المقدسه إیران.

۱۱. الأمالی / تألیف: الشـیخ أبو جعفر بن محمد بن الحسن الطوسـی (ت ۴۶۰ه) / تحقیق: قسم الدراسات الإسـلامیه / نشر وطبع: مرکز الطباعه والنشر فی مؤسسه البعثه لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الأولی / قم المقدسه إیران.

۱۲. الأمالی / تألیف: الشـیخ أبو جعفر محمد بن علی الصدوق (ت ۳۸۱ه) / تحقیق: قسم الدراسات الإسـلامیه / نشر وطبع: مرکز الطباعه والنشر فی مؤسسه البعثه لسنه ۱۴۱۷ه، ۱۹۹۶م / الطبعه الأولی / قم المقدسه إیران.

۱۳. الأمالی / تألیف: الشیخ المفید أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان (ت ۴۱۳ه) / تحقیق: حسین الأستاد ولی، علی أکبر الغفاری / نشر وطبع: دار المفید للطباعه والنشر والتوزیع لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۱۴. أنساب الأشراف / تألیف: أحمد بن یحیی بن جابر بن داود البَلَاذُری (ت ۲۷۹ه) / تحقیق: محمود الفردوس العظم / نشر وطبع: دار الیقظه العربیه لسنه ۱۹۹۷م / الطبعه الأولی / دمشق سوریا.

۱۵. باب فاطمه علیها السلام بین سلطه الشریعه وشریعه السلطه / تألیف: السید نبیل الحسنی / دراسه وتحقیق: المؤلف / نشر: قسم الشؤون الفکریه فی العتبه الحسینیه المقدسه، کربلاء لسنه ۱۴۳۵ه، ۲۰۱۳م / طبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۶. بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمه الأطهار / تألیف: العلامه الشیخ محمد باقر المجلسی (ت ۱۱۱۱ه) / نشر وطبع: مؤسسه الوفاء لسنه ۱۴۰۳ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الثانیه المصححه / بیروت لبنان.

۱۷. البحر الرائق / تألیف: ابن نجیم المصری (ت ۹۷۰ه) / ضبط وتخریج الآیات والأحادیث: الشیخ زکریا عمیرات / نشر منشورات محمد علی بیضون لسنه ۱۴۱۸ه، ۱۹۹۷م / طبع: دار الکتب العلمیه / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۸. بغیه الطلب فی تاریخ حلب / تألیف: کمال الدین ابن العدیم عمر بن أحمد بن أبی جراده (ت ۶۶۰ه) / تحقیق: سهیل زکار / نشر وطبع: دار الفکر للطباعه والنشر والتوزیع / بیروت لبنان.

۱۹. بلاغات النساء / تألیف: أبو الفضل أحمد بن أبی طاهر طیفور (ت ۲۸۰ه) /

تحقيق: بركات يوسف هبود / نشر وطبع: المكتبه العصريه لسنه ۱۴۲۶ه / الطبعه الأولى / صيدا.

۲۰. البلدان / تأليف: أحمد بن محمد الهمذانى (ابن الفقيه الهمذانى) (ت ۳۴۰ه) / تحقيق: يوسف الهادى / نشر وطبع: عالم الكتب للطباعه والنشر والتوزيع لسنه ۱۴۱۶ه، ۱۹۹۶م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۲۱. البيان والتبيين / تأليف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ۲۵۵ه) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: دار الجيل / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۲۲. تاريخ الطبرى / تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ۳۱۰ه) / تحقيق وتصحيح وضبط: نخبه من العلماء الأجلاء / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمى للمطبوعات لسنه ۱۴۰۳ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الرابعه / بيروت لبنان.

۲۳. التاريخ الكبير / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيره بن البخارى (ت ۲۵۶ه) / نشر وطبع: المكتبه الإسلاميه / ديار بكر تركيا.

۲۴. تاريخ الكوفه / تأليف: السيد البراقى (ت ۱۳۳۲ه) / تحقيق: ماجد أحمد العطيه / استدراكات: السيد محمد صادق آل بحر العلوم المتوفى ۱۳۹۹ه / نشر وطبع: إنتشارات المكتبه الحيدريه لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولى / النجف الأشرف العراق.

۲۵. تاريخ مدينه دمشق / تأليف: أبو القاسم على بن الحسن بن هبه الله المعروف بابن عساكر (ت ۵۷۱ه) / تحقيق: على شيرى / نشر: دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع / سنه الطبع: ۱۴۱۵ه / بيروت.

۲۶. التبيان فى تفسير القرآن / تأليف: الشيخ أبو جعفر الطوسى (ت ۴۶۰ه) /

تحقیق وتدقیق وتعلیق: علی شیری / نشر وطبع: دار إحیاء التراث العربی لسنه ۱۴۰۸ه / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۲۷. تحف العقول عن آل الرسول صلی الله علیه وآله وسلم / تألیف: ابن شعبه الحرانی المتوفی فی القرن الرابع / تصحیح وتحقیق: علی أکبر الغفاری / نشر وطبع: مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین لسنه ۱۴۰۴ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الثانیه / قم المقدسه إیران.

۲۸. تحفه الأحوذی بشرح جامع الترمذی / تألیف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحیم المبارکفوری (ت ۱۳۵۳ه) / تحقیق: عصام الصبابطی / نشر وطبع: دار الحدیث لسنه ۱۴۲۲ه، ۲۰۰۱م / الطبعه الأولی / القاهره مصر.

۲۹. التذکره الحمدونیه / تألیف: ابن حمدون (ت ۵۶۲ه) / تحقیق: احسان عبّاس و بکر عبّاس / نشر وطبع: دار صادر للطباعه والنشر لسنه ۱۴۱۶ه، ۱۹۹۶م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۰. تفسیر الثوری / تألیف: سفیان الثوری / (ت ۱۶۱ه) / تحقیق: لجنه من العلماء / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۰۳ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۱. تفسیر السمرقندی / تألیف: أبو اللیث نصر بن محمد بن إبراهیم السمرقندی الحنفی (ت ۳۷۳ه) / تحقیق: د. محمود مطرجی / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۲۷ه، ۲۰۰۷م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۲. تفسیر القرآن / تألیف: عبد الرزاق الصنعانی (ت ۲۱۱ه) / تحقیق: الدکتور مصطفی مسلم محمد / نشر وطبع: مکتبه الرشد للنشر والتوزیع لسنه ۱۴۱۰ه، ۱۹۸۹م / الطبعه الأولی / الریاض المملکه العربیه السعودیه.

۳۳. تفسیر مجمع البیان / تألیف: الشیخ الفضل بن الحسن الطبرسی (ت ۵۴۸ه) / تحقیق وتعلیق: لجنه من العلماء والمحققین والأخصائیین / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات لسنه ۱۴۱۵ه، ۱۹۹۵م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۴. تفسیر مقاتل بن سلیمان / تألیف: الإمام أبی الحسن مقاتل بن سلیمان بن بشیر الازدی بالولاء البلخی (ت ۱۵۰ه) / تحقیق: أحمد فرید / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۵. التمهید / تألیف: أبو عمر یوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمری القرطبی (ت ۴۶۳ه) / تحقیق: مصطفی بن أحمد العلوی، محمد عبد الکبیر البکری / نشر وطبع: وزاره عموم الأوقاف والشؤون الإسلامیه لسنه ۱۳۸۷ه / المغرب.

۳۶. تمهید الأوائل وتلخیص الدلائل / تألیف: أبی بکر محمد بن الطیب الباقلانی (ت ۴۰۳ه) / تحقیق: الشیخ عماد الدین أحمد حیدر / نشر وطبع: مؤسسه الکتب الثقافیه لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الثالثه / بیروت لبنان.

۳۷. تهذیب الکمال / تألیف: أبو الحجاج جمال الدین ابن الزکی أبی محمد القضاعی الکلبی المزی (ت ۷۴۲ه) / تحقیق وضبط وتعلیق: الدکتور بشار عواد معروف / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۲۵ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۳۸. الثقات / تألیف: محمد بن حبان التمیمی البستی (ت ۳۵۴ه) / الطبعه الأولی / نشر وطبع: مؤسسه الکتب الثقافیه لسنه ۱۳۹۳م / حیدر آباد الدکن الهند.

۳۹. جامع البیان عن تأویل آی القرآن (تفسیر الطبری) / تألیف: أبو جعفر محمد

ابن جرير الطبرى (ت ۳۱۰ه) / نشر وطبع: دار ابن حزم دار الإعلام لسنه ۱۴۲۳ه، ۲۰۰۳م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۴۰. جامع الخلاف والوفاق بين الإماميه وبين أئمه الحجاز والعراق / تأليف: على بن محمد القمى المتوفى فى القرن السابع / تحقيق: الشيخ حسين الحسينى البيرجندى / نشر: إنتشارات زمينه سازان ظهور إمام عصر (عج) / طبع: مطبعه باسدار اسلام / الطبعه الأولى / قم المقدسه إيران.

۴۱. جامع بيان العلم وفضله / تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى (ت ۴۶۳ه) / نشر: دار ابن الجوزى لسنه ۱۴۱۴ه، ۱۹۹۴م / الطبعه الأولى / المملكه العربيه السعوديه.

۴۲. الجامع لاحكام القرآن تفسير القرطبى / تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين القرطبى (ت ۶۷۱ه) / تحقيق: احمد عبد العليم البردونى / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربى / بيروت لبنان.

۴۳. جغرافيه المعتقدات والديانات / تأليف: د. محسن عبد الصاحب المظفر / نشر وطبع: دار صفاء لسنه ۱۴۳۱ه / الطبعه الأولى / عمان.

۴۴. جواهر المطالب فى مناقب الإمام على عليه السلام / أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقى الباعونى الشافعى (ت ۸۷۱ه) / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى / نشر وطبع: مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه لسنه ۱۴۱۶ه / الطبعه الأولى / قم المقدسه إيران.

۴۵. الجوهره فى نسب الإمام على عليه السلام وآله / تأليف: محمد بن أبى بكر الأنصارى التلمسانى المعروف بالبرى المتوفى فى القرن السابع / تحقيق:

الدکتور محمد التونجی / نشر: مکتبه النوری بدمشق / طبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات لسنه ۱۴۰۲ه / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۴۶. الخطابه أصولها وتاریخها فی أزهر عصورها عند العرب / تألیف: محمد أبو زهره / نشر وطبع: دار الفکر العربی لسنه ۱۳۵۳ه، ۱۹۳۴م / القاهره مصر.

۴۷. الدرر النجفیه من الملتقطات الیوسفیه / تألیف: المحقق البحرانی (ت ۱۱۸۶ه) / تحقیق: شرکه دار المصطفی صلی الله علیه وآله لإحیاء التراث / نشر وطبع: شرکه دار المصطفی صلی الله علیه وآله لإحیاء التراث لسنه ۱۴۲۳ه، ۲۰۰۲م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۴۸. الزمان والأزل / مقال فی فلسفه الدین / ترجمه: الدکتور زکریا إبراهیم.

۴۹. السقیفه وفدک / تألیف: الجوهری (ت ۳۲۳ه) / تقدیم وجمع وتحقیق: الدکتور الشیخ محمد هادی الأمینی / نشر وطبع: شرکه الکتبی للطباعه والنشر لسنه ۱۴۱۳ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۵۰. سنن أبی داوود / تألیف: ابی داود سلیمان بن الاشعث السجستانی (ت ۲۷۵ه) / تحقیق وتعلیق: سعد محمد اللحام / نشر وطبع: دار الفکر للطباعه والنشر والتوزیع لسنه ۱۴۱۰ه، ۱۹۹۰م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۵۱. سنن الترمذی / تألیف: محمد بن عیسی بن سَوْره بن موسی بن الضحاک، الترمذی، أبو عیسی (ت ۲۷۹ه) / تحقیق وتصحیح: عبد الوهاب عبد اللطیف / نشر وطبع: دار الفکر للطباعه والنشر والتوزیع لسنه ۱۴۰۳ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۵۲. السنن الکبری / تألیف: الحافظ الجلیل أبی بکر أحمد بن الحسین بن علی البیهقی (ت ۴۵۸ه) / تحقیق: محمد عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الکتب

العلميه لسنه ۱۴۲۴ه / الطبعه الثالثه / بيروت لبنان.

۵۳. سؤالات الآجرى لأبى داود / تأليف: سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ۲۷۵ه) / تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوى / نشر: مكتبه دار الاستقامه، السعوديه لسنه ۱۴۱۸ه، ۱۹۹۷م / طبع: مؤسسه الريان للطباعه والنشر والتوزيع / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۵۴. سير أعلام النبلاء / تأليف: شمس الدين الذهبى (ت ۶۳۰ه) / إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط / نشر وطبع: مؤسسه الرساله لسنه ۱۴۱۳ه، ۱۹۹۳م / الطبعه التاسعه / بيروت لبنان.

۵۵. شرح الصدور بتحريم رفع القبور / محمد بن على الشوكانى (ت ۱۲۵۰ه).

۵۶. شرح نهج البلاغه / تأليف: ابن أبى الحديد المعتزلى (ت ۶۵۶ه) / تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم / نشر وطبع: دار إحياء الكتب العربيه لسنه ۱۳۷۸ه، ۱۹۵۹م / الطبعه الأولى / بغداد العراق.

۵۷. الصحاح تاج اللغه وصحاح العربيه / تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (ت ۳۹۳ه) / تحقيق: د. اميل بديع يعقوب / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۲۰ه / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۵۸. صحيح البخارى / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيره بن البخارى (ت ۲۵۶ه) / نشر وطبع: عالم الكتب لسنه ۱۴۰۵ه، ۱۹۸۵م / الطبعه الرابعه / بيروت لبنان.

۵۹. صحيح مسلم / تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيرى النيسابورى (ت ۲۶۱ه) / تحقيق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلى / نشر وطبع: دار إحياء التراث العربى لسنه ۱۴۲۰ه، ۲۰۰۰م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۶۰. الطبقات الکبری / تألیف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منیع الهاشمی، البصری، البغدادی المعروف بابن سعد (ت ۲۳۰ه) / نشر وطبع: دار صادر دار بیروت لسنه ۱۳۷۶ه، ۱۹۵۶م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۶۱. علم النفس الاجتماعی والحیاه المعاصره / تألیف: الدکتور أحمد محمد مبارک الکندری / نشر وطبع: مکتبه الفلاح لسنه ۱۴۳۲ه، ۲۰۱۲م / الطبعه الأولی / الکویت.

۶۲. علم خصائص الشعوب علم الأقوام / تألیف: د. علی عبد الله الجباوی / نشر وطبع: دار التکوین لسنه ۱۴۲۸ه، ۲۰۰۸م / الطبعه الأولی / دمشق سوریا.

۶۳. عمده القاری فی شرح صحیح البخاری / تألیف: بدر الدین العینی (ت ۸۵۵ه) / تحقیق: محمد أحمد الحلاق / نشر وطبع: دار إحیاء التراث العربی لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۶۴. العوالم، الإمام الحسین علیه السلام / تألیف: الشیخ عبد الله البحرانی (ت ۱۱۳۰ه) / تحقیق: مدرسه الإمام المهدی علیه السلام / إشراف: السید محمد باقر الموحد الأبطحی الإصفهانی / نشر: مدرسه الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف بالحوزه العلمیه لسنه ۱۴۰۷ه، ۱۹۸۷م / طبع: مطبعه أمیر / الطبعه الأولی المحققه / قم المقدسه إیران.

۶۵. عیون الأخبار / تألیف: ابن قتیبه الدینوری (ت ۲۷۶ه) / نشر منشورات محمد علی بیضون لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۳م / طبع دار الکتب العلمیه / الطبعه الثالثه / بیروت لبنان.

۶۶. الفائق فی غریب الحدیث / تألیف: جار الله محمود بن عمر الزمخشری (ت ۵۳۸ه) / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۱۷ه / الطبعه الأولی / بیروت

لبنان.

۶۷. فتـاوی اللجنه الـدائمه للبحـوث العلميه والإفتـاء / تـأليف: أحمـد بن عبـد الرزاق الـدويش / طبع: الريـاض - المملكه العربيه السعوديه

۶۸. فتح الباری فی شـرح صـحيح البخاری / تأليف: الحافظ أحمد بن علی بن حجر أبو الفضل العسـقلانی الشافعی (ت ۸۵۲ه) / نشر وطبع: دار المعرفه للطباعه والنشر / الطبعه الثانيه / بيروت لبنان.

۶۹. الفتنه ووقعه الجمـل / تـأليف: سـيف بن عمر الضـبی الأسـدی (ت ۲۰۰ه) / تحقيـق: أحمـد راتب عرموش / نشـر وطبع: دار النفائس لسنه ۱۳۹۷ه / الطبعه الثانيه / بيروت لبنان.

۷۰. الفتوح / تأليف: أبی محمـد أحمد بن أعثم الكوفی (ت ۳۱۴ه) / تحقيق: علی شـيری / نشر وطبع: دار الأضواء لسنه ۱۴۱۱ه / الطبعه الأولی / بيروت لبنان.

۷۱. فضائل الصـحابه / تأليف: أحمـد بن شـعيب المعروف بالنسائی (ت ۳۰۳ه) / نشـر: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۰۵ه، ۱۹۸۴م / الطبعه الأولی / بيروت لبنان.

۷۲. فيض القـدير شـرح الجامع الصـغير / تأليف: زين الـدين محمـد بن تاج العارفين ابن علی بن زين العابدين الحدادی المناوی (ت ۱۰۳۱ه) / تصحيح: أحمد عبد السلام / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۱۵ه، ۱۹۹۴م / الطبعه الأولی / بيروت لبنان.

۷۳. قرب الاسناد / تأليف: الحميری القمی (ت ۳۰۴ه) / تحقيق: مؤسـسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / نشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنه ۱۴۱۳ه / الطبعه الأولی / قم المقدسه إيران.

۷۴. الكافی فی الفقه / تأليف: أبو الصلاح الحلبی (ت ۴۴۷ه) / تحقيق: رضا أستادی

/ نشر وطبع: مكتبه الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام العامه / إصفهان إيران.

۷۵. الكامل فى التاريخ / تأليف: أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى، عز الدين ابن الأثير (ت ۶۳۰ه) / نشر وطبع: دار صادر للطباعه والنشر لسنه ۱۳۸۶ه، ۱۹۶۶م / بيروت لبنان.

۷۶. كتاب الأم / تأليف: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعى (ت ۲۰۴ه) / نشر وطبع: دار الفكر للطباعه والنشر والتوزيع لسنه ۱۴۰۳ه، ۱۹۸۳م / الطبعه الثانيه / بيروت لبنان.

۷۷. كتاب العين / تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ۱۷۵ه) / تحقيق: د. مهدى المخزومى / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمى لسنه ۱۴۰۸ه، ۱۹۸۷م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۷۸. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشرى (ت ۵۳۸ه) / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۲۷ه، ۲۰۰۶م / الطبعه الرابعه / بيروت لبنان.

۷۹. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / تأليف: أبو القاسم جار الله محمود ابن عمر بن محمد الزمخشرى (ت ۵۳۸ه) / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۲۷ه، ۲۰۰۶م / الطبعه الرابعه / بيروت لبنان.

۸۰. كشف المحجه لثمره المهجه / السيد ابن طاووس (ت ۶۶۴ه) / نشر وطبع المطبعه الحيدريه لسنه ۱۳۷۰ه، ۱۹۵۰م / النجف الأشرف.

۸۱. كمال الدين وتمام نعمه / تأليف: الشيخ أبو جعفر محمد بن على الصدوق (ت ۳۸۱ه) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمى / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمى لسنه

۱۴۲۴ه / الطبعه الثانيه / بيروت لبنان.

۸۲. كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال / تأليف: علاء الدين على بن حسام الدين الهندى الشهير بالمتقى الهندى (ت ۹۷۵ه) / ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حيانى / نشر وطبع: مؤسسه الرساله لسنه ۱۴۰۹ه، ۱۹۸۹م / بيروت لبنان.

۸۳. لسان العرب / تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصارى المصرى (ت ۷۱۱ه) / تحقيق: عامر أحمد حيدر / نشر وطبع: دار الكتب العلميه لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الاولى / بيروت لبنان.

۸۴. اللهوف فى قتلى الطفوف / السيد رضى الدين أبى القاسم بن طاووس (ت ۶۶۴ه) / نشر وطبع: أنوار الهدى لسنه ۱۴۲۳ه / الطبعه الثانيه / قم المقدسه إيران.

۸۵. لواعج الأشجان فى مقتل الحسين عليه السلام / السيد محسن الأمين العاملى (ت ۱۳۷۱ه) / تحقيق: السيد حسن الأمين نشر وطبع: دار الأمير لسنه ۱۴۱۷ه / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۸۶. مبانى تكمله المنهاج / تأليف: السيد الخوئى (ت ۱۴۱۳ه) / نشر وطبع: المطبعه العلميه لسنه ۱۳۹۶ه، ۱۹۷۶م / الطبعه الثانيه / قم المقدسه إيران.

۸۷. مثير الأحزان / تأليف: نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحلى (ت ۶۴۵ه) / نشر وطبع: دار العلوم لسنه ۱۴۲۳ه / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۸۸. المجالس الفاخره فى مصائب العتره الطاهره / تأليف: السيد شرف الدين (ت ۱۳۷۷ه) / مراجعه وتحقيق: محمود بدرى / نشر مؤسسه المعارف الإسلاميه لسنه ۱۴۲۱ه، ۲۰۰۰م / طبع: مطبعه عتره / الطبعه الأولى / قم المقدسه إيران

۸۹. مجله المعرفه، المعتقدات الدينيه لدى الشعوب / تأليف: مجموعه مؤلفين /

ترجمه: د. إمام عبد الفتاح إمام / نشر: المجلس الوطنی للثقافه والفنون والآداب لسنه ۱۴۱۳ه، ۱۹۹۳م / الطبعه الأولی / الکویت.

۹۰. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / تألیف: الحافظ نور الدین علی بن ابی بکر الهیثمی (ت ۸۰۷ه) / تحقیق عبد الله محمد الدرویش / نشر وطبع: دار الفکر لسنه ۱۴۲۵ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۹۱. مجموعه الفتاوی / تألیف: ابن تیمیه (ت ۷۲۸ه) / نشر وطبع: الشیخ عبد الرحمن بن قاسم.

۹۲. المحاسن / تألیف: الشیخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقی (ت ۲۷۴ه) / تصحیح وتعلیق: السید جلال الدین الحسینی (المحدث) / نشر وطبع: دار الکتب الإسلامیه لسنه الطبع: ۱۳۷۰ه، ۱۹۵۰م / طهران إیران.

۹۳. المحبر / تألیف: محمد بن حبیب بن أمیه بن عمرو الهاشمی، أبو جعفر البغدادی (ت ۲۴۵ه) / نشر وطبع: مطبعه الدائره لسنه ۱۳۶۱ه، ذی القعده.

۹۴. المحصول / فخر الدین الرازی (ت ۶۰۶ه) / تحقیق: دکتور طه جابر فیاض العلوانی / نشر وطبع: مؤسسه الرساله لسنه ۱۴۱۲ه، ۱۹۸۲م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۹۵. المختصر فی أخبار البشر تاریخ أبی الفداء / تألیف: أبی الفدا (ت ۷۳۲ه) / نشر دار المعرفه للطباعه والنشر / طبع: شرکه علاء الدین للطباعه والتجلید / بیروت لبنان.

۹۶. مروج الذهب ومعدن الجوهر / تألیف: أبی الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی (ت ۳۴۶ه) / تحقیق: أمیر مهنا / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمی لسنه ۱۴۲۱ه، ۲۰۰۱م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۹۷. مستدرک سفینه البحار / علی نمازی الشاهرودی (ت ۱۴۰۵ه) / تحقیق وتصحیح: السید حسن بن علی النمازی / نشر وطبع: مؤسسه النشر الإسلامی التابعه لجماعه المدرسین لسنه ۱۴۱۸ه، ۱۹۹۸م / الطبعه الأولی / قم المقدسه إیران.

۹۸. المستدرک علی الصحیحین / تألیف: أبو عبد الله الحاکم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدویه بن نُعیم بن الحکم الضبی الطهمانی النیسابوری المعروف بابن البیع (ت ۴۰۵ه) / تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۲۲ه، ۲۰۰۱م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۹۹. المستدرک علی الصحیحین / تألیف: ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم النیسابوری (ت ۴۰۵ه) / تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا / نشر وطبع: دار الکتب العلمیه لسنه ۱۴۲۲ه، ۲۰۰۱م / الطبعه الثانیه / بیروت لبنان.

۱۰۰. مسند أبی یعلی / تألیف: أبو یعلی الموصلی (ت ۳۰۷ه) / تحقیق: حسین سلیم أسد / نشر وطبع: دار المأمون للتراث.

۱۰۱. مسند أحمد / تألیف: احمد بن محمد بن حنبل (ت ۲۴۱ه) / نشر وطبع: دار صادر للطباعه والنشر والتوزیع / بیروت لبنان.

۱۰۲. مصابیح الظلام فی شرح مفاتیح الشرائع / تألیف: محمد باقر الوحید البهبهانی (ت ۱۲۰۵ه) / تحقیق: مؤسّسه العلامه المجدّد الوحید البهبهانی رحمه الله / نشر وطبع: مؤسّسه العلامه المجدّد الوحید البهبهانی رحمه الله لسنه ۱۴۲۴ه، ۲۰۰۴م / الطبعه الأولی.

۱۰۳. مصباح الشریعه ومفتاح الحقیقه / المنسوب للإمام الصادق علیه السلام (ت ۱۴۸ه) / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات لسنه ۱۴۰۰ه، ۱۹۸۰م /

الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۰۴. مصباح الفقاهه فی المعاملات / تألیف: السید الخوئی (ت ۱۴۱۳ه) / الطبعه الأولی المحققه / نشر: مکتبه الداوری / طبع: المطبعه العلمیه / قم المقدسه إیران.

۱۰۵. المصنف / تألیف: الحافظ أبو بکر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحمیری الیمانی الصنعانی (ت ۲۱۱ه) / تحقیق: الشیخ حبیب الرحمن الأعظمی / نشر وطبع: المجلس العلمی لسنه ۱۳۰۹ه، ۱۸۹۱م / الطبعه الأولی / جوهانزبورغ ألمانیا.

۱۰۶. معانی القرآن / تألیف: النحاس (ت ۳۳۸ه) / تحقیق: الشیخ محمد علی الصابونی / نشر وطبع: جامعه أم القرآن لسنه ۱۴۰۹ه، ۱۹۸۹م / الطبعه الأولی / المملکه العربیه السعودیه.

۱۰۷. معجم البلدان / تألیف: شهاب الدین أبو عبد الله یاقوت بن عبد الله الرومی الحموی (ت ۶۲۶ه) / نشر: دار صادر لسنه ۱۴۲۸ه / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۰۸. المعجم الکبیر / تألیف: سلیمان بن أحمد بن أیوب بن مطیر اللخمی الشامی، أبو القاسم الطبرانی (ت ۳۶۰ه) / تحقیق: حمدی عبد المجید السلفی / نشر وطبع: الدار العربیه للطباعه لسنه ۱۳۱۹ه، ۱۹۰۱م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۰۹. معجم اللغه العربیه المعاصر / تألیف: الحبیب النصراوی / نشر وطبع: مطبوعات مجمع اللغه العربیه لسنه ۱۴۲۹ه، ۲۰۰۹م / الطبعه الأولی / دمشق سوریا.

۱۱۰. معجم مقاییس اللغه / تألیف: أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) (ت ۳۹۵ه) / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / نشر وطبع: مکتبه الإعلام الإسلامی لسنه ۱۴۰۴ه، ۱۹۳۸م.

۱۱۱. مقاتل الطالبيين / تأليف: أبی الفرج الأصفهانی / نشر: دار التربيه / الطبعه الأولى / بغداد العراق.

۱۱۲. مقتل الإمام الحسين بن علی علیهما السلام / أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد العامری الأزدی الكوفی (ت ۱۵۷ه) / تحقيق: كامل سلمان الجبوری / نشر وطبع: دار المحجه البيضاء لسنه ۱۴۰۲ه / الطبعه الأولى / بيروت.

۱۱۳. مناقب آل أبی طالب / تأليف: ابن شهر آشوب (ت ۵۸۸ه) / تصحيح وشرح ومقابله: لجنه من أساتذه النجف الأشرف / نشر وطبع: المكتبه الحيدريه لسنه ۱۳۷۶ه، ۱۹۵۶م / النجف الأشرف العراق.

۱۱۴. موسوعه العلوم النفسيه / تأليف: هيجل / ترجمه د. إمام عبد الفتاح / نشر: دار التنوير لسنه ۱۴۲۸ه، ۲۰۰۸م / الطبعه الثالثه / بيروت.

۱۱۵. موسوعه الملل والنحل / تأليف: أبی الفتح الشهرستانی (ت ۵۴۸ه) / تحقيق: محمد سيد كيلانی / نشر وطبع: دار المعرفه / بيروت لبنان.

۱۱۶. الميزان فی تفسير القرآن / تأليف: السيد محمد حسين الطباطبائی (ت ۱۴۰۲ه) / تحقيق: الشيخ حسين الأعلمی / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات لسنه ۱۴۱۷ه، ۱۹۹۶م / الطبعه الأولى / بيروت لبنان.

۱۱۷. النصائح الكافيه / تأليف: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله العلوی (ت ۱۳۵۰ه) / نشر وطبع: دار الثقافه للطباعه والنشر لسنه ۱۴۱۲ه / الطبعه الأولى / قم المقدسه إيران.

۱۱۸. النهایه فی غریب الحدیث / تألیف: مجد الدین أبو السعادات المبارک بن محمد الشیبانی الجزری ابن الأثیر (ت ۶۰۶ه) / تحقیق: طاهر أحمد الزاوی / نشر وطبع: مؤسسه إسماعیلیان للطباعه والنشر والتوزیع لسنه ۱۳۸۴ه، ۱۹۶۵م / الطبعه الرابعه / قم المقدسه إیران.

۱۱۹. نهج السعاده فی مستدرک نهج البلاغه / تألیف: الشیخ المحمودی / نشر وطبع: مؤسسه الأعلمی للمطبوعات / بیروت لبنان.

۱۲۰. وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وموضع قبره وروضته بین اختلاف أصحابه واستملاک أزواجه / تألیف: السید نبیل الحسنی / نشر: قسم الشؤون الفکریه والثقافیه للعتبه الحسینیه المقدسه کربلاء، العراق / طبع: مؤسسه الأعلمی لسنه ۱۴۳۵ه، ۲۰۱۴م / الطبعه الأولی / بیروت لبنان.

۱۲۱. وفیات الأعیان / تألیف: ابن خلکان / تحقیق: إحسان عباس / نشر: دار الثقافه / بیروت لبنان.

۱۲۲. ینابیع الموده لذوی القربی / تألیف: القندوزی / تحقیق: سید علی جمال أشرف الحسنی/ نشر وطبع: دار الأسوه للطباعه والنشر لسنه ۱۴۱۶ه / الطبعه الأولی.

المحتویات

ص: ٢٢٨

أولاً: تعريف الدين

ثانيا: الاتجاهات المعاصره لبيان معنى الدين وفهمه

ألف: فكره الدين بمنظار رأسمالى برجوازى

باء: التفسير الأنثروبولجى للدين

جيم: النظريه الاجتماعيه فى تفسير الدين

المبحث الثاني: مرجعيه الخطاب الدينى ومناهله

المسأله الأولى: دور القرآن فى مرجعيه الخطاب الدينى

المسأله الثانيه: دور السنه النبويه فى مرجعيه الخطاب الدينى

المسأله الثالثه: دور السلف فى مرجعيه الخطاب الدينى

أولاً: السلف لغه

ثانياً: السلف اصطلاحاً وفقها

ثالثاً: توقف بعض علماء أهل السنه والجماعه فى حصر الخيريه فى أهل القرون الثلاثه الأولى

١ قال ابن حجر العسقلانى

٢ قال ابن عبد البر

٣ قال المناوى والكلاباذى وغيرهما

۴ قال السرخسى

۵ قال ابن تيميه

المبحث الثالث: آليات فهم النص وبناء الخطاب الدينى

أولاً: كتمان الحقائق

ثانياً: العلم الغائب ونقصان المعرفه

ثالثاً: ذريعه الاجتهاد الخاطئ وصريح مخالفته للقرآن والسنه

المبحث الرابع: تقديس النص أم نص القداسه ودوران الخطاب الدينى بينهما

المسأله الأولى: القداسه الذاتيه والإلتصاقيه

المسأله الثانيه: القداسه بين مقتضيات الملك ومقتضيات الدين

المسأله الثالثه: إعمال العقل أم حاكميه الجهل

الشاهد الأول: إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينص على كفر أحد الصحابه وأبو بكر وعمر ينصان على إيمانه اجتهاداً فيخالفان أمره

الشاهد الثانى: ما رواه البخارى فى اتهام الصحابى ذى الخويصره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالظلم والعياذ بالله

المبحث الخامس: تجديد الخطاب الدينى أم تجديد البنيه الفكريه والمعرفيه؟

المسأله الأولى: اتخاذ الخطاب الدينى وسيله لبلوغ السلطه

الشاهـد الأول: اسـتخدام الخطاب الـدينى فى حسم أمر البيعه فى مجتمع الكوفه بين عائشه وعمار بن ياسـر وتباين قوه تأثير هـذه الخطابات فى الناس

الشاهـد الثـانى: اسـتخدام الخطـاب الـدينى فى خروج طلحه والزبير لحرب أمير المـؤمنين الإمـام على بن أبى طـالب عليه السـلام والهدف بلوغ السلطه

الشاهد الثالث: اسـتخدام عبد الله بن الزبير لوسيله الخطاب الدينى فى حربه لأمير المؤمنين الإمام على عليه السلام لأجل تولى أمر المسلمين

۱ تغييره لبناء الكعبه المشرفه

۲ حبسه لعبد الله بن عباس وولده فى الشعب واضرامه النار عليهم

۳ تركه للصلاه على محمد وآله أربعين جمعه

۴ محاربته الشديده لحبر الأمه عبد الله بن عباس

۵ نفيه لعبد الله بن عباس الى الطائف

المسأله الثالثه: اعرف الدين تعرف أهله، وبهم يتم التجديد فى الخطاب الدينى الذى سنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم

أولاً: من هم أهل الدين الذين عرّفهم القرآن للناس؟

۱ إنهم مطهرون من الآثام وكل شىء قذر

۲ العلم بالقرآن والسنه

۳ الصدق

ثانيـاً: خير مـا نسـتدل به على معرفه الـدين وأهله ما كتبه أمير المؤمنين على عليه السـلام إلى خاصه أصـحابه وشـيعته وفيه وصـيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث السادس: دور خطاب العقيله زينب عليها السلام فى إصلاح البنيه الفكريه للمجتمع الإسلامى فى الكوفه

المسأله الأولى: من هى العقيله زينب عليها السلام؟

المسأله الثانيه: مقومات الإصلاح للبنيه الفكريه فى خطابها الدينى لمجتمع الكوفه

الأداه الأولى: الصدمه الثقافيه (Inter cultural communication)

أولاً: تعريف مصطلح الصدمه الثقافيه

ثانياً: جذور الصدمه الثقافيه تعود للقرن الأول للهجره النبويه

الأداه الثانيه: استرعاء الانتباه الجماهيرى

الأداه الثالثه: النافذه الانفعاليه

الأداه الرابعه: المنظور التطورى النفسى

الأداه الخامسه: بث الروح فى الضمير الجمعى

أولاً: تحريك نبض التوحيد

ثانياً: بنوه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبى بيد المسلمين

ثالثاً: تقتلون الطيبين الأخيار وتتولون الخبيثين الأشرار

الأداه السادسه: التعزير النفسى

أولاً: التعزير لغه

ثانياً: التعزير عند الفقهاء

الأداه السابعه: تشخيص الرذائل التى أصابت أهل الكوفه إلى أخلاق فرديه واجتماعيه وأن الإصلاح يبدأ بالفرد قبل المجتمع

الأداه الثامنه: تجمير المشاعر واصدام النفوس

الأداه التاسعه: تعظيم حرمه أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

الأداه العاشره: إظهار عقوبه قتل العتره النبويه فى الدنيا والآخره

الأداه الحاديه عشره: حرمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حرمه عترته وإن آثار هتكها عند الله تعالى كآثار جريمه الشرك

المسأله الثالثه: كيف استطاعت العقيله زينب عليه السلام بخطابها الدينى تغيير الاتجاهات والقيم فى المجتمع الكوفى؟

أولاً: مفهوم الاتجاه وتعريفه

ثانياً: شواهد ظهور الاستجابه المسيطره وتغيير الاتجاه فى المجتمع الكوفى بعد خطاب العقيله زينب عليها السلام

الشاهد الأول: التغيير العام فى سلوك أهل الكوفه

الشاهد الثانى: ارتفاع صوت الناس بالبكاء حينما خاطبهم الإمام زين العابدين عليه السلام

الشاهد الثالث: حسبك يا ابنه الطاهرين

الشاهد الرابع: تفجر شراره الانتفاضه على والى الكوفه بلسان عبد الله بن عفيف الأزدى

الشاهد الخامس: قائد جيش الكوفه يظهر ندمه وخسرانه فى طاعته لابن زياد

ثالثا: اجتماع المكونات الأساسيه للاتجاه النفسى نحو العتره بفعل الخطاب الدينى للعقيله زينب عليها السلام

المكون الأول: المكون المعرفى

المكون الثانى: المكون الوجدانى الانفعالى

المكون الثالث: المكون النزعى السلوكى

المصادر

إصدارات قسم الشؤون الفكريه والثقافيه فى العتبه الحسينيه المقدسه

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربه الحسينيه

۱

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الانكليزيه

۲

زياره الإمام الحسين عليه السلام باللغه الأردو

۳

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام الطبعه الأولى

۴

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى الطبعه الأولى

۵

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

۶

الشیخ وسام البلداوی

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

۷

السید نبیل الحسنی

الجمال فی عاشوراء

۸

الشیخ وسام البلداوی

ابکِ فإنک علی حق

۹

الشیخ وسام البلداوی

المجاب بردّ السلام

۱۰

السید نبیل الحسنی

ثقافه العیدیه

۱۱

السید عبد الله شبر

الأخلاق (تحقیق: شعبه التحقیق) جزآن

۱۲

الشیخ جمیل الربیعی

ص: ۲۳۴

السید محمدحسین الطباطبائی

حیاه ما بعد الموت (مراجعه وتعلیق شعبه التحقیق)

۱۸

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الصغری

۱۹

السید یاسین الموسوی

الحیره فی عصر الغیبه الکبری

۲۰

الشیخ باقر شریف القرشی

حیاه الإمام الحسین بن علی (علیهما السلام) ثلاثه أجزاء

۲۱ ۲۳

الشیخ وسام البلداوی

القول الحسن فی عدد زوجات الإمام الحسن علیه السلام

۲۴

السید محمد علی الحلو

الولایتان التکوینیه والتشریعیه عند الشیعه وأهل السنه

۲۵

الشیخ حسن الشمری

الدکتور عبدالکاظم الیاسری

الخطاب الحسینی فی معرکه الطف دراسه لغویه وتحلیل

۳۳

الشیخ وسام البلداوی

رسالتان فی الإمام المهدی

۳۴

الشیخ وسام البلداوی

السفاره فی الغیبه الکبری

۳۵

السید نبیل الحسنی

حرکه التاریخ وسننه عند علی وفاطمه علیهما السلام (دراسه)

۳۶

السید نبیل الحسنی

دعاء الإمام الحسین علیه السلام فی یوم عاشوراء بین النظریه العلمیه والأثر الغیبی (دراسه) من جزءین

۳۷

الشیخ علی الفتلاوی

النوران الزهراء والحوراء علیهما السلام الطبعه الثانیه

۳۸

شعبه التحقیق

زهیر بن القین

۳۹

السید محمد علی الحلو

تفسیر الإمام الحسین علیه السلام

۴۰

الأستاذ عباس الشیبانی

منهل الظمآن فی أحکام تلاوه القرآن

۴۱

السید عبد الرضا الشهرستانی

السجود علی التربه الحسینیه

۴۲

السید علی القصیر

حیاه حبیب بن مظاهر الأسدی

۴۳

الشیخ علی الکورانی العاملی

الإمام الکاظم سید بغداد وحامیها وشفیعها

۴۴

ص: ۲۳۵

جمع وتحقيق: باسم الساعدی

السقيفه وفدک، تصنيف: أبی بکر الجوهری

۴۵

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعه الألوف فی نظم تاريخ الطفوف ثلاثه أجزاء

۴۶

السيد محمد علی الحلو

الظاهره الحسينيه

۴۷

السيد عبدالكريم القزوينی

الوثائق الرسميه لثوره الإمام الحسين عليه السلام

۴۸

السيد محمدعلی الحلو

الأصول التمهيديه فی المعارف المهدويه

۴۹

الباحثه الاجتماعيه كفاح الحداد

نساء الطفوف

۵۰

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسینیه بین الأصاله والتجدید

۵۱

السید نبیل الحسنی

خدیجه بنت خویلد أُمّه جُمعت فی امرأه – ۴ مجلد

۵۲

الشیخ علی الفتلاوی

السبط الشهید – البُعد العقائدی والأخلاقی فی خطب الإمام الحسین علیه السلام

۵۳

السید عبدالستار الجابری

تاریخ الشیعه السیاسی

۵۴

السید مصطفی الخاتمی

إذا شئت النجاه فزر حسیناً

۵۵

عبدالساده محمد حداد

مقالات فی الإمام الحسین علیه السلام

۵۶

الدکتور عدی علی الحجّار

الأسس المنهجیه فی تفسیر النص القرآنی

۵۷

الشيخ وسام البلداوی

فضائل أهل البیت علیهم السلام بین تحریف المدونین وتناقض مناهج المحدثین

۵۸

حسن المظفر

نصره المظلوم

۵۹

السید نبیل الحسنی

موجز السیره النبویه – طبعه ثانیه، مزیده ومنقحه

۶۰

الشیخ وسام البلداوی

ابکِ فانک علی حق – طبعه ثانیه

۶۱

السید نبیل الحسنی

أبو طالب ثالث من أسلم – طبعه ثانیه، منقحه

۶۲

السید نبیل الحسنی

ثقافه العید والعیدیه – طبعه ثالثه

۶۳

الشیخ یاسرالصالحی

نفحات الهدایه – مستبصرون ببرکه الإمام الحسین علیه السلام

۶۴

السید نبیل الحسنی

تکسیر الأصنام – بین تصریح النبی ۲ وتعتیم البخاری

۶۵

الشیخ علی الفتلاوی

رساله فی فن الإلقاء – طبعه ثانیه

۶۶

محمد جواد مالک

شیعه العراق وبناء الوطن

۶۷

حسین النصراوی

الملائکه فی التراث الإسلامی

۶۸

السید عبد الوهاب الأسترآبادی

شرح الفصول النصیریه – تحقیق: شعبه التحقیق

۶۹

الشیخ محمد التنکابنی

صلاه الجمعه– تحقیق: الشیخ محمد الباقری

۷۰

د. علی کاظم مصلاوی

الطفیات – المقوله والإجراء النقدی

۷۱

الشیخ محمد حسین الیوسفی

أسرار فضائل فاطمه الزهراء علیها السلام

۷۲

السید نبیل الحسنی

الجمال فی عاشوراء – طبعه ثانیه

۷۳

السید نبیل الحسنی

سبایا آل محمد صلی الله علیه وآله وسلم

۷۴

السید نبیل الحسنی

الیحموم، -طبعه ثانیه، منقحه

۷۵

السید نبیل الحسنی

الشیخ علی الفتلاوی

خادم الامام الحسین علیه السلام شریک الملائکه

۸۳

الشیخ محمد البغدادی

مسلم بن عقیل علیه السلام

۸۴

السید محمدحسین الطباطبائی

حیاه ما بعد الموت (مراجعه وتعلیق شعبه التحقیق) – الطبعه الثانیه

۸۵

الشیخ وسام البلداوی

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان – طبعه ثانیه

۸۶

الشیخ وسام البلداوی

المجاب برد السلام – طبعه ثانیه

۸۷

ابن قولویه

کامل الزیارات باللغه الانکلیزیه (Kamiluz Ziyaraat)

۸۸

السید مصطفی القزوینی

Islam Inquiries About Shi‘a

٨٩

السيد مصطفى القزوينى

When Power and Piety Collide

٩٠

السيد مصطفى القزوينى

Discovering Islam

٩١

د. صباح عباس عنوز

دلاله الصوره الحسيه فى الشعر الحسينى

٩٢

حاتم جاسم عزيز السعدى

القيم التربويه فى فكر الإمام الحسين عليه السلام

٩٣

هذه فاطمه علیها السلام – ثمانیه أجزاء

۱۰۰

السید نبیل الحسنی

وفاه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وموضع قبره وروضته

۱۰۱

تحقیق: مشتاق المظفر

الأربعون حدیثا فی الفضائل والمناقب- اسعد بن ابراهیم الحلی

۱۰۲

تحقیق: مشتاق المظفر

الجعفریات - جزئین

۱۰۳

تحقیق: حامد رحمان الطائی

نوادر الأخبار – جزئین

۱۰۴

تحقیق: محمد باسم مال الله

تنبیه الخواطر ونزهه النواظر – ثلاثه أجزاء

۱۰۵

علی حسین یوسف

الإمام الحسین علیه السلام فی الشعر العراقی الحدیث

۱۰۶

الشيخ على الفتلاوى

This Is My Faith

١٠٧

حسين عبدالسيد النصار

الشفاء فى نظم حديث الكساء

١٠٨

حسن هادى مجيد العوادى

قصائد الاستنهاض بالإمام الحجه عجل الله تعالى فرجه

١٠٩

السيد على الشهرستانى

آيه الوضوء وإشكاليه الدلاله

١١٠

السيد على الشهرستانى

عارفاً بحقكم

١١١

السيد الموسوى

شمس الإمامه وراء سحب الغيب

١١٢

إعداد: صفوان جمال الدين

Ziyarat Imam Hussain

۱۱۳

تحقیق: مشتاق المظفر

البشاره لطالب الاستخاره للشیخ احمد بن صالح الدرازی

۱۱۴

تحقیق: مشتاق المظفر

النکت البدیعه فی تحقیق الشیعه للشیخ سلیمان البحرانی

۱۱۵

تحقیق: مشتاق صالح المظفر

شرح حدیث حبنا أهل البیت یکفر الذنوب للشیخ علی بن عبد الله الستری البحرانی

۱۱۶

تحقیق: مشتاق صالح المظفر

منهاج الحق والیقین فی تفضیل علی أمیر المؤمنین للسید ولی بن نعمه الله الحسینی الرضوی

۱۱۷

١٣٨

السيد نبيل الحسني

استنطاق آيه الغار

١٣٩

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مرکز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩